



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغات



اشرافيية
عليه صلوات الله
عليه وآله

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

موسى وعيسى

في ظلال الشهداء والطف

تأليف

الشيخ حيدر الصديقي

الجزء الثالث

دار
التراث
للطباعة والنشر
والإعلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

موسوعه في ظلال شهداء الطف

كاتب:

حيدر الصمياني

نشرت في الطباعة:

العتبة الحسينية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
13	موسوعه فى ظلال شهداء الطف المجلد 3
13	اشارة
13	هوية الكتاب
18	مقدمة الجزء الثالث
22	الشهيد زهير بن القين البجلي عليه السلام
22	بين يدي الشهيد
23	أقوال العلماء فيه
24	القبيلة التي ينتمى إليها الشهيد
25	زهير بن القين وسحرة موسى
25	اشارة
28	الشخصية الأولى
29	أما الشخصية الثانية
30	زهير بن القين والاستماع إلى الحق
33	زهير بن القين والفتوحات الإسلامية
33	اشارة
35	معركة باب الأبواب
36	بدايات المعركة
36	اشارة
38	وقفه لابن منها
39	غزوة بلنجر
41	حديث بَلَّغْر
44	عثمانى الهوى

44	اشارة
44	1 - مدن ومواقع معيَّنة من العالم الإسلامي ..
45	2 - مجاميع من الناس أفراداً وجماعات ..
46	زهير بن القين عثمانى الهوى ..
46	اشارة
47	سؤال وجواب ..
47	اشارة
48	الرأى الأوّل ..
50	عظمت وعبر ..
50	اشارة
50	1 - عثمانى غير معاند ..
55	2 - زهير بن القين (رض) والقرار الشجاع ..
55	اشارة
59	القرارات المصرية ..
61	3 - والعاقبة للمتقين ..
62	أعمال زهير بن القين والعاقبة الحسنة ..
62	اشارة
62	أ - عدم إرادة العلوّ والفساد فى الأرض ..
64	ب - التقوى ..
65	ج - القلب السليم ..
66	د - ولا تستبدل به غيرى ..
69	درس من حياة الشهيد ..
69	اشارة
70	الاستبدال سنّة قرآنية ..
71	أسباب الاستبدال ..

71 اشارة

72 1 - تخلى الأمة أفراداً وجماعات عن المسؤوليات الملقاة عليهم

72 2 - التخلي عن الإنفاق

73 3 - الارتداد عن الدين

75 زهير بن القين والمولاة لأهل البيت عليهم السلام

75 اشارة

81 أ - عزرة بن قيس يمنع الاهتداء بأصحاب الحسين عليه السلام

82 ب - عزرة بن قيس يكتب للحسين ثم يكذبه يوم عاشوراء

83 كذب عزرة بن قيس

83 اشارة

84 عزرة بن قيس والشهادة على حجر

86 ثانياً: مواقف زهير بن القين

86 اشارة

86 الموقف الأول

87 الموقف الثاني

89 الموقف الثالث

91 الموقف الرابع

93 الموقف الخامس

98 الموقف السادس

99 الموقف السابع

100 ثالثاً: الشهيد زهير بن القين ومؤمن آل فرعون

100 من هو مؤمن آل فرعون؟

101 أوجه التشابه بين زهير ومؤمن آل فرعون

101 اشارة

102 1 - على مستوى الخطبة والكلام

103	2 - على مستوى الزوجة والأقرباء
105	3 - على مستوى كتمان الإيمان
105	4 - على مستوى الشهادة
107	النقطة الأولى: أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام والتقبة في الكوفة
112	النقطة الثانية: معاوية وسياسة البطش مع الشيعة في الكوفة
115	النقطة الثالثة: قلة أتباع أهل البيت عليهم السلام في الكوفة
117	النقطة الرابعة: منهج أهل البيت عليهم السلام في كتمان وسرية أمرهم
119	رابعاً: زهير بن القين يروي زواج علي عليه السلام من أم البنين
119	إشارة
120	ولنا على هذه الرواية مجموعة من النقاط
123	خامساً: زوجة الشهيد زهير وعلامة وتكفين الحسين عليه السلام
128	الحسين عليه السلام يخبر الشهيد زهير بمقتله عليه السلام
128	إشارة
128	وكان كما أخبر الحسين عليه السلام
129	شهادة زهير بن القين
130	وقت الشهادة
131	وداع زهير للحسين عليه السلام وشهادته
133	الحسين عليه السلام يؤبّن الشهيد زهيراً
134	الشهيد أنس بن الحارث بن نبيه الكاهلي عليه السلام
134	المقدمة
134	إشارة
134	أولاً: العدل
135	ثانياً: التسليم لله
137	بين يدي الشهيد أنس (رض)
138	أقوال العلماء في حق الشهيد أنس (رض)

- 139 قبيلة الشهيد الكربلائي (كاهل)
- 141 مسكن قبيلة بني كاهل
- 142 مسجد بني كاهل في الكوفة
- 143 الاختلاف في اسم الشهيد
- 144 والد الشهيد
- 145 جد الشهيد الكربلائي
- 146 ابن نما الحلبي واسم الشهيد أنس
- 147 تجتني الذهبى على الشهيد أنس
- 147 رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخبر أنساً بمقتل الحسين عليه السلام
- 151 الشهيد عمار بن ياسر والشهيد أنس بن الحارث ووحدة الموقف
- 153 الشهيد أنس من أهل الصُّفَّة
- 153 اشارة
- 153 ما معنى الصُّفَّة؟
- 154 صفات أهل الصُّفَّة
- 155 فهم على أساس ما ذكره القرآن
- 157 الشهيد أنس والهمة العالية
- 161 الشهيد والعمر الطويل
- 163 لقاء الشهيد أنس بالحسين عليه السلام
- 163 اشارة
- 163 الرأى الأول
- 164 الرأى الثانى
- 164 اشارة
- 164 كلمة لا بد منها
- 166 الرأى الثالث
- 166 الشهادة في كربلاء

167	رثاء الشهيد أنس ..
168	الشهيد نصر بن أبي نيزر النجاشي عليه السلام -
168	اشارة -
168	أقوال العلماء فيه ..
169	جدّ الشهيد ..
169	اشارة ..
169	النجاشي ..
178	مع ابن عم الشهيد ..
179	أعمام الشهيد الكربلائي ..
179	اشارة ..
180	1 - أريحا بن أصحمة ..
181	2 - عبد الله بن أصحمة بن أبحر النجاشي ..
181	3 - والد الشهيد الكربلائي (أبو نيزر) ..
181	اشارة ..
184	عين أبي نيزر والبعيعة ..
191	الشهيد في كربلاء ..
193	الشهيد مسلم بن كثير الأزدي الأعرج عليه السلام ..
193	اشارة ..
193	كلمات العلماء في الشهيد ..
194	ومن الأزدي مسلم بن كثير ..
194	الاختلاف في اسم الشهيد الكربلائي ..
195	صحبة الشهيد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ..
195	الاختلاف في اسم والد الشهيد ..
196	والد الشهيد ..
196	اشارة ..

- 196 والد الشهيد فى فتح مصر ..
- 197 هل كانت هذه الفتوحات شرعية؟
- 201 مع روايات والد الشهيد ..
- 201 أولاً: مع موعظة والد الشهيد ..
- 203 ثانياً: لا يجب الوضوء مما مست النار ..
- 205 الشهيد مع أمير المؤمنين ..
- 205 أم سلمة وقيمة من ثبت مع على فى الجمل ..
- 209 الشهيد الكربلاي جريحاً أعرج فى حرب الجمل ..
- 209 اشارة ..
- 209 العرج عذر شرعى ..
- 211 الشهيد مسلم والشهيد عمرو بن الجموح ..
- 211 الشهيد فى كربلاء ..
- 213 الشهيد أبو رزين عليه السلام ..
- 213 اشارة ..
- 213 بين يدى الشهيد ..
- 214 الاختلاف فى اسم الشهيد وأسم ابيه وفى مولاه ..
- 215 الاختلاف فى اسم الشهيد ..
- 215 سليمان مولى الحسين ليس اسماً شاذاً ..
- 223 الاختلاف فى اسم والد الشهيد ..
- 225 اختلاف الشهيد فى ولانه ..
- 225 اشارة ..
- 227 الاحتمال الأول ..
- 227 الاحتمال الثانى ..
- 228 والدة الشهيد الكربلاي ..
- 229 الشهيد سليمان سفير الحسين إلى البصرة ..

230	رسول واحد أم رسولان إلى البصرة
233	مضامين رسالة الإمام إلى البصرة
235	معنى رؤوس الاخماس في البصرة
235	اشارة
237	1 - المنذر بن الجارود
239	2 - الأحنف بن قيس
240	3 - مالك بن مسمع البكري الجحدري
240	4 - مسعود بن عمرو بن عدى الأزدي
240	5 - قيس بن الهيثم السلمى
241	6 - عمر (عمرو) بن عبيد الله بن معمر التيمي
242	7 - يزيد بن مسعود النهشلي
244	جواب رؤوس أخماس البصرة ووجهاتها على رسالة الإمام
246	أسباب ودواعي مراسلة الحسين لأخماس البصرة ووجهاتها
248	يزيد بن مسعود النهشلي والمواقف المشرفة
250	نقاط مهمة في خطبة يزيد النهشلي
252	اجتماع الشيعة في دار مارية بنت منقذ العبدى
253	موانع التحاق شيعة البصرة بالحسين عليه السلام
257	هل يكفى التساقط في طريق الكوفة ؟
258	وقت شهادة سليمان
259	كيفية الشهادة
261	مصادر الكتاب
288	المحتويات
301	تعريف مركز

سرشناسه:صميامنى، حيدر، 1336 -

عنوان و نام پديدآور: موسوعه في ظلال شهداء الطف / تاليف حيدر الصميامنى.

مشخصات نشر: كربلاى معلى - قم - العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية و الثقافية 1434

مشخصات ظاهرى: 4ج.

شابك: 4-250-538-964-978

وضعييت فهرست نويسى: فييا

يادداشت: عربى.

يادداشت: كتابنامه: ص. [359] - 376؛ همچنين به صورت زيرونويس.

موضوع: حسين بن على (ع)، امام سوم، 4 - 61ق.

موضوع: واقعه كربلا، 61ق.

رده بندى كنگره: BP41/5/ص8م8 1390

رده بندى ديويى: 297/9534

شماره كتابشناسى ملي: 2463263

ص: 1

موسوعه فى ظلال شهداء الطف

تالىف حيدر الصمىانى.

ص: 3

* هوية الكتاب

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق - وزارة الثقافة العراقية لسنة 2013:339

الصمباني، حيدر

موسوعة في ظلال شهداء الطف / تأليف حيدر الصمباني؛ [تقديم محمد على الحلو]. - الطبعة الأولى. - كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية 1434 ق. 2013 إ م.

3 ج. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ 121).

المصادر. ISBN :9789933489700

1. الحسين بن علي (عليه السلام)، الإمام الثالث، 4-61 هـ. - أصحاب - السيرة. 2. الحسين بن علي (عليه السلام)، الإمام الثالث، 4-61 هـ. - أصحاب - صفات. 3. واقعة كربلاء، 61 هـ. - شهداء. 4. التاريخ الإسلامي - العصر الأموي - شبهات وردود. ألف. الحلو، محمد علي، 1957 -، مقدم. ب. العنوان

BP 193.13..A3.S269 2013

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

تأليف

الشيخ حيدر الصمباني

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1434 هـ - 2013 م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: 326499

الموقع الإلكتروني: imamhussain-lib.com

البريد الإلكتروني: info@imamhussain-lib.com

مقدمة الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد وآله الطاهرين.

(إن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة).

أما بعد:

... يقف الإنسان متعجباً ومنبهراً بل وحائراً لا يعرف ماذا يقول أمام خلود وبقاء واستمرار الثورة الحسينية المباركة طيلة هذه المدّة الزمنية الطويلة.

هذه الثورة التي لم تكن في بدايتها إلا حدثاً تاريخياً حصل وجرى في حقبة زمنية محدودة، ولو أردنا أن نحسب المدة الزمنية التي تحركت فيها هذه الثورة لوجدناها تمتد في أكثر التقادير إلى ستة أشهر أو سبعة، حيث خرج الحسين عليه السلام رافضاً بيعة يزيد بن معاوية في الثامن والعشرين من شهر رجب وانتهت في يوم شهادته عليه السلام في العاشر من المحرم، بل إن ذروة هذه الثورة إن صح التعبير لم تستمر سوى سويّات قليلة من النهار ربما لا تزيد على خمس

ص:5

ساعات وفق ما ذكره وتحدث عنه المؤرخون.

ومع كل ذلك نجد أن هذه الثورة امتلكت النفوس والأرواح والمشاعر والعقول والقلوب عبر الأجيال وما انطفأت يوماً شعلتها فيهم مهما تمادت السنين وتباعدت الأيام، بل العكس هو الصحيح حيث نراها تتجذر في القلوب أكثر.

وما هذه الملايين التي تزحف إلى كربلاء من كل عام على اختلاف قومياتهم وبلدانهم وأجناسهم وأعمارهم إلا دليل حيّ وشاهد ملموس ومحسوس على هذا الخلود والثبات لهذه الثورة المباركة.

ولقد أشار الكاتب المصري عبد الله العلائي في كتابه «سمو المعنى في سمو الذات» إلى ما تقدم من المعاني وما حصلت عليه كربلاء من التفاف الناس فيها بأبيات جميلة من الشعر منها:

فيا كربلا كهف الإباء مجسماً ويا كربلاء كهف البطولة والعُلا

ويا كربلا قد حُزّت نفساً نبيلةً وصُيِّرت بعد اليوم رمزاً إلى السما

ويا كربلا قد صرت قبلة كل ذى نفس تصاغى دون مبدئها الدنا

ويا كربلا قد حُزّت مجدداً مؤثلاً وحُزّت فخاراً ينقضى دونه المدى

فخارٌ لعمرى سطرته ضحية فكان لمعنى المجد أعظم مُحتلى

فللمسلم الأسمى شعارٌ مقدسٌ هما قبلتان للصلاة وللإبا

وفي اعتقادي أن واحدة من أهم النقاط التي جعلت هذه الثورة متجذرة في قلوب الملايين عبر السنين - بعد وجود شخصية الحسين عليه السلام وآثارها العظيمة على هذه الثورة - هي سمو الأهداف التي ناظلت هذه الثورة من أجل الوصول

إليها أولاً، وخلص أصحابها وتقانيهم من أجلها ثانياً.

ولقد وصلت درجة الإخلاص والتفاني عندهم إلى مرحلة نسوا فيها حتى ذواتهم المباركة الشريفة، فما هو أحدهم يسقط إلى الأرض جريحاً وبه رمق من الحياة فيأتي إليه الحسين عليه السلام على عادته فيضع خده على خده ويقراً عليه قول الله تعالى:

«مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا» .

يفتح الشهيد عينه وهو يعيش في آخر لحظات حياته والدماء تشخب منه وإذا به يرى الحسين عليه السلام وقد وضع خده على خده فيقول مبتسماً «من مثلى وابن رسول الله واضع خده على خدى».

لقد نسى هذا الشهيد في لحظة العشق والقرب مع الحسين كل جراحاته وآلامه التي حلت ببدنه ونالت منه، وفي بعض الروايات سأل الحسين عليه السلام قائلاً: «أوفيت يا بن رسول الله؟».

أى عظمة هذه؟

وأى شموخ هذا؟

وأى نكران للذات هذا؟

وهذا مثال واحد من عشرات الأمثلة العظيمة التي حظيت بها كربلاء مع أمثال هذه الجماعات التي وصفها الحسين عليه السلام بقوله:

ص:7

«ما رأيت أصحاباً أوفى وأبر من أصحابي».

لقد حملتنا هذه المواقف الكريمة لهذه الثلة المؤمنة الصالحة في كربلاء الشموخ والبطولة، حملتنا المسؤولية الكبيرة في أن نسلط الأضواء عليها حتى تحفظ مواقفهم أولاً ومن ثم تُقدّم إلى الناس حتى يتحولوا إلى قدوات يُسار على نهجها ويُتحرك على أساسها، لاسيما في مثل هذا العصر الذي كثر فيه الدجالون وأصحاب الأهواء والمطامع ممن لبس لباس الدين وصار يضحك على ذقون الفقراء والمساكين حتى ضاع الصالح بالطالح واختلط الشريف بالدنيء.

ولقد بدأت بحمد الله وتوفيقه في تسليط الأضواء عليهم (رضوان الله عليهم) من خلال موسوعتي هذه التي أسميتها (موسوعة في ظلال شهداء الطف) والتي خرج منها إلى يومك هذا الجزء الأول والثاني.... وها هو الجزء الثالث يخرج إلى النور وهو يحمل في طياته الحديث عن شهداء الطف.

ص:8

لقد أيد الله سبحانه وتعالى دينه الحنيف ورسالته الشريفة برجال من المؤمنين يصفهم الله عز وجل بقوله:

«مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا» 1.

فاختارهم واصطفاهم من بين خلقه لنيل شرف المهمة العظيمة والمنزلة الكريمة، ألا وهي الدفاع عن حومة الدين وعترة سيد المرسلين، لاسيما أبو عبد الله الحسين عليه السلام، فقد آثروا الدين على الدنيا، ومرضاة الله على مرضاة الناس، والتعب والنصب على الراحة والسكون والدعة، حتى توجت حياتهم في آخر المطاف - بمنّة من الله ولطفه - بأسمى ما يريده المؤمن ويطلبه، وهي الشهادة في سبيل الله سبحانه، حتى داست الخيل صدورهم بحوافرها وعلتهم الطغاة ببواترها،

فرفعت رؤوسهم على أطراف الرماح، وتركت أجسادهم على الأرض تشخب منها الجراح، وكان منهم الشهيد زهير بن القين (رض)، الذى أعطى وصدق بالحسنى، فيسره الله إلى الأخرى ويالها من عاقبة حسنى ومنزلة عظيمة فضلى!

أقوال العلماء فيه

1 - قال الإمام المهدي عج الله تعالى فرجه الشريف في زيارته المقدسة:

«السلام على زهير بن القين البجلي، القائل للحسين عليه السلام وقد أذن له في الانصراف: لا والله، لا يكون ذلك أبداً، أترك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسيراً في يد الأعداء وأنجو! لا أرانى الله ذلك اليوم»(1).

2 - يقول العلامة المامقانى: (ذكر أهل السير أن زهير بن القين هذا كان رجلاً شريفاً فى قومه، نازلاً فيهم بالكوفة، شجاعاً، له فى المغازى مواقف مشهورة ومواطن مشهودة)(2).

3 - يقول تقى الدين الحسن بن على بن داود الحلّى: (زهير بن القين قُتل بكربلاء رحمه الله، عظيم الشأن)(3).

4 - ويقول ابن سعد فى ترجمة عامر بن شرحبيل بن عباد الشعبى: «ومن روى عنهم... زهير بن القين...»(4).

ص: 10

1- (1) إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس: ص 576.

2- (2) تنقيح المقال للمامقانى: ج 1، ص 452.

3- (3) رجال ابن داود: ص 99، رقم 646، تحقيق محمد صادق بحر العلوم.

4- (4) الطبقات لابن سعد: ترجمة عامر الشعبى، الحديث 6815.

5 - يقول ذبيح الله المحلاتي: «يجب أن يُعلم أنّ زهير بن القين كان من الرجال المهمّين، ومن الفرسان الأسود، ومن الخطباء، كان عالي القدر، وكان في ميمنة أصحاب الإمام الحسين عليه السلام»(1).

6 - يقول بعد الواحد المظفّر: «زهير بن القين الشهيد مع الحسين بطفّ كربلاء، هو من وجوه أهل الكوفة، وأعيان التابعين، وأعلام أهل العراق، المعروفين بالرئاسة والشرف والشجاعة، ومن الخطباء والشعراء والأبطال»(2).

7 - يقول النمازي الشاهرودي: «زهير بن القين خرج من مكّة، وكان مع جماعة يكرهون أن يكونوا مع الحسين، فنزلوا في منزل... فجاء إلى الحسين، فما لبث أن جاء مستبشراً... ولحق زهير بالحسين عليه السلام»(3).

8 - يقول ابن حزم: «هو زهير بن القين بن الحارث بن عامر بن سعد بن مالك بن ذهل بن عمرو بن يشكر بن علي بن سعد بن نذير بن قسر، قتل مع الحسين عليه السلام»(4).

القبيلة التي ينتمى إليها الشهيد

لقد كان لهذه القبيلة التي ينتمى إليها الشهيد وهي: «بجيلة» تاريخ حافل بالمواقف الطيّبة في نصرة الإسلام والمسلمين، لاسيّما في معركة اليرموك

ص: 11

1- (1) فرسان الهيجاء: ج 1، ص 142.

2- (2) الأماي المنتخبة: ص 56.

3- (3) مستدركات علم الرجال: ج 3، ص 4405 581.

4- (4) جمهرة أنساب العرب لابن حزم: ص 388.

والقادسية وغيرهما، حتى نُقل أن الذي قُتل رستم قائد الفرس هو زهير بن عبد شمس بن نوف البجلي، ثم أنشد يقول:

أَنَا زُهَيْرٌ وَأَبْنُ عَبْدِ شَمْسٍ أُرْدِيَتْ بِالسَّيْفِ عَظِيمِ الْفَرَسِ

رُسْتَمَ ذَا النَّخْوَةِ وَالْدَّمْسِ أَطَعْتُ رَبِّي وَشَفَيْتُ نَفْسِي (1)

ولقد خرّجت هذه القبيلة الكثير الكثير من المجاهدين والمدافعين عن حومة الدين، منهم على سبيل المثال لا الحصر قيس بن المكشوح البجلي، الذي كانت بيده راية على عليه السلام في معركة صفين، وهو القائل:

إِنَّ عَلِيًّا ذُو أَنَاةٍ صَارِمٌ جَلْدٌ إِذَا مَا خَطَرَ الْعَرَائِمُ

لَمَّا رَأَى مَا تَفَعَّلَ الْأَشَانِمُ قَامَ لَهُ الذَّرْوَةُ وَالْأَكَارِمُ (2)

ومنهم عبد الله بن قلع البجلي، وعفيف بن إياس البجلي، ورفاعة بن شداد البجلي الذي شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالإيمان والصلاح وهو يتحدث عن وفاة أبي ذر (رض) (3).

زهير بن القين وسحرة موسى

إشارة

حينما يدرس الإنسان حياة هذا الشهيد الكربلائي زهير بن القين (رض) بدقّة ويسلّط الضوء على الانتقالة السريعة والتنوع التي حصلت له في حياته (رض)، ليجد وبشكل واضح أنّ ما مرّ به هذا الشهيد يمثّل منعطفاً إلهياً ربّانياً، اقتضت إرادة

ص: 12

1- (1) فتوح البلدان: ج 2، ص 259.

2- (2) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ص 258.

3- (3) سلسلة الأركان الأربعة (أبو ذر الغفاري) للشيخ محمد جواد الفقيه: ص 156-157.

الله وحكمته أن يمرّ به، وإنما عبّرنا عن هذه الانتقالة بالمنعطف؛ لأنها تمثّل في واقع الأمر نقطة فصل بين تصوّرين وتوجّهين لم يجتمعا من قبل أبداً، حيث عرف عن الشهيد الكربلائي أنّه كان عثمانى الهوى (1) قبل لقاء الحسين عليه السلام، ثمّ عُرف بعد ذلك بأنّه حسيني من أنصار الحسين بن علي بن أبي طالب.

ومما لا يخفى على أحد أنّ هذه الانتقالة تشكّل - بشكل عام - ثقلاً على الإنسان؛ لأنها تتعلّق بتصوّراته وأفكاره ومتبنياته العقيدية، بل يمكن أن يقول الإنسان إنّ تغيير مياه نهر عظيم أو التحكّم في جريانه أو حتى حفر الصخور في الجبال والآبار في الأرض ربّما يكون أسهل بكثير من تغيير الإنسان لنفسه وأفكاره وآرائه.

يقول أحد الشعراء وهو يتحدّث عن الآراء وأهمّيّتها وضرورة الدفاع عنها:

قِفْ دُونَ رَأْيِكَ فِي الْحَيَاةِ مُجَاهِدًا إِنَّ الْحَيَاةَ عَقِيدَةٌ وَجِهَادٌ

من هنا كانت فكرة التغيير التي تحملها الحضارة في شقّها المادّي أسهل على الإنسان في مقدار تقبّله لها وتفاعله معها، بخلاف الشقّ الثاني من الحضارة والمتعلّق بالعادات والتقاليد والأفكار والتصوّرات التي يحملها الإنسان معه منذ أن يعي هذه الحياة.

وبعبارة أخرى: ليس عزيزاً على الإنسان أن يُقال له - مثلاً - بدل أن تطهو الطعام على الخشب، فإنّك تستطيع أن تطهوه على الغاز أو الكهرباء، أو أن يُقال له:

بدل أن تنتقل من مكان إلى مكان بواسطة الحيوان، فإنّك تستطيع أن تنتقل بواسطة

ص: 13

1- (1) سيأتى بعد ذلك مناقشة هذه القضية وما تعنيه بشيء من التفصيل.

السيارة أو الطائرة أو ما شاكل ذلك، وهكذا بقية الأمور الأخرى، ولكن يصعب على الإنسان كثيراً أن يبدل أمراً أخذه عن آبائه وأجداده، أو حتى توقفه على الخطأ الذى كان سائراً مدة طويلة من الزمن عليه، ومن هنا عبّر القرآن الكريم عن الرسالة التى نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنها ثقيلة(1).

«قَالُوا أَزِجُهُ وَآخَاهُ وَارْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَا تُوكَّ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ * وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَ إِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ * قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ * وَ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فغَلَبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ * وَالْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَ هَارُونَ * قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَزْجِلُّكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأَصَدِّ لِبَنِيكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * وَ مَا نَنْقِمُ مِنْآ إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ 2» .

ص:14

1- (1) كما فى قوله تعالى من سورة المزمل، الآية 5: «إِنَّا سَأَلْنَاكَ قَوْلًا ثَقِيلًا».

وفى سورة طه:

«فَلَا قُطْعَانَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا أَصَابَةَ لَبْتِكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَ لَتَعْلَمُنَّ إِنَّا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى * قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى 1» .

لقد وقفتُ أمام هذا النص القرآني مراراً وتكراراً وتأملتُ فيه طويلاً فوجدتُ أمامي شخصيتين:

الشخصية الأولى

كانت مشدودة إلى المال:

«قَالُوا إِنْ لَنَا لِأَجْرٍ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ 2» .

وكانت مرتبطة بفرعون وعزته وقوته:

«وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ 3» .

وكانت تعيش التحدي لموسى عليه السلام ولرسالته، حتى قال لهم موسى:

«وَيَلِكُمْ لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيَسْحَتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ

ص:15

مَنْ افْتَرَى 1 .

كانت هذه عقيدتهم وهذا هو توجههم ومنطقهم مع موسى عليه السلام ورسالته.

أما الشخصية الثانية

فأصبحت مؤمنة خاضعة ساجدة لله سبحانه وتعالى:

«فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَ مُوسَى 2» .

وأصبحت واعية البصيرة والبيّنة في دينها وإيمانها:

«لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ 3» .

وأصبحت الموطّنة نفسها للشهادة من أجل الله ورسالته:

«فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ 4» .

«وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا 5» .

وهناك من يسلب منه حتى تمييز الحق من الباطل والطيب من الخبيث والجيد من الرديء فمثل هؤلاء لا يسمعون ولا يهيأون للسمع أصلاً:

«وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ» .

ص: 16

من هنا وبعد هذه الإطلالة السريعة على ما يفعله الإيمان في نفوس الناس لاسيما مع سحرة فرعون كما تقدّم، نعرف سرّ هذه الانتقالة السريعة التي حصلت في حياة هذا الشهيد الكربلائي (رض)، هذا الرجل الذي لم يبق مع الحسين عليه السلام إلاّ مدّة وجيزة من الزمن وإذا به يرجع ووجهه يتلألأ نوراً واستبشاراً بدعوة الحسين له إلى نصرته ونصرة الدين.

ولقد علم الرجل منذ اللحظة الأولى أنّ مثل هذا القبول لمثل هذه الدعوة سيؤدّي إلى موت محقّق غير مشكوك فيه، فضلاً عن عدم حصول مثل هذا الإنسان على أبسط مقدار من حطام هذه الدنيا الفانية وتمتعها الزائلة.

لقد برهن زهير بن القين أنّه يحمل نفساً أكبر من أن تتقيّد بقيود التوجّه أو الفهم الخاطئ لهذا الأمر أو ذاك، بل إنّ أعطى صورة مفادها أنّ الدين عنده أعظم من كلّ شيء، وله يجب تقديم كلّ شيء، وهذه بتقديرى فضيلة كبرى ومنزلة فضلى تمتّع بها (رض)، يقول ابن القيم في تفسير الآية الكريمة:

«فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ 1» .

(فمّن هداه الله سبحانه إلى الأخذ بالحق حيث كان ومع من كان ولو كان مع من يبغضه ويعاديه وردّ الباطل مع من كان ولو كان مع من يحبه ويواليه، فهو ممّن هداه الله لِمَا اختلف فيه من الحق، فهذا أعدل الناس وأقومهم قِيالاً)⁽¹⁾.

ص:17

يقول صلى الله عليه وآله وسلم:

«اقبل الحق ممن أتاك به صغيراً أو كبيراً وإن كان بغيضاً، وازدّد الباطل على من جاء به صغيراً أو كبيراً وإن كان حبيباً»(1).

ويقول صلى الله عليه وآله وسلم:

«السابقون إلى ظلّ العرش طوبى لهم.

قيل: يا رسول الله، ومن هم؟ فقال:

الذين يقبلون الحقّ إذا سمعوه، ويبدّلونه إذا سألوه، ويحكمون للناس كحكمهم لأنفسهم»(2).

ويقول الإمام الصادق عليه السلام:

«إنّ الله إذا أراد بعبدٍ خيراً شرح صدره للإسلام، فإذا أعطاه ذلك أنطق لسانه بالحقّ وعقد قلبه عليه فعمل به، فإذا جمع الله له ذلك تمّ له إسلامه... وإذا لم يُرد الله بعبدٍ خيراً وكَلَهُ إلى نفسه وكان صدره ضيقاً حرجاً، فإن جرى على لسانه حقّ لم يعقد قلبه عليه، وإذا لم يعقد قلبه عليه لم يعطه الله العمل به»(3).

ومن كلّ ما تقدّم من النصوص نفهم أنّ علينا - إذا ما أردنا أن نتّبع هذا الشهيد الكربلائي (قابل الحق والمدافع عنه) - أن نكون ممن يرضى حرمة الحقّ

ص: 18

1- (1) كنز العمال: برقم 31556.

2- (2) بحار الأنوار: ج 75، ص 29.

3- (3) الكافي: ج 8، ص 13.

فى نفسه ومع الله، وىجابه الباطل أينما كان، ومع مَنْ كان، حتى ولو كلفه ذلك تقديم نفسه بين ىدىّ الله سبحانه وتعالى، فأصحاب الحسين عليه السلام إنّما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من المنزلة والرفعة والمكانة السامية فى الدنيا والآخرة من خلال مواقفهم المبدئية، وتقديمهم الغالى والنفس من أجل الدين.

ولم تكن المسألة متعلّقة بالأمانى فقط، فكلّ إنسان بإمكانه أن يتمنى الكثير، يتمنى أن يكون أعظم الناس وأفضل الناس وأعلم الناس، بل ويتمنى أن ىدخل الجنة وىكون من ساداتها وشخصياتها، ولكن على أرض الواقع لا يعمل ما یتناسب مع مثل هذه التمنّيات، فىكون مثله مثل اليهود فى تمنّياتهم، حيث يقول القرآن الكريم:

«لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلاَ أمانِيَّ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ يَعْمَلُ سُوءاً يُجْزى بِهِ 1» .

يقول الشيخ مكارم الشيرازى فى تفسير الأمل: (جاء فى تفسير مجمع البيان وتقاسير أخرى أنّ المسلمين وأهل الكتاب كانوا یتفاخرون بعضهم على بعض، فكان أهل الكتاب یتباهون بكون نبيّهم قد بعث قبل نبيّ الإسلام، وأنّ كتابهم أسبق من كتاب المسلمين، بينما كان المسلمون ىفتخرون على أهل الكتاب بأنّ نبيّهم هو خاتم النبيين، وأنّ كتابه هو آخر الكتب السماوية وأكملها.

وفى رواية أخرى نقل أنّ اليهود كانوا ىدعون أنّهم شعب الله المختار، وأنّ نار جهنّم لا تمسّهم إلاّ لأيام معدودات كما ورد فى سورة البقرة:

«وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً ۗ» 1 .

وإنَّ المسلمين كانوا يقولون ردّاً على كلام اليهود هذا بأنهم خير الأمم؛ لأنَّ الله قال في شأنهم:

«كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ۗ» 2 .

ولذلك نزلت الآية الكريمة ودحضت كلَّ هذه الدعاوى، وحددت قيمة كلِّ شخص بما يقوم به من أعمال(1).

وعليه فإنَّ زهير بن القين قد أثبت قيمته من خلال موقفه وعمله، الذي كَرَّمَ من خلاله في الدنيا والآخرة حتى صار مع الحسين رفيقاً وكفى بها نعمة، فماذا عتاً؟ أنكتفى بالأمانى أم نتحرك لإعطاء القيمة لأنفسنا من خلال العمل والموقف:

«وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ»؟ (2).

زهير بن القين والفتوحات الإسلامية

إشارة

إنَّ أجمل ما يمكن أن يترجم به الإنسان المسلم اعتقاده بالله عزَّ وجلَّ وبما أعدّه للمطيعين والسائرين في خطِّ الدعوة إليه، هو حمله لروحه على أسنَّة الرماح، ودمه على راحته، وسيفه على عاتقه، من أجل أن يقاتل من يبغى في الأرض فساداً ولا يرفعى للبشرية أدنى حقوقها، ومن ثم ينشر الخير والعدل والنور والتسامح في

ص:20

1- (3) تفسير الأمل: ج 3، ص 465-466.

2- (4) التوبة: 105.

أرجاء هذه الدنيا، من هنا صار الجهاد فريضة لازمة لإعلاء كلمة الله وإنقاذ المستضعفين وقهر الظالمين، لاسيما حينما يخير الإنسان المؤمن بين حالين لا ثالث لهما، فأما العزة والكرامة وأما الذلة والهوان.

يقول الله عز وجل وهو يتحدث عن نبي الله شعيب الذي اختلف قومه في دعوته، فأمنت بها طائفة وكفرت به طائفة أخرى، وهو يدعو الطائفة الكافرة إلى الصبر حتى يحكم الله بينه وبينهم، فيأبون إلا أن يخرجوه هو وأصحابه من ديارهم أو يعيدوهم في ملتهم، ولا يطيقون وجود فئة تؤمن بالله وبرسالته في ديارهم:

«وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُزِيلَتْ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا ۗ» .

وهنا يقف الداعي إلى الله كالجبل الأشم مجاهداً في سبيل الله للحفاظ على دينه والتبري من الكفر الذي نجاه الله منه، ويلجأ إلى القوى القادر يستنصره فيأتيه النصر ويفتح الله بينه وبين عدوه وهو خير الحاكمين.

يقول الله عز وجل:

«قَالَ أَوْ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ * قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ

يَسَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ 1» .

إنَّ المؤمن ليتحرَّك في هذا الخط وهو يعيش الأمل الكبير في الله عزَّ وجلَّ، هذا الأمل الذي يجعله في أعلى درجات الراحة والاطمئنان وهو يؤيِّد مثل هذا التكليف، حتى أنَّ الشهيد ليرتجى أن يعود إلى هذه الدنيا فيقتل عشرات المرات لِمَا يرى من عظيم الكرامة وكبير المنزلة، مثلما حصل مع الشهيد زهير بن القين كما سيأتينا في الحديث عنه مجاهدًا بين يدي الحسين عليه السلام.

من هنا نجد أنَّ عطاءات هذا الشهيد لم تنحصر في كربلاء، بل كان قبلها ألوان من الجهاد والدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ في شتى صورها وأشكالها، ومنها تلك المشاركة الواضحة والفاعلة في الفتوحات الإسلامية، هذه الفتوحات التي كان للشهيد الكربلائي وأمثاله الدور الأبرز في الحفاظ على قيم الإسلام داخلها وعدم الانحراف فيها، لاسيَّما وقد تحكَّم في بعضها مجاميع من القيادات التي لم تعرف الإسلام حقَّ معرفته.

معركة باب الأبواب

ومن هذه المعارك التي خاضها الشهيد الكربلائي (رض) هي معركة باب الأبواب، والتي كانت تمثِّل مركزاً وقاعدة لانطلاق الفتوحات الأخرى، لاسيَّما نحو المدن التركية وما حولها أو ما يُعرف بـ (بلاد الترك)، وكان من جملة تلك الفتوحات هو فتح عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي لبلاد أرمينية.

ويبدو لى أنّ هذه المنطقة قد تمّت محاصرتها فى زمن عمر واستمرّت لمُدّة ليست بالقصيرة كما سيأتينا، وأما فتحها بشكل كامل فقد تمّ فى زمن عثمان، ومن هنا وقع الاختلاف عند المؤرّخين فى عصر الخليفة الذى حصلت فيه هذه المعركة، حيث نسبها بعضهم إلى عمر (1)، والبعض الآخر إلى عثمان (2)، خصوصاً وأنّ شخصيات هذه المعركة وقادتها الرئيسيين لم يتغيّر الكثير منهم.

بدايات المعركة

إشارة

وتبدأ المعركة حينما يرسل عمر بن الخطاب جيشاً على رأسه حبيب بن سلمة ليدخل إلى مدينة (باب الأبواب) من جهة الغرب، وجيشاً آخر بقيادة عبد الرحمن بن ربيعة الباهلى ليدخل المدينة من جهة الشرق، يعنى بعبارة أخرى: أنّهم استعملوا نفس الخطة التى استعملوها فى فتح أذربيجان، المهم يتقدم الجيشان حتى يصلوا إلى مدينة الباب، أو ما يُعرف ب - (باب الأبواب)، حيث كان الحاكم لهذه المدينة هو (شهر براز)، فيتسارع إلى طلب الصلح من قيادة الجيش الإسلامى الفاتح، ويضع شرطاً أن يقف أهل الباب دفاعاً عن الباب وعن المسلمين، ويقاتلوا من أجلهم على أن يسقطوا الجزية عنهم أو أخذ أجر فى قبالة من المسلمين.

وبعد أن تمّ الصلح سقطت مدينة الباب التى كانت من أشدّ المناطق حصانة من دون صعوبة تُذكر، وبمجرّد أن فتح الباب أصبح المسلمون على حدود بلاد

ص: 23

1- (1) تاريخ الطبرى: ج 4، أحداث سنة 32 هـ -.

2- (2) تاريخ الطبرى: ج 4، أحداث سنة 24 هـ -.

الترك(1)، ويأتي هنا حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما تحدّث عن مثل هذه الغزوة كما روى ذلك الكثير من العلماء، يقول صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا- تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر، وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه دلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة(2)»(3).

وربّما كان شعور عبد الرحمن بن ربيعة بمثل هذا الحديث وأمثاله دافعاً لهم أكثر في الخوض في هذه المعركة، حتى تحقّق كلّ بنود هذه النبوة المحمدية المقدسة، فيجهز عبد الرحمن جيشاً وفي نفس الوقت يرسل إلى شهر براز - وهو الذى عقد معه الصلح - لإخباره بما يفكّر فيه، فقال له: ما تريد؟

قال: أريد أن أغزو بلنجر والترك، قال: لقد رضينا منهم ألا يغزونا ولا نغزوهم، فقال: ولكننا لا نرضى حتى نغزوهم في ديارهم، وتالله إنّ معنا أقواماً لو يأذن لنا أميرنا في الإذعان لبلغت بهم إلى الروم، فقال: ومن هم؟ عندها وصف عبد الرحمن له صفات من معه لاسيّما الشهيد الكربلائي زهير بن القين، حيث يقول: (هم أقوام صحبوا رسول الله ودخلوا في هذا الأمر بنبيّة، ولا يزال هذا الأمر لهم دائماً، ولا يزال النصر معهم حتى يغيّرهم من يغلّبهم(4)).

ص: 24

1- (1) الكامل في التاريخ: ج 2، ص 429-430.

2- (2) يعنى وجوههم تتّصف بأنّها غليظة وكثيرة اللحم وتميل إلى الحمرة، ولهم أنوف قصيرة، ويلبسون الشعر ويتعلوه.

3- (3) إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، كتاب الفتن، باب ما جاء في قتال الترك: ج 1، ص 367.

4- (4) الكامل في التاريخ: ج 2، ص 431.

وهنا لا بد لنا أن نقف أمام هذه الكلمة العظيمة التي ذكرها لنا التاريخ بفخر واعتزاز عن عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي، وهو يتحدث مع ملك كبير كان موجوداً على بلاد شديدة التحصن في ذلك اليوم، ألا وهي (باب الأبواب)، هذه الكلمات التي تحمل في طياتها نظراً ثاقباً وفهماً عميقاً للإسلام حين يؤكد على أن النصر دائماً مع المسلمين، وهذا هو وعد الله الذي طالما قرأه وسمعه وعاشه كل مسلم، كما في قول الله عز وجل:

«وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ 1» .

بل حتى قضية العدد والعدة لم تكن لتشكّل عنصر خوف وقلق عند المسلمين، بل بالعكس، كانت تمثل شعوراً بتأمل فضل الله ورحمته أكثر، يقول القرآن الكريم:

«إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ 2» .

وهنا تأتي كلمة هذا القائد الكبير عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي، حيث يؤكد على هذه الحقيقة الإسلامية المهمة: إن النصر دائماً حليف المسلمين حتى يتغيروا، ولكن يا ترى من الذي سوف يغيّرهم؟

هنا وبمنظرة ثاقبة يقول له: إن الذي يغيّرهم هو من يغلبهم. وبعبارة أخرى: إن غالب المسلمين هو ذاك الذي يستطيع أن يزيلهم ويدفعهم عن دينهم والتزامهم

واستقامتهم. وبمراجعة سريعة إلى التاريخ وإلى وقتنا المعاصر، نجد أنّ هذه الغلبة - وللأسف الشديد - قد حصلت على المسلمين من قبل أعدائهم، وربما يكون واحداً من هذه الأسباب التي تقف وراء هذه الغلبة هو ما نعيشه ومنذ مدة ليست بالقصيرة من وجود انقسام للنخب الثقافية والفكرية من أبناء هذه الأمة الإسلامية إلى فريقين غير متجانسين، هما المتغربون والمحافظون إن صحّ التعبير.

أمّا الفريق الأول فيدعون إلى اقتفاء أثر الحضارة الغربية بحلّوها ومرّها، والفريق الثاني يدعو إلى التمسك بالأصول الفكرية التي قامت عليها الحضارة الإسلامية وازدهرت بسببها، ومن خلال هؤلاء حاول اليهود والنصارى أن يغيّروا المسلمين وبيّثوا روح اليأس من بعض مفاهيم الإسلام بحجّة عدم ملاءمتها للواقع وللعصر، فضلاً عن دعوات الحريات وإقامة الديمقراطية المستلزجة في كثير من الأحيان لإباحة النساء والانحراف في داخل الأمة الإسلامية.

ومن ثم استطاعوا أن يغيّروا المسلمين كلّ هذه التغييرات، وهذا بالذات هو معنى كلام عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي: لا يزال هذا الأمر دائماً لهم والنصر معهم حتى يغيّروهم من يغلبهم.

غزوة بلنجر

بعدهما تحدّث عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي مع الملك في غزو الترك، والتي كانت قوّة كبيرة لا يُستهان بها، حتى أنّ الفرس عقدوا معهم اتفاقية ألاّ يغزوهم وأن يحترم كلّ واحد منهم الآخر.

يقول ابن أعثم: (وتسامعت ملوك أرمينية بدخول العرب إلى بلدهم فهربوا

على وجوههم حتى تحصنوا في الجبال والقلاع والأودية والغياض، وجعل بعضهم يقول لبعض: إنه قد جاءنا قوم بلغنا أنهم نزلوا من السماء، فليس يموتون ولا يعمل فيهم السلاح... ثم انه سار يريد مدينة الباب، وبها يومئذ خاقان ملك الخازر في زهاء ثلاثمائة ألف من الكفار، فلما سمع بمسير العرب إلى من قبله ارتحل عن مدينة الباب، فقيل له: أيها الملك، أنت في ثلاثمائة ألف وهؤلاء في عشرة آلاف وتنهزم من بين أيديهم؟

فقال: إنه بلغني عن هؤلاء القوم أنهم نزلوا من السماء، وأن السلاح لا يعمل فيهم، فمن يقوم لهؤلاء؟ قال ثم جعل يمر على وجهه(1).

واستمر الأمر على هذه الحال مدة من الزمن، حتى إذا نزلوا بعد ذلك على نهر وفيه جماعة من الخزر من أصحاب خاقان، فأقبل رجل منهم لينظر إلى عسكر المسلمين، فبينما هو كذلك إذ نظر إلى رجل من المسلمين قد نزل إلى ذلك النهر ليغتسل فيه، فأحب أن يجرب السلاح أيعمل فيه أصلاً؟ فاستخرج له سهماً فرماه به فقتله، ثم دنا منه فأخذ ثيابه واحتر رأسه وجاء به بين يدي خاقان وقال: أيها الملك، هؤلاء بلغك عنهم أن السلاح لا يعمل فيهم، وأن القتل لم يكتب عليهم، فلما نظر خاقان إلى ذلك نادى في أصحابه فجمعهم، ثم إنه رجع على المسلمين في ثلاثمائة ألف فقاتلهم وقاتلوه حتى ما بقي من المسلمين أحد(2)، فقتل قائد المعركة واستلم الراية من بعده أخوه سلمان.

ص: 27

1- (1) الفتوح لابن أعمش: ج 2، ص 344.

2- (2) الفتوح لابن أعمش: ج 2، ص 345.

يقول السيد الزنجاني في وسيلة الدارين: (استشهد عبد الرحمن بن ربيعة وأخذ الراية أخوه سلمان بن ربيعة، ولم يزل يقاتل حتى أمكنه دفن أخيه بنواحي بلنجر ورجع ببقية المسلمين عن طريق جيلان فيهم سلمان الفارسي وأبو هريرة، فقال عبد الرحمن بن حجانة الباهلي:

وَإِنَّ لَنَا قَبْرَيْنِ قَبْرُ بَلَنْجَرٍ وَقَبْرُ بَأَرْضِ الصَّيْنِ يَا لَكَ مِنْ قَبْرِ

فَهَذَا الَّذِي بِالصَّيْنِ عَمَّتْ فُتُوْحُهُ وَهَذَا الَّذِي يُسْقَى بِهِ سُبُلُ الْقَطْرِ (1)

حديث بلنجر

وفي هذه الواقعة حدث الشهيد الكربلائي زهير بن القين الذي كان حاضراً فيها ومشاركاً بها قائلاً: (غزونا بلنجر ففتح الله علينا، وأصبنا غنائم كثيرة، فقال لنا سلمان الفارسي (2): أفرحتم بفتح الله عليكم، فإذا أدركتم شباب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم) (3).

قال سلمان هذا الحديث لزهير بن القين قبل أن تقع واقعة كربلاء بثلاثين عاماً تقريباً، ولا شك أن سلمان لم يقل هذا الحديث من عنده؛ بل لأنه سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي طالما تحدث عن كربلاء وما يجري فيها على أهل بيته

ص: 28

1- (1) وسيلة الدارين: ص 144-145.

2- (2) إقماً أن يكون سلمان الفارسي؛ لأنه كان من المشاركين في هذه الحملة، حتى أن صاحب كتاب الروض العطار في خبر الأقطار رواها عن سلمان: ج 1، ص 93. ويحتمل أن يكون سلمان الباهلي؛ لأنه كان يلي لعمر الخيل على مقاسم مغانم المسلمين حين افتتحو بلاد العجم: ج 1، ص 94. أسد الغابة ج 2، ص 225.

3- (3) ابن الأثير في الكامل: 42/4.

وأُمَّته، بل وحتى زوجاته كان لهنّ نصيب من هذه الإخبارات، والتي ذكر فيها ما يصنعه شرار هذه الأمة بعترته وأهل بيته، من تقتيل وتقطيع للأوصال وانتهاك لحرم الله عزّ وجلّ.

وحتى تقف على بعض هذه الأحاديث التي جاءت في هذا السياق والذي جاء فيه حديث بلنجر الذي رواه الشهيد الكربلائي، أذكر لك جانباً منها:

1 - روى الحاكم في المستدرک بسنده عن عبد الله بن وهب بن زمعة قال: أخبرتني أم سلمة (رض) أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اضطجع ذات ليلة للنوم فاستيقظ وهو حائر، ثمّ اضطجع فرقد، ثمّ استيقظ وهو حائر دون ما رأيت في المرّة الأولى، ثمّ اضطجع فاستيقظ وفي يده تربة حمراء يقبلها، فقلت: ما هذه التربة يا رسول الله؟ قال: أخبرني جبرئيل أنّ ولدي هذا يقتل بأرض العراق وأشار إلى الحسين عليه السلام، فقلت لجبرئيل: أرني تربة الأرض التي يقتل بها فهذه تربتها» (1).

2 - روى الهيثمي عن الطبراني بسنده عن أبي الطفيل: (قال: استأذن ملك القطر أن يسلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيت أم سلمة، فقال: لا يدخل علينا أحد فجاء الحسين بن علي فدخل، فقالت أم سلمة: هو الحسين عليه السلام، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: دعيه، فجعل يعلو رقبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويعبث به والملك ينظر، فقال الملك: أتحبّه يا محمد؟ فقال: أي والله، إنّي لأحبّه).

قال: أما إنّ أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك المكان، فقال بيده فتناول كفاً من تراب، فأخذت أم سلمة التراب فصرتّه في خمارها، فكانوا يرون أنّ ذلك

ص: 29

3 - أخرج الطبراني في المعجم الكبير بإسناده عن أم سلمة قالت: كان الحسن والحسين يلعبان بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيتي، فنزل جبرئيل فقال: يا محمد، إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك، فأوماً إلى الحسين، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وضمه إلى صدره، وأناه بترية فشمها ثم قال:

ريح كرب وبلاء، وقال: يا أم سلمة، وديعةٌ عندك هذه التربة، إذا تحوّلت هذه التربة دماً فاعلمي أنّ ابني قد قُتل، فجعلتها في قارورة، ثم جعلت تنظر إليه كلّ يوم، وتقول: إنّ يوماً تتحوّلين دماً ليوم عظيم(2).

4 - عن عبد الله بن نجى عن أبيه: أنّه سار مع علي عليه السلام وكان صاحب مطهرته، فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى حطين، فنادى علي عليه السلام:

اصبر أبا عبد الله، اصبر أبا عبد الله بشط الفرات، قلتُ: وماذا؟ قال: دخلتُ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعيناه تفيضان، قلتُ: يا نبيّ الله، أغيظك أحدٌ؟ ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: بل قام من عندي جبرئيل قبل، فحدثني أنّ الحسين يُقتل بشطّ الفرات، قال: فقال: هل لك إلى أن أشمّك من تربته؟ قال: قلتُ: نعم، فمدّ يده فلم

ص:30

1- (1) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: كتاب المناقب، باب مناقب الحسين بن علي عليهما السلام، مسألة: 15121.

2- (2) المعجم الكبير للطبراني: ج 3، ص 81.

عثماني الهوى

إشارة

ورد مصطلح (عثماني) أو (عثمانية) الهوى في كتب التاريخ والرجال ومعاجم البلدان، حيث أُطلق على جهتين أساسيتين في الأعم الأغلب، وهما:

1 - مدن ومواقع معيّنة من العالم الإسلامي

فقد ذكرت المصادر التاريخية والمهتمة بهذا الشأن أنّ هناك مدناً معيّنة تمّ وصفها دون غيرها بأنّها كانت عثمانية.

يقول صاحب العقد الفريد: (الأصمعي قال: البصرة كلّها عثمانية(2)، والكوفة علوية، والشام أموية، والجزيرة خارجية، والحجاز سنّية، وإنّما صارت البصرة عثمانية من يوم الجمل إذ قاموا مع عائشة وطلحة والزبير، فقتلهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام(3).

وقال محمد بن علي العباسي - زعيم الحركة العباسية - لدعاته: (أمّا

ص: 31

1- (1) مسند أحمد: ج 2، ص 60.

2- (2) يقول العلامة المظفر: (كان التشيع شائعاً في قبائل البصرة، وكفى البصرة أن يكون فيهم مثل يزيد بن مسعود النهشلي صهر أمير المؤمنين وشيعته الذين لولا حيلولة القدر لنصر الحسين وبين يديه ما يربو على عشرة آلاف مقاتل... وقال: «مهما اجتهدوا أن يجعلوا العراق أمويّاً كانت تلك الجهود فاشلة وكانت الروح السائدة عليه هاشمية علوية خاصّة إلاّ في البصرة في عهد قليلة)، تاريخ الشيعة للعلامة المظفر: ص 76، و ص 113.

3- (3) العقد الفريد: ج 6، ص 248.

الكوفة وسوادها فهناك شيعة على وولده، وأمّا البصرة وسوادها فعثمانية(1).

ويقول الشيخ محمد الطنطاوى فى كتابه (نشأة النحو) وما جرى من حرب فى البصرة عرفت بالجمال: (ومن هذه الحادثة اختلف الهوى السياسى بين المدينتين، فالبصرة عثمانية والكوفة علوية، وكان هذا الاختلاف فى الانحياز ناتج طبيعة المدينتين؛ لأن الكوفة أهل طاعة وخشوع، بعكس أهل البصرة المشتهرين بالعصيان والشقاق والعصية)(2).

2 - مجاميع من الناس أفراداً وجماعات

قد حفلت فى هذا القسم كتب التاريخ والرجال وغيرها بالكثير من الروايات التى وصفت أشخاصاً معيّنين بأنهم عثمانيون، أو مجاميع من الناس بأنّها كانت على نفس هذه الشاكلة. يقول ابن خلدون فى مقدّمته وهو يتحدّث عن مصر وما حصل فيها من اضطراب مع محمد بن أبى بكر:

(وقد اضطرب الأمر على محمد بن أبى بكر وخرج عليه معاوية بن مذحج السكونى مع جماعة من العثمانية بنواحي مصر)(3).

ويقول البلاذرى: (ووافى علىّ الرقة وبها جماعة ممّن هرب إليها من الكوفة من العثمانية الذين أهواؤهم مع معاوية)(4).

ص: 32

1- (1) معجم البلدان للحموى: ج 2، ص 352.

2- (2) نشأة النحو للشيخ الطنطاوى: ص 106-107.

3- (3) مقدمة ابن خلدون: ج 4، ص 294.

4- (4) أنساب الأشراف للبلاذرى: ج 1، ص 323.

أمّا كتب الرجال فحدّث ولا حرج، فقد ذكرتُ الكثيرُ منها في مقام الترجمة لبعض الرجال أنّهم كانوا عثمانية أو عثمانيّ الهوى، وللمثال أذكر النماذج التالية:

يقول ابن حجر: (عبد الله بن إدريس الأزري: إنّ صاحب سنّة وجماعة، وكان صلباً في السنّة، وكان عثمانياً)، ويقول كذلك في عبد الله بن عون البصرى أنّه موثّق، وله عبادة وصلابة في السنّة، وشدة على أهل البدع، قال ابن سعد: وكان عبد الله بن عون البصرى عثمانياً(1).

ويقول الذهبي عن مغيرة بن مقسم أبو هشام الضبي الكوفي: (وكان عثمانياً، إلا أنّه كان يحمل على علي عليه السلام بعض الحمل)(2).

ويقول ابن خراش عن عبد الله بن شقيق العقيلي: (كان ثقة، وكان عثمانياً يُغض عليّاً)(3).

زهير بن القين عثمانيّ الهوى

إشارة

وفى نفس هذا السياق وعلى الطريقة المتقدّمة بعينها ذكر المؤرّخون أنّ الشهيد الكربلائي كان عثمانياً الهوى.

يقول ابن الأثير: (وكان زهير بن القين البجلي قد حجّ، وكان عثمانياً، فلما عاد جمعهما الطريق من مكّة إلا أنّه لا ينزل معه، فاستدعاه يوماً الحسين عليه السلام فشقّ

ص: 33

1- (1) تهذيب التهذيب، ج 5، ص 15، و ص 82.

2- (2) سير أعلام النبلاء: ج 6، ص 261.

3- (3) تهذيب الكمال: ج 4، ص 162.

عليه ذلك، ثم أجابه على كُرّه، فلمّا عاد من عنده نقل ثقله إلى نقل الحسين عليه السلام، ثمّ قال لأصحابه: بن أحبّ منكم أن يتبعني وإلاّ فإنّه آخر العهد، وسأحدّثكم حديثاً: غزونا بلنجر ففتّح علينا، وأصبنا غنائم ففرحنا، وكان معنا سلمان الفارسي فقال لنا: إذا أدركتم سيّد شباب أهل محمّد فكونوا أشدّ فرحاً بقتالكم معه بما أصبتم اليوم من الغنائم. فأما أنا فأستودعكم الله، ثمّ طلق زوجته وقال لها: إلحقي بأهلك(1).

ويقول السيد الأمين: (زهير بن القين بن قيس الأنماري البجلي، استشهد مع الحسين عليه السلام سنة 61 هـ -، كان زهير أوّلاً عثمانياً وكان قد حجّ في السنة التي خرج فيها الحسين عليه السلام، فلمّا رجع من الحجّ جمعه الطريق مع الحسين، فأرسل إليه الحسين فكلمه، فانتقل علويّاً وفاز بالشهادة(2)).

ويقول الشيخ السماوي عن زهير بن القين: (وكان أوّلاً عثمانياً، فحجّ سنة ستين في أهله، ثمّ عاد فوافق الحسين عليه السلام في الطريق، فهده الله وانتقل علويّاً(3)).

سؤال وجواب

إشارة

وهنا - وبعد كلّ ما تقدّم - لا بدّ لنا أن نسأل عن ماهية هذه العثمانية التي حملها ونقلها لنا التاريخ عن الشهيد الكربلائي زهير بن القين (رض)، وكيف يمكن - يا ترى - أن ينسجم مثل هذا الأمر - على فرض صحّته - مع المواقف

ص: 34

1- (1) الكامل في التاريخ: ج 4، ص 42.

2- (2) أعيان الشيعة: ج 7، ص 71-72.

3- (3) أبصار العين للسماوي: ص 161.

العظيمة التي صدرت منه (رض) ونقلها لنا التاريخ؟ لاسيّما قوله للحسين عليه السلام: والله، لو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلصين - إلا أن فراقها في نصرک ومواساتک - لآثرنا الخروج معک على الإقامة فيها(1).

وحتى نجيب عن هذا السؤال المهمّ وأسئلة أخرى كثيرة معه، يوجد عندنا اتجاهان أو رأيان، أحدهما مشهور، بل ربّما يكون هو الرأى المتأخّم للإجماع إن لم نقل بالإجماع، وهو الرأى الناقل والقابل لعثمانیة الشهيد زهير بن القين (رض). وفى قبال هذا الرأى هناك من لا يرى عثمانیة الشهيد الكربلائى، كما یدهب إلى ذلك جماعة من العلماء المحقّقين.

وحتى تكون الفائدة أكبر والنفع أعظم، سوف نحاول أن نسلّط الأضواء على الرأیین معاً؛ من أجل أن يكون القارئ أكثر إحاطةً وفهماً بما كُتب ويكتب عن الشهيد الكربلائى (رض)، مسلّطين الأضواء فى نفس الوقت على ما يمكن أن يكون مورداً للعظة والعبرة والدرس تحت كلّ من هذين الرأیین.

الرأى الأوّل

عمدة ما يمكن أن يستدل به أصحابُ هذا الرأى على عثمانیة الشهيد زهير ابن القين (رض)، هى مجموعة من الروایات التى أشارت إلى عثمانیة الشهيد، إمّا نصّاً وإمّا بألفاظ أخرى تُعطى نفس هذا المعنى أو ما يقرب له، كما روى - مثلاً - أنّه كان يكره مسایرة الإمام الحسين عليه السلام حتى فى الطريق، أو أنّه كان أموىّ الهوى، أو ما شاكل ذلك من الألفاظ التى تصبّ فى معنى واحد مهمّ، وهو عدم

ص: 35

ملاءمة هوى الشهيد الكربلائي وعقيدته هوى الحسين عليه السلام وعقيدته، ولقد ذكروا في هذا العدد مجموعة من الروايات أذكر منها ما يلي:

1 - ورد في كتب التاريخ والمقاتل وغيرها، أنّ عزرة بن قيس البجلي - وهو قائد كبير - كان على خيالة الجيش الذي زحف يوم العاشر من المحرم لحرب الحسين بقيادة عمر بن سعد، قال للشهيد الكربلائي زهير بن القين: يا زهير، ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت، إنّما كنت عثمانياً(1).

2 - يقول البلاذري في كتابه (أنساب الأشراف): (قالوا: وكان زهير بن القين البجلي بمكة، وكان عثمانياً)(2).

3 - ويقول أبو مخنف في مقتله: (عن رجل من بني فزارة قال: كنت مع زهير ابن القين البجلي حين أقبلنا من مكة نساير الحسين، فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل، فإذا سار الحسين تخلف زهير بن القين، وإذا نزل الحسين تقدّم زهير، حتى نزلنا في منزل لم نرُبدأً من أن ننازله فيه)(3).

إضافةً إلى ما ذكره الآخرون أمثال ابن الأثير وغيره، والذي لا يخرج عمّا ذكرته الروايات الثلاثة المتقدمة إجمالاً، بل وكذا ورد نفس هذا المعنى في كتب علمائنا أمثال السيد الأمين في الأعيان، والمقرم في مقتله، وأمثالهما(4).

ص:36

1- (1) انظر: تاريخ الطبري: ج 3، ص 314.

2- (2) أنساب الأشراف للبلاذري: ج 3، ص 1304، دار الفكر (بيروت)، تحقيق: د. سهيل زكار، د. رياض زركلي.

3- (3) مقتل أبي مخنف: ص 162، تحقيق الشيخ محمد هادي اليوسفي.

4- (4) السيد الأمين في الأعيان: ج 7، ص 71-72 مقتل الحسين للمقرم، ص 177.

وتحت هذا الرأى الأول الذى يذهب إليه جُلّ العلماء من المدرستين، توجد هناك مجموعة من العظّات والعبر المهمة علينا أن نسلّط الأضواء عليها، حتى تكون لنا مرجعاً ومونلاً نلوذ بها عند الشدائد.

1 - عثمانى غير معاند

ليس عيباً على الإنسان أن يتخذ له فى حياته منهجاً أو مذهباً فكرياً أو حتى طريقة اعتقادية معينة، مؤمناً أنه الحق الذى لا باطل فيه، ولكن العيب كلّ العيب أن يبقى مثل هذا الإنسان مصرّاً على رأيه، متمسكاً بمعتقده حتى بعد بيان فساده وضلاله وانحرافه، لاسيّما ونحن نعلم أنّ الحق بيّن واضح جليّ كالشمس لا يمكن أن تحجب بالغيوم، فلا يمكن كتمان الحق إلى الأبد، ولا القضاء عليه إلى الأبد.

يقول الإمام الصادق عليه السلام وهو يتحدّث عن الحق والباطل وأنهما لا يمكن أن يختلطا بالشكل الذى لا يُميّز فيه أحدهما عن الآخر، خصوصاً فى قلب الإنسان وضميره:

«لا يستيقن القلب أنّ الحق باطل أبداً، ولا يستيقن القلب أنّ الباطل حق أبداً»⁽¹⁾.

وهذه بتقديرى حجة بالغة لله على خلقه «فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ 2»، بحيث إنّ الإنسان لو عاد إلى قلبه وتأمل فيه بعيداً عن كلّ المؤثرات الأخرى، لأصبح

ص:37

هذا القلب مقياساً لمعرفة الحقّ وبيانه وكشف الباطل وإدائته، وإذا ما تبين الحق وبانت معالمه، فعلى الإنسان أن يدعّن له ويسلّم، فإنّ حقيقة الإيمان هي الإذعان والتسليم ظاهراً وباطناً إلى الحق.

ولقد مدح الله سبحانه وتعالى جماعة من النصارى وميّزهم عن اليهود، لا لشىء، إلاّ لأنّهم كانوا لا يستكبرون عن الحق إذا رأوه واطّلعوا عليه.

يقول القرآن الكريم:

«لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ 1» .

يقول الطبرسى فى تفسيره: إنّ هذه الآية الكريمة نزلت فى النجاشى وجماعة من النصارى من أصحابه، ثمّ ساق الحديث فى سبب النزول، إلى أن وصل إلى قوله: (فقال النجاشى لجعفر: هل تحفظ ممّا أنزله الله على نبيّك شيئاً؟ قال: نعم، فقرأ سورة مريم، فلما بلغ قوله:

«وَهَزَىٰ إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا خَمِيئًا» .

فقال: هذا والله هو الحق، فقال عمرو: إنّ مخالف لنا فردّه إلينا، فرفع النجاشى يده وضرب بها وجه عمرو وقال: اسكت، والله لئن ذكرته بعد بسوء لأفعلنّ بك، وقال: أرجعوا إلى هذا هديّته، وقال لجعفر وأصحابه: امكثوا، فإنّكم

سَيُوم، والسيوم الآمنون)(1).

وعليه، فإذا ما ظهرت بوادر الحق من أحد - أيّاً كان هذا الأحد - فينبغي عليه أن يقبله، فإنّ الإعراض عنه يورث طبعاً تكون نتيجته سلوك طريق الباطل والحيد عن طريق الحق.

يقول القرآن الكريم:

«سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةَ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا»(2).

حيث انتهوا إلى نهاية بشعة مؤلمة، فقد تركهم الله عزّ وجلّ في غيِّهم وشهواتهم يتردّدون، فلم يمنحهم اللطف والرحمة التي يمنحها للمؤمنين حينما يدلّهم على طريق الهداية وسبيل النجاة، لاسيّما عندما تكثر الفتن وتتعدّد السبل:

«وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا»(3).

ولقد تحدّث القرآن الكريم في طيّات آياته الكريمة عن نموذج من أولئك الذين تُركهم الله، بعد أن أصمّوا أسماعهم عن سماع الحق وأعينهم عن رؤيته وقلوبهم عن الإحساس به وكانوا قادرين عليه.

ص:39

1- (1) تفسير الطبرسي.

وهذا النموذج هو الوليد بن المغيرة المخزومي، عظيم مكة، وكان يملك من القدرات والمؤهلات ما يستطيع من خلالها أن يميّز الحق من الباطل، حيث لمس بنفسه وتيقن بقلبه أنّ ما يقوله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس سحراً وإنما هو وحى من قبل الله عزّ وجلّ، ولكنّه وقف بين أمرين: فإمّا أن يُدعن للحقّ ويسلم له، وإمّا أن يُدعن لهواه وهوى قومه فيتكبّر عليه، فاختر الأمر الثاني دون الأول.

ولكن ما الذى جرى يا ترى على الوليد بعد ذلك؟ وماذا قال عنه القرآن الكريم؟ وكيف عبّر عنه وبأى لهجة؟

يقول الله سبحانه فى سورة المدّثر وهو يسرد لنا قصّة هذا النموذج المتكبّر عن الحقّ:

«إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَكَانَ إِذَا سِحْرٌ يُؤْتَرُ * إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصَلِّيهُ سَقَرٌ * وَمَا أَذْرَاكَ مَا سَقَرٌ * لَا تُبْقَى وَلَا تَذَرُ * لَوَاحَةٌ لِّلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ 1» .

وعليه، فليس المهمّ أن يطّلع الإنسان على الحقّ أو أن يعرفه، وإنّما المهمّ أن تُدعن له نفسه وتطّيع.

يقول ابن مسعود: (مَن جاءك بالحقّ فاقبل منه وإن كان بعيداً بغيضاً، ومَن جاءك بالباطل فارده وإن كان حبيباً قريباً) (1).

ص: 40

1- (2) تفسير الطبرى الكبير: ج 9، ص 601.

فالمعيب في الإنسان هو عدم قبوله للحقّ بعد ظهوره له وبيانه عنده، ومن هنا نعرف أنّه ليس كلّ منحرف عن الحقّ يُعبّر عنه بأنه معاند، بل المعاند هو ذلك الإنسان الذي بانت له ملامح الحقّ فرفضها مع علمه بصحّتها وأحقّيتها.

«وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا» .

والإفانّ هناك الكثير من المنحرفين عن نهج وخط أهل البيت عليهم السلام في ما مضى، وفي هذا الوقت كذلك الذين لم يكونوا في يوم من الأيام من المعاندين والرافضين لهم، بل إنّ كلّ ما يمكن أن يُقال في حقّهم هو أنّهم كانوا من المغرّرين بهم نتيجة الدعايات المضلّلة والكاذبة لوعاظ السلاطين ومن في فلکهم، حتى أعمّوهم عن رؤية الحق والاستماع إليه.

ولذا تراهم ما أن يطّلعوا على الحقّ أو يستمعوا إليه حتى ينقلبوا رأساً على عقب، فيتحوّلوا إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام، بل ويتفوّقوا على من لم يكن منحرفاً في ثقافتهم ومعرفتهم، ولقد كان الشهيد زهير بن القين (رض) هو من هؤلاء الذين حطّوا بهذه المرتبة الجليلة وهذه المنزلة النفيسة بالانتقال إلى خطّ أهل البيت عليهم السلام، فمع أنّه كان عثمانيّ الهوى، غير أنّ الزمن بيّن أنّ كلّ هذا كان نتيجة الإعلام الأموى الكاذب ليس إلّا؛ ولهذا تراه بمجرد أن التقى الحسين عليه السلام وتحدّث إليه مال إلى ركب الحقّ وترك ما سواه، ليتركها للتاريخ أنّه لم يبتعد عن الحسين عليه السلام عن تقصير وإنّما عن قصور.

إشارة

درس مهمّ وكبير يمكن لنا أن نسلّط الأضواء عليه في حياة الشهيد زهير بن القين (رض)، حيث يحتاج الناس إليه، على المستوى الفردى والجماعى وفي كلّ مرحلة من مراحل الحياة وعلى كافّة المستويات.

لقد خلق الله عزّ وجلّ الإنسان خليفةً له على وجه هذه البسيطة، وأخبره بأنّه سوف يكدح في طريق تصاعدى تكاملى للوصول إليه سبحانه وتعالى:

«يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۗ 1» .

ولقد حمّل الله سبحانه الإنسان في طيّات هذا الكدح مجموعةً من التكاليف والمسؤوليات التي ينبغي علينا أداؤها أفراداً وجماعات، حتى نكون قد أتينا بمقتضى هذا الاستخلاف، وواحدة من هذه التكاليف التي حمّلها الله عزّ وجلّ لهذا الإنسان هي ضرورة انتصاره على شهواته وغرائزه، ووقوفه أمام هوى نفسه ومكائده، بل ومن كلّ ما هو مرتبط بحفنة التراب من شدّ إلى مستنقع الفساد والرذيلة.

كل ذلك من أجل أن تبقى نفس الإنسان - وعلى مدى الحياة - ترفل بالعزّة والكرامة والنعمة.

ولا شكّ أنّ مثل هذا الهدف السامى - لاسيما وهو يتعلّق بالنفس وما تريد - لا يمكن الوصول إليه بسهولة، بل لابدّ من وجود عوائق وحواجز وموانع على المستوى الفردى وعلى المستوى الجماعى تحوّل دون أن يكمل هذا الإنسان هذه

المسيرة التكاملية إلى الله عزّ وجلّ.

ومن هنا احتاج الإنسان فرداً واحتاجت الأمة جماعةً إلى قرار شجاعٍ يمكن له ولها من خلاله أن تعبر كلّ هذه الموانع؛ لتصل إلى الضفّة الأخرى وهي مرفوعة الرأس شامخة الهامة.

ولقد رسم لنا القرآن الكريم - وهو دستورنا الخالد ومرجعنا الأساس - في طيّات آياته الكريمة نماذج من أولئك الذين عاشوا هذه القرارات الشجاعة، وتحملوا كلّ ما ترتّب عليها من آثار، كلّ ذلك لإيمانهم بأهمّية هذه القرارات على مجمل حياة الإنسان، فهذا حبيب النجار ربّما كان سيظلّ حظه من الدنيا تجارته لا غير، ولكنّه حينما وقف إلى جانب الأنبياء - على قلة أتباعهم وكثرة أعدائهم - واتخذ القرار الشجاع في ذلك، خلّده الله عزّ وجلّ في القرآن الكريم في أجمل ما يمكن أن يفتخر به الإنسان، يقول في سورة ياسين:

«وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ * وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلَا يُنْقِذُون * إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ * قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ 1» .

ص:43

فقد تحوّل هذا الإنسان إلى رمزٍ لكلِّ المؤمنين حينما تقف أمامهم الأكثرية الكافرة المشركة لتردعهم عن دينهم وعن قيمهم وما آمنوا به، بل إنّه تحوّل إلى ناصح لقومه في حياته وبعد مماته:

«قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ» .

ولولا قراره الشجاع لَمَا كان له كلُّ هذا الإطراء من قِبَل الله عزوجلّ.

وهذه امرأة فرعون التي كانت تعيش في أعلى درجات العزّ والرفاه والحشم والخدم، كانت كلُّ طلباتها مسموعة ومنفّذة، ولم يكن هناك ما يمكن أن ينغص عليها هذا النعيم، حتى فرعون كان ذائباً في حبّها؛ لأنّه كان محافظاً عليها ومبقياً لها، حتى مع عدم إنجابها الولد والذرية، وكان بإمكانه أن يستبدلها بأجمل النساء، ولكنّه أبى إلا زوجته.

إذاً، ما هو الشيء الذي دعا أن تُعلن - وبقرار شجاع - إيمانها بالله، ومن ثم تخرج من كلِّ هذا النعيم طالبةً من الله أن يبني لها قصرًا في الجنة؟

إنّه ليس إلا صدقها مع الله سبحانه الذي أبى إلا أن تبوح به وبشجاعة ملفتة للنظر، لتحوّل بعد ذلك إلى مثل يضربه الله عزّ وجلّ للرجال وللنساء معاً:

«وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ» .
1 .

أما فتية أهل الكهف فكانت لهم مع آيات الله سبحانه ووقفة في تخليد موقفهم والإشارة لقرارهم الشجاع، حينما أعلنوها مدوية:

«هُؤلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا * وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ۝» .

وما أعظم تلك الوقفة الشجاعة التي وقفها المقداد بن الأسود مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر، حينما استشار المسلمين في قتال المشركين فأخذ البعض يثبط والآخر يحبط، وعندها أعلن المقداد قراره الشجاع فانفرجت لأجله أسارير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يا رسول الله، امض لما أمرك الله، فنحن معك والله لا نقول ما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق، لو سرت بنا إلى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه) (1).

ولقد تميّزت كربلاء فيما تميّزت به بأنها كانت صاحبة القرارات الشجاعة والمصيرية في حياة أصحاب الحسين عليه السلام، فهي هو الحرّ (رض) يقف بين الحق والباطل يقدم رجلاً ويؤخر أخرى وقد أخذته مثل الرعدة، ولكنّه في نهاية المطاف يضرب برجله فرسه وهو يقول بقرار شجاع وبصوت يسمعه من كان إلى

ص:45

جانبه: (لا والله، لا أختار على الجنة شيئاً ولو قُطعتُ)(1).

وها هو سعد بن الحرث وأخوه أبو الحتوف يسمعان الحسين عليه السلام يستغيث في كربلاء طالباً الناصر والمعين، وإذا بهما يميلان بسيفهما إلى جانب الحسين عليه السلام بقرار مصيرى شجاع، وهكذا كان أمر زهير بن القين (رض)، حيث اتخذ القرار الشجاع بعد حديثه مع الحسين عليه السلام، وهذا القرار هو الذى نقل زهير من الثرى إلى الثريا، ومن ملامسة التراب إلى معانقة السحاب.

القرارات المصيرية

ومما يلفت النظر فى هذا القرار المصيرى أنه لم تكن فيه فترة تردد أو تفكير طويل كما هى حال القرارات المصيرية التى يتخذها الناس فى حياتهم، حيث تمرّ عادةً بمرحلتين:

المرحلة الأولى: هى مرحلة العزيمة والتصميم، ولا بدّ لها من مدة زمنية حتى يأخذ التفكير فيها دوره.

والمرحلة الثانية: هى مرحلة تنفيذ هذا القرار.

ولكنّ الأمر قد اختلف تماماً مع الشهيد الكربلائى، فتراه قد اختصر المرحلتين بمرحلة واحدة، حيث قال بعد رجوعه من الحسين مباشرة: (من أحبّ منكم نصره ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإلاّ فهو آخر العهد)(2).

وما أكرم الإنسان عندما يفىء إلى الله تعالى ويستجيب لدعوته، ويبصر

ص:46

1- (1) مقتل أبى مخنف: ص 214، تحقيق الشيخ هادى اليوسفى.

2- (2) مقتل الحسين للمقرّم: ص 177.

أمامه الطريق المستقيم من أجل أن يقوم بدوره في هذه الحياة ويُدرك معنى وجوده فيها، وعندئذٍ تتحقّق له الحياة الحقيقية، الحياة الكريمة الطيّبة، فالذين يستجيبون لله ولرسوله ولدينه ظاهراً وباطناً هم الأحياء وإن ماتوا، وهم الأغنياء وإن قلّ ما في أيديهم، وهم الأعزّة وإن خذلتهم البيوت والعشائر.

ولابدّ للإنسان حتى تحصل عنده هذه الاستجابة أن تكون عنده القوّة والعزيمة أولاً، ثمّ القرار والتنفيذ ثانياً، وربّما أشار الله عزّ وجلّ إلى هذا بقوله وهو يتحدّث عن يحيى:

«يا يحيى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ 1» .

وقوله:

«خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ 2» .

وهذا هو شأن الإنسان المؤمن الداعى إلى الله عزّ وجلّ والمستجيب له، إنّه الإنسان القوي الشجاع الذى لن يحمل الدعوة إلى الله ولن يصبر على عوائق طريقها إلّا هو، دون الجبناء الذين لا يعرفون إلّا الخوف وإلّا التردد فى اتّخاذ القرارات المصيرية.

وعلينا - إذا ما أردنا أن نعي هذا الدرس ونفهم الشهيد زهيراً حقّ الفهم - أن نتّخذ القرارات المصيرية، لاسيّما المرتبطة بالله وبشريعته بشكل سريع من دون تردّد، وإلّا فسوف نقع بما وقع فيه عبد الله بن الحر الجعفى، حيث

ص: 47

خذل الحسين عليه السلام ولم ينصره، فعاش الحسرة والندامة، ولكن ولات ساعة مندم.

فِيَا لِكِ حَسْرَةً مَادُمْتُ حَيًّا تَرَدَّدُ بَيْنَ حَلْقِي وَالتَّرَاقِي

حُسَيْنٍ حِينَ يُطَلَّبُ بِدَلِّ نُصْرِي عَلَى أَهْلِ الضَّلَالَةِ وَالشَّقَاقِ

غَدَاةً يَقُولُ لِي بِالْقَصْرِ قَوْلًا أَتْرَكُنَا وَتَزْمَعُ بِالْفِرَاقِ (1)

3 - والعاقبة للمتقين

ربّما لا يوجد هناك هدف يسعى إلى تحقيقه المؤمنون في هذه الدنيا أعظم من خاتمة حسنة، يمكن أن تبيّض وجه الإنسان يوم يقْدُ على الله عزّ وجلّ، بل يستطيع الإنسان أن يقول وبضرس قاطع إنّها تُمثّل بحقّ الحاجة التي لا تعدلها حاجة أخرى مهما علتْ وغلّت.

وقد ورد في أدعية أهل البيت عليهم السلام ما يشير إلى مثل هذا المعنى، فقد ورد في صحيحة معاوية بن عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام وهو يتحدّث عمّا يدعو به الإنسان في أعظم أيّام الدعاء إلى الله عزّ وجلّ، ألا وهو يوم عرفة:

«اللّهُمَّ حاجتي إليك التي إن أعطيتنيها لم يضرتني ما منعتني، والتي إن منعتنيها لم ينفعني ما أعطيتني، أسألك خلاص رقبتي من النار» (2).

ص: 48

1- (1) أدب الطف: ج 1، ص 96.

2- (2) مناسك الحج والعمرة للسيد محمد سعيد الحكيم: مندوبات الوقوف بعرفة، مسألة 350.

ولا شك أن ذلك لا يكون إلا بعاقبة حسنة طيبة يرضاها الله سبحانه، ومما لا ريب فيه ولا شبهة أن مثل هذا الهدف السامى والأمنية العظيمة ليست سهلة المنال، بل تحتاج إلى كفاح وجهد وعناء للوصول إليها؛ لأن جميع أعمال الإنسان الصالحة والتي يقوم بها - على فرض حصولها منه - لا يمكن له أن يقطع بأنها مقبولة عند الله عز وجل، وهذا مما يزيد الأمر صعوبة، فقد ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام:

«الدنيا كلها جهل إلا مواضع العلم، والعلم كله جهل إلا مواضع العمل، والعمل كله رياء إلا ما كان مخلصاً، والإخلاص على خطر عظيم حتى ينظر العبد بما يُختم له»⁽¹⁾.

أعمال زهير بن القين والعاقبة الحسنة

إشارة

ربما لا يمكن للإنسان أن يقطع بنوع الأعمال التي قام بها الشهيد زهير بن القين حتى صار مؤهلاً لمثل هذه العاقبة التي يريجوها ويتمناها كل إنسان مؤمن بالله وباليوم الآخر، ولكننا في نفس الوقت لا نشك أن هذه النتيجة التي وصل إليها إنما جاءت بعد مقدمات عملها وصنعها الشهيد السعيد (رض)، وهذه المقدمات - باعتقادي - ليست إلا أعمالاً نذبت إليها الشريعة قرآناً وسنةً من أجل التحلّي بها والسير على نهجها، ومنها:

أ - عدم إرادة العلوّ والفساد في الأرض

يقول القرآن الكريم:

ص: 49

1- (1) الوافي بالوفيات: ج 14، ص 54، في وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر.

«تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا» .

والمراد من العلوّ في هذه الآية الكريمة التكبر والتجبر على خلق الله تبارك وتعالى؛ نتيجة المال والسلطان والجاه والمنزلة التي يمكن أن يتمتّع بها دون الآخرين.

يقول الإمام أمير المؤمنين:

«إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْعَدْلِ وَالتَّوَاضُعِ مِنَ الْوَلَاةِ وَأَهْلِ الْقُدْرَةِ مِنَ النَّاسِ»⁽¹⁾.

وأهل القدرة من الناس أولئك الذين أعطوا نصيباً من المال وغيره من الامتيازات، ينظر الله لهم كيف يعملون، بل إنّ الإمام أمير المؤمنين قد وسّع من دائرة هذا العلوّ الذي تقصده الآية الكريمة ليشمل حتى شراك فعل الإنسان إذا ما تباهى فيه أمام الناس، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِنَّ الرَّجُلَ لِيَعْجَبَ إِنْ يَكُنْ شَرَاكَ نَعْلَهُ أَجُودَ مِنْ شَرَاكَ نَعْلِ صَاحِبِهِ فَيَدْخُلُ تَحْتَهَا»⁽²⁾.

ولقد ذكر الذين تحدّثوا عن الشهيد الكربلائي زهير بن القين أنّه كان من شخصيات الكوفة من حيث المال والجاه والمنزلة، ولكنّه مع ذلك كلّه لم يُنقل أنّه

ص: 50

1- (2) تفسير الأمثل: ج 12، ص 310.

2- (3) تفسير الأمثل: ج 12، ص 309.

تَكَبَّرَ عَلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ أَغْنِيَاءَ وَفُقَرَاءَ.

يقول الشيخ محمد مهدي الآصفي: (ولقد كان زهير بن القين يملك المال والعيال كما كان يملكه الضحاك بن عبد الله، وكان يعيش دنياه كما كان يعيش الضحاك دنياه، بل قد يكون حظ زهير من الدنيا أعظم من حظ الضحاك، فقد كان زهير بن القين زعيماً في قومه وجيهاً في بلده ولم يحفل المؤرخون بأمر الضحاك وصاحبه في شأن من شؤون الدنيا)(1).

ب - التقوى

وهذا ما يؤكده القرآن في أكثر من آية كقوله:

«وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ 2» .

وقوله:

«وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا 3» .

وقوله:

«إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا 4» .

وقوله:

ص: 51

«إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ 1» .

وإلى ما شاء الله تعالى من هذه الآيات، التي تدلّ جميعها على معنى واحد مهم، وهو النهاية الحسنة الطيبة.

ولقد عرف الشهيد زهير بن القين بكثرة تقواه وورعه وخضوعه وخشوعه لله سبحانه وتعالى، بل كان من العباد الذين عُرفوا في داخل الكوفة وخارجها، ولولا هذه التقوى التي تمتع بها كما وفق لمثل هذا العمل العظيم، حتى صار محلّ استجابة دعاء رسول الله ودعوته لنصرة ولده عليه السلام، كما حصل ذلك واقعاً في منطقة زرود حينما التقى فيها الحسين عليه السلام.

ج - القلب السليم

هو مركز أحاسيس الإنسان ومشاعره، ومنه ينطلق الخضوع إلى سائر أنحاء الجسد، ومنه تُدرك الرقّة وتسقط الدمعة، وهو القائد إلى الله سبحانه وتعالى عندما تنعدم السبل، إنّه معجزة الله مع هذا الإنسان، وقد وردت آيات وروايات كثيرة، كلّها تؤكّد أنّ هذا القلب إذا صلح صلح الإنسان وكانت عاقبته إلى خير، وإذا فسد فسد هذا الإنسان وكانت عاقبته إلى شرّ، وفيها قول الله عز وجل:

«يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ 2» .

ويقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما من عبدٍ إلا وفي وجهه عينان يبصر بهما أمرَ الدنيا، وعينان في قلبه يبصر بهما أمرَ الآخرة، فإذا أراد بعبدٍ خيراً ففتح عينيه اللتين في قلبه فأبصر بهما ما وعده بالغيب فأمن بالغيب على الغيب»(1).

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«إذا أراد الله بعبدٍ خيراً رزقه قلباً سليماً، وخلقاً قويمًا»(2).

وقد رزق الله عزَّ وجلَّ الشهيدَ زهير بن القين هذا القلب الطاهر السليم حتى صار محلاً لفيوضات الله تبارك وتعالى، فسلم عمله وانتهى إلى عاقبة حسنة مباركة:

«فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ(3)» .

د - ولا تستبدل به غيري

دعاء عظيم الشأن من أدعية أئمة أهل البيت عليهم السلام، روى عن أكثر من إمام، ومن جملة رواة هذا الحديث هو أبو هاشم، حيث يقول:
(كتب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام أحد مواليه يسأله أن يعلمه دعاءً، فكتب إليه أن يدعو بهذا الدعاء:

«يا أسمعَ السامعينَ، ويا أبصرَ الناظرين... واجعلني ممَّن تنصُرُ به لدينك ولا تستبدلُ به غيري».

قال أبو هاشم: فقلتُ في نفسي: اللهم اجعلني في حزبك وفي زمرك، فقال

ص: 53

1- (1) ميزان الحكمة: 8، ص 224.

2- (2) ميزان الحكمة: 8، ص 222.

«أنت في حزبه وزمرته، إذ كنت بالله مؤمناً، ولرسوله مصدّقاً، ولأوليائه عارفاً، ولهم تابعاً» (1).

ربّما يكون من مصاديق هذا الدعاء الشريف - الذى يرجو فيه الإنسان المؤمن أن لا يستبدله الله عزّ وجلّ فى نصر دينه وإعزاز كلمته بآخرين - هو الشهيد زهير بن القين (رض) وعبيد الله بن الحرّ الجعفى، فقد التقى الحسين بهما فى طريقه إلى العراق، أحدهما فى قصر بنى مقاتل، والثانى فى منطقة زرود، وقد طلب الحسين عليه السلام من كليهما النصرة له، وإذا بعبيد الله بن الحرّ الجعفى - وهو الشخص المعروف فى تشييعه وولائه لأئمة أهل البيت عليهم السلام - يجيب الحسين عليه السلام بكلمات ملؤها الخوف من الموت والفرار منه والتمسك بهذه الدنيا وزخارفها الفارغة بشكل ملفت للنظر، حتى أنّ المؤرّخين ليذكرون أنّ الحسين عليه السلام ذهب بنفسه الشريفة إليه ووقف عنده ودعاه بنفسه إلى نصرته، حيث قال له:

يا بن الحر، إنّ أهل هذا المصر كتبوا إلى أنّهم مجتمعون على نصرتي وسألونى القدوم عليهم، وليس الأمر على ما زعموا، وأنّ عليك ذنباً كثيرة فهل لك من توبة تمحى بها ذنوبك؟».

قال: وما هى يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال:

تنصر ابن بنت نبيك وتقاتل معه.

ص: 54

فقال ابن الحر: والله، إني لأعلم أنّ من شايحك كان السعيد في الآخرة، ولكن ما عسى أن أغنى عنك ولم أخلف لك بالكوفة ناصراً، فأنشدك الله أن تحملني على هذه الخطّة، فإنّ نفسي لا تسمح لي بالموت ولكن فرسى (الملحقة) هذه خذها، والله ما طلبت عليها شيئاً قط إلاّ لحقتّه، ولا طلبني أحدٌ وأنا عليها إلاّ سبقتّه، فخذها فهي لك.

قال الحسين عليه السلام:

أمّا إذا رغبتُ عنّا بنفسك فلا حاجة لنا بفرسك ولا فيك:

«وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا» (1,2).

والحسين عليه السلام بكلمته الأخيرة ربّما أشار إلى ما نريد أن نتحدّث عنه من خلال استشهاده عليه السلام بالآية الكريمة، فإنّ مثل هذا الإنسان لا يمكن أن يكون عضداً للدين ويعتمد عليه، لاسيّما والحسين عليه السلام ذاهب لنصرة هذا الدين، ومن ثم لا بدّ أن يستبدله الله عزّ وجلّ استناداً إلى سنّته القرآنية كما سوف نتحدّث عنها، ولكن إذا شئت إرادة الله أن يستبدل عبيد الله بن الحر الجعفي، فمع من يا ترى سوف تقع هذه السنّة؟

من هنا شئت إرادة الله عزّ وجلّ أن يعطينا نموذجاً من نماذج الاستبدال والحسين عليه السلام ما زال في طريقه إلى العراق، وأن يكون المُستبدل به هو الشهيد زهير بن القين (رض)، هذا الرجل الذي لم يُعرف بولاءٍ ولا تشييع لأهل

ص: 55

البيت عليه السلام، بل كان عثمانى الهوى، يطلب الحسين عليه السلام منه النصرة له كما طلبها من المستبدل، ولكن هنا يختلف المشهد وتختلف الاستجابة، فقد نقل لنا المؤرخون أنّ زهير بن القين سرعان ما رجع من الحسين وهو مستبشر مسرور، فقال لزوجته: أنت طالق، الحقى بأهلك، فإتى لا أحبّ أن يصيبك بسبى إلاّ خير(1).

وفى رواية الملهوف أنّه قال: (قد عزمْتُ على صحبة الحسين عليه السلام لأفديه بنفسى وأقيه برمحي)(2).

وهنا - وفى هذا المكان بالذات - تتحققت آثار الدعاء، فيستبدل عبيد الله ابن الحر الجعفى بالشهيد زهير بن القين (رض) وينتصر به للدين ولرسوله الأمين ولسبطه الشهيد أبى عبد الله الحسين عليه السلام.

درس من حياة الشهيد

إشارة

لقد تحوّل الشهيد (رض) بموقفه هذا والمواقف الأخرى التى سوف تأتى إلى رمزٍ من رموز الإسلام الخالدة، التى يسير خلفها المسلمون ويلهج بذكرها المؤمنون السائرون فى طريق الله عزّ وجلّ، ولقد كان لموقف زرود وما جرى فيها من انتقاله سريعة إلى خطّ أهل البيت عليهم السلام، وتباطؤ من كان فى خطّهم عن نصرتهم عليهم السلام، درسٌ لا بدّ لنا من تسليط الضوء عليه والتزوّد من معالمه.

ص:56

1- (1) انظر: تاريخ الطبرى: ج 7، ص 290.

2- (2) اللهوف فى قتلى الطفوف: ص 64.

الاستبدال كمفهوم وكسَنَّة قرآنية معناه: أن يستبدل الله عزَّ وجلَّ الطالح بالصالح والعاصي بالمطيع والفاجر بالمؤمن والظالم بالعادل، وما شاكل ذلك من المفردات الحياتية التي يعيشها ويحسُّ بها كلُّ إنسان على وجه هذه البسيطة.

يقول القرآن الكريم وهو يتحدَّث عن موسى وأصحابه فيما لاقوه من ظلم فرعون وجبروته:

«قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * قَالُوا أَوَدِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَ مِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ 1» .

وسَنَّة الاستبدال التي تحدَّث عنها القرآن الكريم كانت على مستويين أو جانبيين إن صحَّ التعبير:

أمَّا الجانب الأول: فهو الجانب العام الذي يشمل الأمة بكاملها.

وأمَّا الجانب الثاني: فهو الجانب الفردى.

ويبدو أنَّ في كلِّ منهما كان العهد قد أخذه الله عزَّ وجلَّ في نصره ونصر دينه.

يقول القرآن الكريم:

«إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعُذًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۗ» .

ويقول:

«مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا» 2 .

ومعنى العهد الذى أخذه الله عزّ وجلّ لهم، هو أن يمكّنوا فى الأرض ويعيشوا العزّة والكرامة والنعمة، وأن يكونوا أصحاب اليد العليا أبد الأبد، ولكن - وهذا هو الأهم - إذا ما تخلّوا عن ذلك العهد وما يتضمّنه من التزامات فسوف يعيشون الذلّ والهوان، وفى النهاية سوف يُستبدلون من قبل الله عزّ وجلّ بأناس آخرين:

«وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ 3» .

أسباب الاستبدال

إشارة

ولقد تحدّث القرآن الكريم عن أسباب رئيسية ثلاثة تترتب عليها سبّة الاستبدال.

وهى كالاتى:

ص:58

1 - تخلى الأمة أفراداً وجماعات عن المسؤوليات الملقاة عليهم

وهذا ما يؤكده القرآن الكريم بقوله:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ما لَكُمْ إِذا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَ يُسْتَبَدَّلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَ لا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ 1» .

ولا شك أنّ التخلي عن الجهاد من الأمة أفراداً وجماعات هو المقصود الأول للآية الكريمة في تخلي الناس عن مسؤولياتها أمام الله تعالى ونصرة دينه.

2 - التخلي عن الإنفاق

وهذا - لا شك - مورد من الموارد الهامة التي لا بدّ من توفرها في داخل المجتمع الإسلامي؛ حتى تسير عجلة الحياة بشكل صحيح، فالمال هو العنصر المهمّ الداخل في عملية الجهاد، بل ربّما لا- يتمّ الجهاد إلاّ به، فضلاً عن أهميته في رفع معاناة الفقراء والمساكين والمُعَدِّمين في داخل المجتمع، إضافة لِمَا يمثّله مثل هذا العطاء والإنفاق من مورد مهمّ وكبير لخزينة الدولة، فإنّ الدولة وما تملكه إنّما ينتهي آخر الأمر إلى ما يقدمه الناس إلى خزينها من حقوق وضرائب وما شاكل ذلك.

ولهذا كلّه وغيره عبّر القرآن الكريم عن أهميّة الإنفاق، وأنّ من جملة آثار البخل فيه التخلي عنه هو سنّة الاستبدال:

«ها أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ 1» .

3 - الارتداد عن الدين

للإنسان كامل الحرية أن يختار الإسلام ديناً أو أن لا يختاره، ولكن إذا ما اختار الإسلام بعد دراسة وبحث وتدقيق فليعلم أن مثل هذا الاختيار سوف تترتب عليه آثاره، وواحدة من هذه الآثار هي سنة الاستبدال:

«مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ 2» .

ولا شك ولا ريب أن مثل هذه السنن التي جرت على من كان قبلنا ستجرى علينا شئنا ذلك أم أئينا، فكل من يتنازل عن دينه وعن عقيدته لقاء متاع من متاع هذه الدنيا الفانية وزخارفها الزائلة فإن سنة الاستبدال لا محالة سوف لن ترحمه ولن ترحم قومه إذا كانوا على شاكلته.

يقول الشيخ الطبرسي وهو يتحدث عن الآية الكريمة:

«وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ 3» .

(قوله: «وَإِنْ تَتَوَلَّوْا»: أي تعرضوا عن طاعته وعن أمر رسوله.

«يَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ»: أمثل وأطوع لله منكم.

«ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ»: بل يكونوا خيراً منكم وأطوع لله.

وروى أبو هريرة أن أناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين ذكر الله في كتابه، وكان سلمان إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فضرب بيده على فخذ سلمان فقال: هذا وقومه، والذي نفسي بيده، لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس.

وروى أبو بصير عن أبي عبد الله، قال: «وَإِنْ تَوَلَّوْا» يا معشر العرب «يَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ» يعنى الموالى. وعن أبي عبد الله قال: «قد والله أبدل بهم خيراً فهم الموالى» (1).

وإذا كان الأمر كذلك علينا أن نتأمل فيما جرى فى زرود من سنة الاستبدال، حيث تخلى الله لنصر دينه عن إنسان طالما عرف بالموالاة والتشيع لأهل البيت عليهم السلام، وعوض بإنسان آخر يعيش فى خط آخر، بعيد كل البعد عن خط أهل البيت عليهم السلام، لا لشيء إلا بسبب الصدق فى التعامل مع الحدث، والإخلاص فى تقديم الغالى والنفس من أجل الدين.

فمن كانت الدنيا عنده عزيزة من خلال ما يملكه من مال وأولاد وجاه وغيرها، فلا محالة أنه سيختار عند المواجهة ما اختاره عبيد الله بن الجعفى، ومن اختار ذلك فليتأمل فى مستقبل حياته (معاذ الله)، عقوبة الاستبدال وحينها لا ينفعه أن يقرأ الدعاء فارغاً من العمل والمضمون:

ص: 61

«واجعلنى ممّن تنتصر به لدينك ولا تستبدل به غيرى».

* الرأى الثانى:

زهير بن القين والموالة لأهل البيت عليهم السلام

إشارة

كلّ ما مضى من حديث إنّما كان استناداً إلى الرأى المشهور عند المدرستين من أنّ زهير بن القين (رض) كان عثمانىّ الهوى، وقد ذكرنا فى طيّات هذا الرأى مجموعة من الدروس والعظات والعبر التى يمكن أن يستلهما الإنسان من حياة الشهيد (رض).

بين يدى الرأى الثانى:

وأتمّ من الآن فصاعداً فسوف يكون الحديث مختلفاً جدّاً، فالحديث هنا سيكون عن موالٍ وليس مُعادٍ، وعن علوىّ الهوى وليس عثمانىّ الهوى، ولا شكّ أنّ الحديث فى هذا الرأى فيه من الصعوبة والخطورة الشىء الكثير؛ لأنك سوف تتحدّث عن مسألة تسالم عليها الكتاب والقراء والخطباء والجلساء، أو كما يعبر عنه بأنّه سباحة عكس التيار.

ولكن ومع كلّ هذا فإنّ مثل هذا الأمر لا يمكن أن يوقف قلم الإنسان فى أن يكتب ما يعتقد، ويسطرّ فى طيّات أوراقه ما يراه مناسباً أكثر من غيره؛ استناداً إلى مجموعة فى الأدوات والوسائل العلمية، وإلاّ إذا لم نفعل ذلك فإنّنا نكون عندها من الخائنين للأمانة والحقيقة العلمية.

ولا يقولنّ قائل: وما فائدة أن نعرف أكان الشهيد علويّاً موالياً أم عثمانياً

ص: 62

معادياً، فالمهم - وهذا هو الأساس - أنه وقع شهيداً بين يدي أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وهذا فيه من الشرف والرفعة ما يغنى الإنسان للحديث عن تاريخه وحياته وما كان يعتقد.

أقول: الأمر ليس كما يتصور هذا المعترض بهذه البساطة والسذاجة، وإلا إذا كان الأمر كذلك إذ لم يكن هناك فائدة من دراسة العلماء وبشكل تفصيلي دقيق لحياة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحاب الإمام أمير المؤمنين وهكذا بقيّة أئمة أهل البيت عليهم السلام، حتى صار هناك علم مستقلّ مختص بدراسة الرجال وتسليط الضوء على مجمل حياتهم وما صنعوه وما قدّموه من أجل أخذ الصالح منها وترك الطالح.

إضافة إلى إمكانية الدفاع عنهم لاسيّما إذا كانوا قد تعرّضوا إلى مظلمة من قبل التاريخ، وهم كثير لاسيّما أتباع أهل البيت عليهم السلام والمتأثرين بهم.

ولقد ذكر أصحاب هذا الرأي - على ما يذهبون إليه - جملةً من الأدلّة، وهي كالآتي:

أولاً:

مناقشة الروايات - التي تتحدّث عن عثمانية الشهيد زهير بن القين (رض) وكراهة المسايرة للحسين عليه السلام - من حيث السند والدلالة، وعمدة هذه الروايات حسب علمي ثلاثة: وهي رواية البلاذري، والطبري، وأبي مخنف والتي تمثّل أقدم المصادر التي تحدّثت عن هذا الأمر.

1 - فيما يتعلّق برواية البلاذري والتي تقول: (قالوا: وكان زهير بن القين

ص: 63

البعلى بمكة، وكان عثمانياً، فانصرف فأرسل الحسين عليه السلام إليه فى إتيانه، فأمرته امرأته ديلم بنت عمرو أن يأتيه فأبى، فقالت: سبحان الله، أبعث إليك ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا- تأتيه؟! فلما صار إليه ثم انصرف إلى رَحْلِهِ قال لامرأته: أنت طالق، فالحقى بأهلك، فإني لا- أحب أن يصيبك بسببى إلا- خيراً، ثم قال لأصحابه: من أحب منكم أن يتبعنى وإلا فإنه آخر العهد، وصار مع الحسين عليه السلام (1).

ولنا على هذه الرواية مجموعة من النقاط:

أ- الرواية مرسله وغير مسندة من البلاذرى، حيث جاء فيها (قالوا)، ولا شك أن مثل هذا الأمر سوف يضعف الرواية ويوهن من قيمتها العلمية، فمن هؤلاء الذين أخذ عنهم البلاذرى؟ وما هى أسماؤهم؟ وهل كانوا عدولاً أم لا؟ ومع وجود الاحتمال فيهم يبطل الاعتماد على هذه الرواية، ومن ثم فلا استدلال بها باطل.

ب- ومتن الرواية نفسها - فضلاً عن السند - غير مستقيم أبداً، بل هو مضطرب، حيث عبرت الرواية عن الشهيد زهير بن القين (رض) أنه كان عثمانياً، وأنه كان يكره مسامرة الحسين عليه السلام فى الطريق، حتى إذا نزل الحسين فى مكان نزل زهير فى مكان آخر، ولكن الرواية فى نفس الوقت تذكر بأن زهير بن القين قد خرج من مكة متعجلاً، وهذا الأمر مما يلفت الانتباه فى هذه الرواية، فلماذا - يا ترى - كان هذا الاستعجال؟

هل كان استعجاله من أجل الذهاب إلى الكوفة خوفاً على أهله والمتعلقين

ص: 64

1- (1) أنساب الأشراف للبلاذرى: ج 3، ص 1304، تحقيق د. سهيل زكار، د. رياض زركلى.

به بعدما تناهى إلى سَمَعه ما جرى وحصل فى الكوفة؟

كيف ذلك وجميع أفراد عائلته معه بما فيهم امرأته، أم كان استعجاله إلى الكوفة بعدما جرى وحصل فيها من أجل نصرة ابن زياد ومَن يعمل لهم كيزيد وبنى أمية؟ كيف ذلك وهو العارف بيزيد وابن زياد وبنى أمية وما صنعه وفعلوه فى الكوفة بل وفى العالم الإسلامى من ويلات ومِحَن، حتى أن الرواة لينقلون قوله يوم عاشوراء: (إنَّ ولد فاطمة أحقَّ بالودِّ والنصر من ابن سمية)⁽¹⁾.

ثم إن كان عثمانياً - على ما يتبنّى أصحاب الرأى الأول - فما معنى استعجاله وهو يعلم أنه سيلتقى الحسين عليه السلام فى الطريق وهو ما لا يريده زهير ولا يرغب فيه.

وعليه فلا يبقى أمام الإنسان إلا الاحتمال الأقرب الذى يمكن أن تتصوَّره حول هذا الاستعجال الذى خرج به الشهيد زهير بن القين (رض) باتجاه العراق، وذلك أنه أراد أن يلتحق بالحسين عليه السلام بعدما علم بخروجه المفاجئ من مكّة.

وبعبارة أخرى: إنَّ الشهيد زهير كان إلى فترة وجيزة يعلم - كما كان يعلم الجميع - بأنَّ الحسين عليه السلام سوف يقف على صعيد عرفات مع حجّاج بيت الله الحرام، ولكنّه قرّر الخروج من مكّة سريعاً.

ويبدو أنه لم يعلن خروجه هذا على الناس، بل إنَّ الرواية لتتقل أنَّ الحسين عليه السلام أخبر أخاه محمد بن الحنفية ليلة الثامن من ذى الحجة بعزمه الخروج إلى العراق غداً، وذكر له فى نفس الوقت مبررات هذا الخروج السريع والمفاجئ.

ص: 65

ينقل ابن طاووس في اللهوف: (فلما كان السَّحَر ارتحل الحسين عليه السلام، فبلغ ذلك ابنَ الحنفية فأثاه فأخذ بزمام ناقته وقد ركبها، فقال: يا أخي، ألم تعدني النظر فيما سألتك؟ قال: بلى، قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟ قال:

أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعدما فارقتك فقال: يا حسين، أخرج، فإنَّ الله شاء أن يراك قتيلاً.

فقال محمد بن الحنفية: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟

قال: بلى فقال لي صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنَّ الله قد شاء أن يراهنَّ سبايا». فسلم عليه ومضى(1).

واستناداً إلى هذا الخروج المفاجئ للحسين عليه السلام من مكة، يبدو أنَّ الشهيد زهير بن القين (رض) قد علم به بعد يوم أو يومين من خروج الحسين عليه السلام؛ ممَّا حدا به إلى الخروج خلفه تاركاً الحج، لاسيَّما وهو مجاز خصوصاً إذا كانت هناك ضرورة(2)، وعليه يكون الشهيد قد حوّل حجّه إلى عمرة مفردة على وجه السرعة

ص: 66

1- (1) اللهوف لابن طاووس: ص 39-40. بحار الأنوار للمجلسي: ج 44، ص 364.

2- (2) يقول السيد السيستاني في كتاب الحج مسألة 453: (وإذا كان حاجاً وقد تعدّر عليه إدراك الموقفين أو الموقف في المشعر الحرام خاصة، فعليه أن يتحلّل من إحرامه بعمرة مفردة). ويقول الإمام مالك في موطنه: (إنَّ أبا أيوب الأنصاري خرج حاجاً، حتى إذا كان بالنازية من طريق مكة أضلّ رواحله، وأثّه قدم على عمر بن الخطاب يوم النحر، فذكر ذلك له، فقال عمر: اصنع كما يصنع المعتمر، ثمّ قد حللت، فإذا أدركك الحج قابلاً فاحج واهد ما تيسر من الهدى)، الموطأ: 870.

ثم التحق بالحسين متعجلاً الوصول إليه على وفق رواية البلاذري.

أما القول بأنه أكمل حجّه ثم خرج من مكّة، فلا يمكن أن يقبل بأيّ حال من الأحوال؛ لوجود ما لا يقل عن خمسة أيّام فاصلة بين خروج الحسين عليه السلام وخروج زهير بن القين (رض)، بل إنّ مثل هذا الرأي لا يمكن قبوله حتى مع القول إنّ زهير كان مستعجلاً في حركته إلى العراق؛ وذلك لأنّ الحسين عليه السلام في نفس الوقت كان متعجلاً في حركته أيضاً، فلا يمكن - والحال هذه - أن يجمعهما مورد الماء في زرود كما ذكر المؤرخون.

يقول الشيخ محمد جواد الطبرسي في كتابه (الركب الحسيني) مناقشاً هذه النقطة بالذات: (رواية منازل الطريق... فضلاً عن ضعف سندها بمجهولية الفزاري لا يستقيم متنها مع الحقيقة التاريخية والجغرافية، ذلك لأنّ زهير بن القين كان عائداً من مكّة إلى الكوفة بعد الانتهاء من أداء الحج).

فلو فرضنا أنّه قد خرج من مكّة بعد انتهاء مراسم الحج مباشرة فإنّه يكون قد خرج منها يوم الثالث عشر من ذي الحجّة على الأقوى، وبهذا يكون الفارق الزمني بين يوم خروجه ويوم خروج الإمام عليه السلام منها خمسة أيام على الأقل، وإذا كان هنا فكيف يصحّ ما في متن الرواية: كنّا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكّة فساير الحسين... إلخ»(1).

2 - فيما يتعلق برواية الطبري، فإنّ عمدة الدلالة فيها هي قول عزرة بن قيس البجلي لزهير بن القين أنّه كان عثمانياً.

ص: 67

1- (1) الركب الحسيني: ج 3، ص 210.

وعجبي كيف يمكن أن يثبت الإنسان بهذا الرجل قولاً ذكره على عدوه، ومن يتتبع تاريخ هذا اللعين يجد أنه ملطخ بالسواد بوقوفه أمام الحق والمساعدة في القضاء عليه.

وإليك النزر القليل من تاريخه الأسود الذي ذكره المؤرخون عنه في عدائه لأهل البيت عليهم السلام.

أ - عزرة بن قيس يمنع الاهتداء بأصحاب الحسين عليه السلام

ينقل صاحب البداية والنهاية، عن أحداث ليلة العاشر من المحرم: (وبات الحسين وأصحابه طوال ليلهم يستغفرون ويدعون ويتضرعون، وخيول عدوهم تدور، من ورائهم عليها عزرة بن قيس الأحمسى، والحسين عليه السلام يقرأ:

«وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَمِّلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيُزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * مَا كَانَ لِلَّهِ لِيُدْرَأَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ 1» .

فسمعها رجل من تلك الخيل التي كانت تحرس من أصحاب ابن زياد فقال: نحن ورب الكعبة الطيبون، ميزنا الله عنكم، قال: فعرفته فقلت لبرير بن خضير: أتدرى من هذا؟

قال: لا، فقلت: هذا أبو حرب السبيعي - عبد الله بن شهر - وكان مضحاكاً بطالاً، وكان شريفاً شجاعاً فاتكاً، وكان سعيد بن قيس ربماً حسبه في جنابة، فقال له برير: يا فاسق، متى كنت من الطيبين؟

فقال: ومَن أنت؟! ويلك، قال: أنا برير بن خضير، قال: إنَّ الله هلكت، والله عزَّ والله علىَّ يا برير قتلک، قال: فقلتُ: يا أبا حرب، هل لك أن تتوب إلى الله من ذنوبك العظام، فوالله لنحن الطيبون وإنكم لأنتم الخبيثون، قال: نعم، وأنا على ذلكم من الشاهدين، قال: ويحك، أفلا تنفَعك معرفتك؟ قال: فانتهره عزرة بن قيس أمير السريَّة التي تحرسنا، فانصرف عتاً(1).

وهذا إن دلَّ على شيء فإنما يدلُّ على مدى حرص هذا الرجل على رذع من تميل نفسه إلى التأثر بالحسين وأصحاب الحسين فضلاً عن الالتحاق بهم.

فليس غريباً على من يكون على هذه الشاكلة من الحرص والدفاع عن بنى أمية، ومن يعمل لهم أن يلفق التهم على جيش الحسين لاسيما الشخصيات الكبيرة من أجل زعزعة ثقة الناس بهم.

ولقد كانت من جملة التهم الكبيرة التي تشنها الآلة الإعلامية الأموية عبر التاريخ ضد شيعة أهل البيت عليهم السلام هو رميهم بالتشيع، حتى صار الواحد منهم يتمنى أن يُقال له: زنديق، أحبَّ من أن يُقال شيعي؛ لعظيم ما يجرى ويحصل له من البلاء والعناء، ويبدو أن عزرة بن قيس أراد بهذه الكلمة أن يجعل الذي يفكر في الميل إلى جهة الحسين أو حتى التفاعل معهم نفسياً أن يعيد حساباته كثيراً قبل أن يقدم على مثل هذه الخطوة.

ب - عزرة بن قيس يكتب للحسين ثم يكذِّبه يوم عاشوراء

يروى الطبرى بقوله: (وكتب شبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، ويزيد بن

ص:69

الحارث، ويزيد بن رويم، وعزرة بن قيس، وعمرو بن الحجاج الزبيدي، ومحمد ابن عمير التميمي:

أمّا بعد:

فقد اخضرّ الجنب وأينعت الثمار، وطمت الجمام، فإذا شئت فأقدم على جندٍ لك مجتدة والسلام عليك(1). ووقف الحسين عليه السلام يوم عاشوراء ليتحدث إلى من كتب إليه في هذا الكتاب، فقد ذكر في طيّات حديثه بعضاً منهم دون الجميع، فقال:

(يا شيبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا زيد بن الحارث، ألم تكتبوا لي أن أقدم، قد أينعت الثمار واخضرّ الجنب، وإتّما تقدم على جندٍ لك مجتدة؟ فقالوا: لم نفعل، فقال عليه السلام: سبحان الله، بلى والله، لقد فعلتم)(2).

ولا شك أن الجواب لم يأت بلسان هؤلاء الذين ذكرهم الإمام، وإتّما جاء بلسان من كتب ومنهم عزرة بن قيس.

كذب عزرة بن قيس

إشارة

وقد تجسّد كذب هذا الرجل وعدم صدقه مع نفسه إزاء المواعيد والمواثيق التي يقطعها في أكثر من موقف، وسوف أذكر هنا موقفاً واحداً دون بقية المواقف الأخرى اختصاراً.

ص:70

1- (1) مشير الأحران لابن نما: ص 11. مقتل الحسين للخوارزمي: ج 1، ص 193.

2- (2) تاريخ الطبري، ج 6، ص 343.

حيث شهد كذباً وزوراً على جماعة من المصلين العابدين لله عزّ وجلّ بأنهم كفروا بالله تعالى كفره صلحاء كما جاء في وثيقة الشهادة التي كتبها زياد، وشهد عليها رؤوس الأرباع في الكوفة، ثمّ سبعون شخصية من داخل الكوفة كان من ضمنهم عزرة بن قيس البجلي، حيث يقول الطبري وهو يروي مأساة هذه الشهادة ومَن شهدها:

(هذا ما شهد عليه أبو بردة بن أبي موسى لله ربّ العالمين، شهد أنّ حجر بن عدى خلع الطاعة وفارق الجماعة، وجمع إليه الجموع يدعوهم إلى نكث البيعة وخلع أمير المؤمنين معاوية، وكفر بالله كفره صلحاء، فقال ابن زياد: على مثل هذه الشهادة فاشهدوا، أمّا والله لأجدنّ على قطع ضبط عنق الخائن الأحمق. فشهد رؤوس الأرباع على مثل شهادته وكانوا أربعة، ثمّ إنّ زياداً دعا الناس فقال: اشهدوا على مثل شهادة رؤوس الأرباع، فقرأ عليهم الكتاب، فقال: أولّ الناس عناق بن شرحبيل بن أبي وهم التميمي، فقال زياد: أبدأ بأسامي قريش ثمّ اكتبوا اسم عناق في الشهود ومَن عرفه ويعرفه أمير المؤمنين، فشهد إسحاق بن طلحة بن عبيد الله وموسى بن طلحة... وعزرة بن قيس الأحمسي...)(1).

أقول: إذا كان عزرة قد تجرّأ كلّ هذه الجرأة العظيمة وشهد كذباً وزوراً على إنسان مؤمن مصلّ ومَن معه من المصلين الذين يصفهم الحسين عليه السلام:

«المصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون البدع،

ولا يخافون في الله لومة لائم»(1).

بأنهم كفروا بالله كفرة صلعاء، أفليس من السهل عليه أن يكذب على زهير ابن القين في يوم عاشوراء مثل هذه الكذبة، لاسيما وأنّ الذي دعاه إلى الشهادة على حجر وأصحابه كذباً هو نفسه الذي يدعوه إلى الكذب في يوم عاشوراء؟

3 - وأما فيما يتعلّق برواية أبي مخنف، فقد نقلها عن رجل من بني فزارة، والنص هكذا: (حدّثني السدي عن رجل من بني فزارة)(2).

ويبدو أنّ هذا النقل كان في ظرف خاص، حيث كان فيه أتباع أهل البيت يخافون حتى من ظلّ أشخاصهم؛ لشديد الظلم الذي حلّ بهم ونزل عليهم بسبب الولاء والتشيع لأهل البيت عليهم السلام، لاسيما في زمن الحجاج الذي ولغ في دماء شيعة أهل البيت عليهم السلام بشكل فاق الحدود والتصوّرات، حتى صار يُضرب به المثل. ويبدو أنّ هذه الرواية - على فرض صحتها - قد ذكرها هذا الراوي الفزاري في ظرف كهذا وفي زمن كهذا ومع ظالم كهذا.

يقول أبو مخنف في مقتله: (حدّثني السدي عن رجل من بني فزارة، قال: لمّا كان زمن الحجاج بن يوسف كذّبا في دار الحارث بن أبي ربيعة(3) التي في

ص:72

1- (1) حياة الإمام الحسين عليه السلام: ج 2، ص 235. الإمامة والسياسة: ج 1، ص 284. الدرجات الرفيعة: ص 334. راجع الغدير: ج 10، ص 161.

2- (2) مقتل أبي مخنف: ص 73.

3- (3) الحارث بن أبي ربيعة: كان والياً على البصرة من قبل ابن الزبير، وكان إلى جانب مصعب بن الزبير الذي قاتل المختار، ومن هنا نعرف سرّ عدم دخول جيش الشام إلى هذه الدار التي كانوا محبّين بها، فإذا كان الحال هذه في مثل هذه الدار كيف يمكن لهذا الرجل الفزاري أن يتحدّث عن زهير بلا خوف كما هي الحقيقة؟!

التمارين، التي أقطعت بعد زهير بن القين من بنى عمرو بن يشكر من بجيلة، وكان أهل الشام لا يدخلونها، فكنا محتبين فيها، قال: قلت للفضاري: دُثني عنكم حين أقبلتم مع الحسين بن علي، قال: كنا مع زهير بن القين... إلخ(1).

ثانياً: مواقف زهير بن القين

إشارة

وكل من يتتبع مواقف هذا الرجل وكلماته التي نقلها لنا التاريخ سواء في الطريق وهو يلتقي الحسين في زرود أم بعد ذلك، أو حتى في يوم عاشوراء كما سيأتينا؛ ليدل ذلك وبشكل واضح أن الرجل لم يكن يحمل في قلبه سوى ولاء الحسين عليه السلام ولا شيء معه، مما يمكن أن يزرى به.

الموقف الأول

موقفه في زرود بعد مجيئه من الحسين عليه السلام، حيث قال لزوجته: (وقد عزمْتُ على صُحبة الحسين لأفديه بروحي وأقيه بنفسي)(2). ثم قوله لأبناء عمّه ومن كان معه: (من أحب منكم الشهادة فليقم، ومن كرهها فليتقدم)(3). يكشف لكل ذي بصيرة أن قائل هذه الكلمات مؤمن بالحسين عليه السلام وقضيتته مئة في المئة بلا أدنى شك وريب، فمسألة الفداء بالروح والوقاية بالنفس وبذل

ص: 73

1- (1) مقتل أبي مخنف: ص 73.

2- (2) الملهوف في قتلى الطفوف: ص 133.

3- (3) الأخبار الطوال: ص 246. أنساب الأشراف للبلاذري، ص 168.

الدم فى هذا المجال، لا يمكن أن تجتمع إلا مع إيمانه اليقيني بعدالة قضيتته، وهذا ما لا يتصور مع عثمانيتته (رض).

الموقف الثانى

وهو الذى جرى بعد مدة وجيزة من الزمن على لقاء زرود، وذلك حينما وصل الركب الحسينى إلى منطقة (ذى حسم)، حيث نزل الحسين فيها وخطب بمن معه خطبةً بعد أن وصل إليه خبر مقتل مسلم بن عقيل وهانى بن عروة وما جرى فى الكوفة، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على جدّه صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنّه قد نزل فىنا من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا قد تعيّرت وتكّرت، وأدبر معروفها، واستمرت حدّاء، ولم يبقَ فيها إلاّ صّ بابة كصّبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألاّ ترون إلى الحق لا يُعمل به، وإلى الباطل لا يُنهى عنه؟ فليرغب المؤمن فى لقاء ربّه محققاً، فإنّى لا أرى الموت إلاّ سعادة، والحياة مع الظالمين إلاّ برماً»(1).

فقام زهير بن القين البجلي فقال لأصحابه: (تكلمون أم أتكلّم؟ فقالوا: بل تكلم، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: قد سمعنا - ذاك الله - مقالتك، والله لو كانت الدنيا لنا باقية وكنّا فيها مخلّدين إلاّ أنّ فراقها فى نصرک ومواساتک، لاثرنا الخروج معك على الإقامة فيها)(2).

ص:74

1- (1) المجالس الفاخرة فى مآتم العترة الطاهرة، ص 226.

2- (2) معالم المدرستين: ج 3، ص 72.

يقول الشيخ باقر شريف القرشي معلّقاً على كلمة زهير المتقدّمة: (ومثّلت هذه الكلمات شرف الإنسان الذي لا يضاهيه شرف، وقد حكى ما فى نفوس أصحابه الأحرار من الولاء لريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتفانى فى سبيله)(1).

أقول: لا يمكن لأى إنسان منصف يتأمّل فى هذه الكلمات التى ذكرها (رض) إلا ويخرج بنتيجة مفادها: أنّ قائل هذه الكلمات يحمل ولاءً للحسين مُلفتاً للنظر، وبراءة من أعدائهم منقطعة النظير، وهى واحدة من جملة الصفات المهمّة التى ذكرتها الروايات كما فى زيارة عاشوراء للحسين عليه السلام، حيث جاء فيها:

«يا أبا عبد الله، إنى أتقرب إلى الله وإلى رسوله وإلى أمير المؤمنين وإلى فاطمة وإلى الحسن وإليك بمولاتك وبالبراءة ممّن قاتلك ونصب لك العداوة، وبالبراءة ممّن أسّس أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت عليهم السلام»(2).

وكانّ هذه الزيارة للحسين عليه السلام تحكى لنا وتتطق عن لسان حال زهير وهو واقف أمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، ويبدو لى أنّ مسألة البراءة من أعداء آل محمّد ربّما تكون أكثر خطورة من مسألة التولّى مع عظمتها وعظمة آثارها؛ وذلك لأنّ أعداء آل محمّد قد يرتضون لك الولاء لأهل البيت، ولكنّهم لا يرتضون العداوة من أعدائهم والبراءة منهم، ولو فعلنا ذلك لَمَا كانت هناك مشاكل عظيمة وبلايا كثيرة نشهدها عبر التاريخ وإلى يومك هذا.

ص:75

1- (1) العباس راند الكرامة: ص 168.

2- (2) مفاتيح الجنان للشيخ القمّي، زيارة عاشوراء.

ولقد وصل زهير إلى التمسك بكل من هاتين الحلقتين اللتين بهما يستطيع الإنسان أن يدخل إلى قلب رسول الله ثم إلى الجنة وتحمل في سبيل هذا التمسك كل المصائب والآلام، أفيعقل أن يكون من حاله هكذا عثمانياً؟!

الموقف الثالث

وقد تجسّد هذا الموقف في منطقة نينوى، يقول الشيخ المفيد في كتابه الإرشاد وهو يتحدث عن مسيرة الحرّ وجيشه للحسين وأصحابه: (فلما أصبح نزل وصلى بهم صلاة الغداة، ثم عجل الركوب وأخذ يتياسر بأصحابه يريد أن يفرّقهم فيأتيه الحر بن يزيد فيرّده وأصحابه، فجعل إذا ردهم نحو الكوفة رداً شديداً امتنعوا عليه فارتفعوا، فلم يزالوا يتسايرون كذلك حتى انتهوا إلى نينوى - المكان الذي نزل به الحسين عليه السلام - فإذا راكب على نجيب له عليه السلاح متنكب قوساً مُقْبِل من جهة الكوفة، فوقفوا جميعاً ينظرونه، فلما انتهى إليهم سلّم على الحرّ وأصحابه ولم يسلم على الحسين وأصحابه، ودفع إلى الحرّ كتاباً من عبيد الله بن زياد (لعنه الله)، فإذا فيه:

أمّا بعد، فجعجّع بالحسين حين يبلغك كتابي هذا ويقدم عليك رسولي، ولا تُنزلهُ إلاّ بالعراء، في غير خضر وعلى غير ماء، وقد أمرتُ رسولي أن يلزمك ولا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذك أمري، والسلام.

فلما قرأ الكتاب قال لهم الحرّ: هذا كتاب الأمير عبيد الله يأمرني أن أُجْعَجَ بكم في هذا المكان الذي يأتيني كتابه، وهذا رسوله وقد أمره أن لا يفارقني حتى أنفذ أمره فيكم.

فَنظَرَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَاجِرِ الْكِنْدِيُّ - وَكَانَ مَعَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَى رَسُولِ ابْنِ زِيَادٍ فَعَرَفَهُ، فَقَالَ لَهُ: ثَكَلْتِكَ أُمَّكَ، مَاذَا جِئْتَ بِهِ؟ قَالَ: أَطَعْتُ إِمَامِي وَوَفَيْتُ بَبَيْعَتِي، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْمُهَاجِرِ: بَلْ عَصَيْتَ رَبَّكَ وَأَطَعْتَ إِمَامَكَ فِي هَلَاكِ نَفْسِكَ وَكَسْبِ الْعَارِ وَالنَّارِ، وَبَشَّ الْإِمَامُ إِمَامَكَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

«وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ 1.»

فإمامك منهم وأخذهم الحر بالنزول في ذلك المكان على غير ماء ولا في قرية، فقال له الحسين عليه السلام: دعنا ويحك نزل هذه القرية أو هذه يعنى نينوى أو هذه يعنى شافية؟ قال: لا والله، ما أستطيع ذلك، هذا رجل قد بعث إلى عينا على، فقال زهير بن القين: إني والله لا أرى أن يكون بعد الذي ترون إلا أشد مما ترون، يا بن رسول الله: إن قتال هؤلاء القوم أهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم، فلعمري فليأتينا من بعدهم ما لا قبل لنا فيه، فقال الحسين:

ما كنت لأبدأهم بقتال(1).

فقد أراد زهير بن القين من خلال هذا الموقف أن يصدق نفسه مع الحسين عليه السلام بقدر ما أوتي من قوة قولاً وعملاً، فلقد ذكر (رض) للحسين عليه السلام قبل هذا المنزل كلمات كلها تدل على عقيدته بالحسين عليه السلام، واستعداده التام لسفك دمه الطاهر في طاعته عليه السلام، فأراد في هذا المنزل أن يجسد ذلك عملياً من

ص: 77

1- (2) الإرشاد للشيخ المفيد: ج 2، ص 82-84. بحار الأنوار: ج 44، ص 379-381. جمهرة خطب العرب: ج 2، ص 39-40.

خلال طلبه في قتال جماعة عبيد الله بن زياد ومن يدور في فلکهم.

أقول: إذا كان الأمر كذلك، فهل يمكن أن يكون زهير جاداً في قتال آل بني أمية والسائرين على نهجهم، وهم الذين يرفعون علم المطالبة بدم عثمان ومطاردة قتلته، لاسيما وقد تتبّع زياد بن أبيه وولده عبيد الله الكثير منهم في الكوفة والبصرة؟

وبعبارة أخرى: هل يمكن أن تجتمع عثمانية زهير بن القين ومقاتلة من يطالب بالثأر له ظاهراً؟

الموقف الرابع

وهو الذي حصل ليلة العاشر من محرّم، وذلك حينما جمع الحسين عليه السلام أهل بيته وأصحابه ثم خطب فيهم قائلاً:

«أثنى على الله تبارك وتعالى أحسن الثناء، وأحمده على السراء والضراء، اللهم إني أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة، وعلمتنا القرآن، وفقهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدةً ولم تجعلنا من المشركين.

أمّا بعد.. فإني لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيتٍ أبر ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عنى جميعاً خيراً، ألا وإني أظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، ألا وإني قد رأيتُ لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ، ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشّ يكم فاتخذوه جملاً، ثم ليأخذ كل رجلٍ منكم بيد رجلٍ من أهل

بيتي ثم تفرقوا في سوادكم ومدائنكم، حتى يفرج الله، فإن القوم إنما يطلبونني، ولو قد أصابوني كهذا عن طلب غيري»(1).

فلما سمع أهل بيته ذلك قاموا وأبوا ذلك وفدّوه بالأنفس والأموال والأهلين، ثم قام أصحابه واحداً بعد واحد، حتى وصل الدور إلى زهير بن القين فقال: «(والله، لوددت أني قُتلتُ ثم نُشِرتُ، ثم قُتلتُ، حتى أُقتلَ كذا ألف قتلة، وأنّ الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك)»(2).

أقول: لا أعلم كيف يمكن أن يتغافل إنسان عن معاني هذه الكلمات الجليلة ومقاصدها العميقة، وهي تصوّر لنا ذلك الإنسان الذي يريد أن يقطع جسده قطعة قطعة ويُشدر بالمناشير، ويُفعل به ذلك ألف مرة فداءً للحسين عليه السلام ودفعاً للقتل عنه عليه السلام، ومع ذلك لا يُرمى ولا يُوصف بالولاء لأهل البيت عليهم السلام!

وإذا لم يكن مثل هذا الإنسان علويّاً حسينياً موالياً، فمن - يا ترى - يمكن أن يصدق عليه مثل هذا الوصف؟

هل هناك موالٍ طلب مثل هذا الطلب، أو حتى تجرّأ أن يطلبه في مستقبل حياته وإلى يومك هذا؟

ما الفرق بين قول زهير بن القين الذي يرمى بالتعثنم وبين قول الموالى لأهل البيت عليهم السلام سعيد بن عبد الحنفى الذي قال للحسين عليه السلام في نفس الزمان

والمكان: (والله، لو علمت أني أُقتلُ ثم أحيأ ثم أُحرق حياً ثم أُذّر، يُفعل ذلك بي

ص: 79

1- (1) جمهرة خطب العرب: ج 2، ص 41.

2- (2) جمهرة خطب العرب: ج 2، ص 42-43.

سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حِمَامِي دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإِنَّمَا هِيَ قَتْلَةٌ وَاحِدَةٌ، ثُمَّ هِيَ الْكِرَامَةُ الَّتِي لَا انْقِضَاءَ لَهَا أَبَدًا؟! (1).

لا شك أن لا فرق بين قوليهما ولا حتى في درجة الاستعداد للتضحية والفداء؛ لأنَّ القلب الذي حمل الولاء لأهل البيت عليهم السلام - الذي يعيش أعلى درجات الإخلاص كما في قلوبهما - لا يمكن أن تختلف آثاره في الخارج، فهو واحد عند الجميع، بل إنِّي أرى أن موقف الشهيد زهير بن القين (رض) هو في امتداد مواقف الموالين قبله، أمثال ميثم وحجر وكميل وقنبر، وما إلى ذاك من أسماء لامعة في رحاب الولاء لمحمّد وآله الطاهرين.

الموقف الخامس

خطبة زهير بن القين (رض) يوم العاشر من المحرم، والتي تحدّث فيها عن نقاط مهمّة، ولا يسعني هنا في هذه الدراسة المختصرة أن أسلّط الأضواء على جميعها، ولكنني سوف أضع بين يدي القارئ العزيز بعض المقاطع والجمل بعد ذكر الخطبة كاملةً، راجياً منه التمعّن بها والتأمّل فيها، أفيمكن أن تصدر خطبة كهذه من إنسان لا يعرف الولاء لأهل البيت عليهم السلام؟

(وخرج زهير بن القين على فرس ذنوب وهو شاك في السلاح، فقال: يا أهل الكوفة، نذّار لكم من عذاب الله، نذّار لكم أن حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن أخوة وعلى دين واحد ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، وأنتم للنصيحة منّا أهل، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا أمة وأنتم أمة، إنّ

ص: 80

اللّه ابتلانا وإياكم بذرية نبيّه محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنّنا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية يزيد وعبيد الله بن زياد، فإنّكم لا تدركون منهما إلّا سوء عمر سلطانهما، يسملان أعينكم، ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمثّلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أمثالكم أمثال حجر بن عدى وأصحابه، وهانى بن عروة وأشباهه.

فسبّوه وأثوا على عبيد الله بن زياد، ودعّوا له، قالوا: لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه، أو نبعث به وبأصحابه إلى عبيد الله بن زياد سالماً.

فقال زهير: عباد الله، إنّ ولد فاطمة أحقّ بالوّد والنصر من ابن سمية، فإن لم تنصروهم فأعيذكُم بالله أن تقتلوهم، فخلّوا بين هذا الرجل وبين يزيد، فلعمري إنّّه ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين عليه السلام.

فرماه شمر بسهم وقال: اسكت، أسكت الله نامتك، أبرمتنا بكثرة كلامك.

فقال زهير: يا بن البوّال على عقبيه، ما إياك أخاطب، إنّما أنت بهيمة، والله ما أضنك تُحكّم من كتاب الله آيتين، فابشر بالخزى يوم القيامة والعذاب الأليم.

فقال: إنّ الله قاتلك وصاحبك عن ساعة.

فقال زهير: أبا الموت تخوفنى، فوالله للموت معه أحبّ إليّ من الخلد معكم.

ثمّ أقبل على القوم رافعاً صوته وقال: عباد الله، لا يغزّركم هذا الجلف الجافى وأشباهه، فوالله لا تنال شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم قوماً هرقوا دماء ذريته وأهل بيته وقتلوا من نصرهم وذبّ عن حريمهم.

فناداه رجل من أصحابه: إنَّ أبا عبد الله يقول لك: أقبل، فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نَصَحَ لقومه وأبْلَغَ في الدعاء، فلقد نصحتَ لهؤلاء وأبْلغتَ في الدعاء لو نفع النَّصْحُ والإبلاغُ(1).

أولاً: قوله: (إنَّ الله ابتلانا وإياكم بذرية نبيِّه محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم؛ لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنَّا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية يزيد وعبيد الله بن زياد...).

وهذا مطلبُ كلِّ إنسانٍ موالٍ لأهل البيت عليهم السلام منذ وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإلى يومك هذا، وهي دعوة الناس إلى التمسك بمن أمرنا بالتمسك بهم:

«تركْتُ فيكم ما إن تمسَّكتم به لن تضلُّوا من بعده أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»(2)، وخذلان كلِّ من نصب نفسه في مقامهم عليهم السلام، أمثال معاوية ويزيد وغيرهما.

ثانياً: قوله: (يسملان أعينكم، ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمثَّلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أمثالكم أمثال حجر بن عدى وأصحابه، وهانى بن عروة وأشباهه...).

وهذه هي أساليب الظلمة من بنى أمية ومن جاء بهم وسلَّطهم على رقاب المسلمين مع شيعة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، فقد تتبَّعواهم تحت كلِّ حَجَرٍ ومَدْرٍ.

ويبدو لى أنَّ الصورة كانت واضحة تمام الوضوح عن الشهيد زهير (رض) منذ أيام معاوية وقتله للموالين، لاسيَّما حجر بن عدى وأصحابه، فضلاً عمَّا جرى

ص: 82

1- (1) تاريخ الطبري: ج 3، ص 320. معالم المدرستين: ج 3، ص 98.

2- (2) رواه الترمذى في جامعه وآخرين: ج 2، ص 219.

فى الكوفة من قتل لمسلم بن عقيل ولهانى بن عروة وأتباعهما، وهذا إن دلّ على شىء فإنّما يدلّ على أنّه كان صاحب موقف ودور من قضية حِجر وأصحابه، ومسلم بن عقيل وأتباعه فى الكوفة، والاعتذار بعدم وجود النصوص لىس دليلاً كافياً؛ لعدم وجود الحركة لهذا الشهيد (رض) كما هو واضح.

ثالثاً: (عباد الله، إنّ وُلد فاطمة أحقّ بالوُدّ والنصر من ابن سمية...)، الله أكبر.. ومع كلّ ذلك تأتى الرواية التى تريد أن تشوّه صورة هذا الشهيد بأنّه كان يكره مسابرة الحسين عليه السلام، أو أنّه كان عثمانياً لاسيّما وقد قارن الشهيد بين أولاد فاطمة وأولاد سميّة من أجل أن يشير على إلحاق معاوية لعبيد الله بن زياد بأبى سفيان.

رابعاً: قوله: (فوالله، لَلَمّوت معه أحبّ إلّى من الخُلدِ معكم...)، بالله عليك.. قل لى: هل يوجد هناك أعظم من هذا العشق؟ أى صورة من الولاء يحملها هذا الشهيد تجاه الحسين عليه السلام؟

خامساً: قوله: (فوالله، لا تنال شفاعة محمّد قوماً هرقوا دماء ذريته وأهل بيته، وقتلوا من نصر وهم وذبّ عن حريمهم...) .

وهذا أمر مُسلّم به عند جميع المذاهب الإسلامية حين عدّوا ناصبَ العداء لأهل البيت عليهم السلام بقلبه ولسانه وبيده كافراً؛ لأنّه منكر لضرورة من الضرورات الإسلامية، ألا وهو وجوب المودّة فى قلوب المسلمين لأهل البيت عليهم السلام، وهو ما عتته الآية الكريمة:

«قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلاّ الْمَوَدَّةَ فى الْقُرْبى 1» .

ومن ثم فيمثل هذا الإنسان لا يُغسَل ولا يُكفَّن ولا يُدفن في مقابر المسلمين، ولكن بتقديرى إنَّ هذا النص الذى ذكره الشهيد زهير بن القين إنَّما هو عبارة عن مضمون آخر لحديث الغدير والأحاديث الكثيرة التى رُويت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى خصوص أهل البيت عليهم السلام وضرورة نصرتهم والوقوف إلى جانبهم، وأنَّه صلى الله عليه وآله وسلم خصمٌ لمن خصمهم وعدوٌّ لمن عاداهم، وما إلى ذلك من ثقافة ربِّما لا تجد لها واقعا ملموساً حقيقياً يُتحدَّث به إلاَّ فى أوساط شيعة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم.

ومن ثم فإنَّ الشهيد زهير بن القين قد انطلق فى الحديث مع أهل الكوفة من خلال هذه الثقافة الإسلامية الشيعية الموالية لأهل البيت عليهم السلام، وللمثال فقط أذكر هنا حديثاً واحداً ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى هذا الخصوص:

«أيُّها الناس، اسمعوا قولى واعرفوا حقَّ نصيحتى، ولا تُخالفونى فى أهل بيتى إلاَّ بالتى أمرتُم به من حفظهم، وأنَّهم خاصتى وقرابتى وإخوتى وأولادى، وأنتم مجموعون ومساءلون عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفونى فيهما، إنَّهم أهل بيتى فمن آذاهم فقد آذانى، ومن ظلمهم فقد ظلمنى، ومن أذلَّهم فقد أذلَّننى، ومن أعزَّهم فقد أعزَّننى، ومن أكرمهم فقد أكرمنى، ومن نصرهم فقد نصرنى، ومن خذلهم فقد خذلنى، ومن طلب الهدى من غيرهم فقد كذَّبنى. أيُّها الناس، اتقوا الله وانظروا ما أنتم قائلون إذا لقيتموه، فإنَّى خصمٌ لمن آذاهم،

وَمَنْ كُنْتُ خَصَمَهُ خَصَمْتُهُ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ»(1).

الموقف السادس

قول زهير بن القين (رض) إلى عزرة بن قيس البجلي - حينما قال عزرة له: يا زهير، ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت، إنما كنت عثمانياً -: (أفلا تستدل بموقفي هذا أتى منهم)(2).

أنا لا أعلم كيف يمكن لإنسان سوى وسليم أن يمرّ بهذه الرواية ولا يخرج بالقول إن زهيراً كان من الموالين لأهل البيت عليهم السلام!؟

وكيف يمكن أن نُسدل الستار على قول زهير: (أفلا تستدل بموقفي هذا أتى منهم)؟

أليست دلالة الفعل على الشيء أعظم من دلالة اللفظ على الشيء نفسه؟ فلماذا مثل هذه القاعدة مطّردة في كلّ مواردّها سوى هذا المورد الذي توقّفت فيه عن الدلالة؟

إنّنا أمام نصّ فصيح وفعل صريح أنّه منهم، وهذا يكفيننا فيما نحن بصدده إثباته، ومما ينبغي أن يُلتفت إليه أنّ الإسلام اكتفى بفعل الإنسان في ترتيب بعض الأحكام حتى وإن لم يصرّح بها، ومنها على سبيل المثال: (الشهادة له بالإيمان)، حيث ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله:

ص: 85

1- (1) أمالي الصدوق: ص 121، مجلس 15، حديث 11.

2- (2) مقتل أبي مخنف: ص 105.

«إذا رأيتم الرجل يتعاهد المسجد، فاشهدوا له بالإيمان»(1).

حيث رتب حكم الإيمان لهذا الإنسان بمجرد فعله وهو الدخول إلى المسجد دون قوله، ومنها: (دلالة غيبة الإنسان المسلم على الطهارة)، ومثاله:

لو أن إنساناً مسلماً تنجست يده بالبول مثلاً، ثم غاب عنّا ورجع، فغيبته هذه دليل على طهارة يده، حيث نحمل غيبة هذا الإنسان عنّا على ذهابه من أجل التطهير من هذه النجاسة، وهنا أيضاً رتب الشارع المقدّس حكم الطهارة - كما هو واضح - على مجرد فعله وهو غيبته وحضوره دون القول، وهكذا في أحكام كثيرة ومتنوعة وفي مجالات مختلفة يطول ذكرها، فإذا كان الأمر كذلك، فلم لا يشفع فعل زهير وموقفه - الذي هو يدعو إلى التأمل فيه - على الاستدلال أنّه من شيعة أهل البيت عليهم السلام ومواليهم؟

الموقف السابع

وهو موقف الشهادة بين يدى أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وهذا ما سيأتى الحديث عنه بعد قليل، لاسيّما من أبياته التي نقلها لنا القندوزي في (ينابيع المودة)، حيث يقول فيها زهير بن القين (رض):

أَقْدِمُ حُسَيْنُ الْيَوْمِ تَلَقَى أَحْمَدًا ثُمَّ أَبَاكَ الطَّاهِرَ الْمُؤَيَّدَا

وَالْحَسَنَ الْمَسْمُومَ ذَاكَ الْأُمَّجَّدَا وَذَا الْجَنَاحَيْنِ حَلِيفَ الشُّهَدَا

وَحُمْرَةَ اللَّيْثِ الْهُمَامِ الْأَسْعَدَا فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ عَاشُوا سَعْدَا(2)

ص: 86

1- (1) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: كتاب الصلاة، باب المساجد ومواضع الصلاة، مسألة 723، ص 606.

2- (2) ينابيع المودة للقندوزي: ج 3، ص 72، تحقيق سيد علي جمال أشرف الحسيني.

مَنْ هُوَ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ؟

اختلف المؤرّخون والمفسّرون في شخصية مؤمن آل فرعون وقصّته مع قومه، فذهب بعضهم إلى أنّه كان نبياً من أنبياء بنى إسرائيل (1)، كان يُعرف ب - (حزبيل) أو (حزقيل).

وذهب آخرون إلى أنّه كان خازن خزائن فرعون والمسؤول عن الشؤون المالية (2).

ويقول ابن عباس: إنّ هناك ثلاثة من آل فرعون آمنوا بموسى، وهم: مؤمن آل فرعون، وزوجة فرعون، والرجل الذى أخبر موسى قبل نبوته أنّ الملأ يأترون من أجل أن يقتلوك:

«وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ 3,4» .

ويرى آخرون أنّه كان نجاراً، وأنّه هو الذى صنع التابوت لأمّ موسى عليه السلام حين قذفته رضيعاً فى البحر، وأنّه كان يكتّم إيمانه إلى أن ظهر موسى على السحرة فأظهر إيمانه، فأخذ وقتل مع السحرة صلباً.

ص: 87

1- (1) انظر: تفسير نور الثقلين: ج 4، ص 519.

2- (2) انظر: تفسير نور الثقلين: ج 4، ص 518.

يقول الإمام الصادق وهو يتحدث عن قتله:

«ولقد قطعوه إرباً إرباً، ولكن وقاه الله أن يفتنوه في دينه».

ويقول عليه السلام:

«ولقد سطوا عليه وقتلوه، ولكن أتدرون ما وقاه؟ وقاه أن يفتنوه في دينه»(1).

وبعد هذه الإطالة السريعة على حياة هذا الرجل المختلّف فيه - كما تقدّم، والذي أحببنا إirاده هنا حتى يطّلع القارئ العزيز عمّا كُتب حول هذا الرجل المؤمن - نحاول أن نسلط الضوء حول ما تحدّث عنه القرآن الكريم بقوله:

«وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ..2» .

حيث ذكر - بما لا يقبل النقاش - أنّ الرجل كان من آل فرعون، أى من أقربائه، وأنّه كان يكتّم هذا الإيمان في نفسه، وهاتان النقطتان بتقديرى هما ما يهّمنا كثيراً في حياة هذا الرجل، وربّما كانتا السبب وراء التشبيه الحسينى لزهير بن القين بأنّه كمؤمن آل فرعون (رض) كما سيأتى بيانه بعد ذلك.

أوجه التشابه بين زهير ومؤمن آل فرعون

إشارة

لقد كانت أوجه التشابه كثيرة بينهما وعلى مستويات مختلفة، سوف نذكر منها أربعة، وهى: الخطبة والكلام، والزوجة والأهل، وكتمان الإيمان، والشهادة.

ص: 88

1- (1) قصص الأنبياء للسيد الجزائري: ص 258 وما بعدها.

ومما يُذكر في أوجه التشابه بين خطبتيهما جملة من النقاط، منها:

أ - الحرص على الجماعة التي ينتمون إليها:

حيث يجد الإنسان مثل هذا الحرص بادياً كثيراً على مؤمن آل فرعون في الآيات التي تحدّثت عنه، من الآية 28 من سورة غافر وإلى الآية 44، والتي ذكر فيها قومه (6) مرات (يا قوم)، ولقد عاش نفس هذا الحرص على قومه وأبناء جلدته الشهيد زهير بن القين حين وقف يوم العاشر من المحرم وهو يقول: يا أهل الكوفة... إنَّ حقاً على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن أخوة على دين واحد... وأنتم للنصيحة منا أهل (1).

ب - الجرأة على بيان الحق

حيث لم يعبأ مؤمن آل فرعون وهو المقرّب إليه وصاحب المنزلة الرفيعة عنده، بل وصاحب المال فهو المسؤول المالى عن خزائن فرعون، ومع كلّ هذا لم يعبأ لا بتريغيب فرعون ولا فى ترهيبه:

«يا قَوْمَ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا؟» .

ووقف زهير بكل شموخ غير أبه بما تقول إليه النتائج، وغير مبالٍ بكلّ هذه الآلاف المؤلّفة من الجيوش التي جاءت من أجل قتله ومَن معه، فوقف (رض).

ص: 89

وهو يقول: (عباد الله، لا يغرنكم عن دينكم هذا الجلف الجافى وأشباهه)(1).

ج - التخويف بالله وعذابه

وكان واحداً من أهم الأساليب التي اتبعتها مؤمن آل فرعون من أجل هداية قومه وردعهم، وهو تذكيرهم بالعذاب الأخرى الذى ينتظرهم:

«يا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد * يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم 2» .

ونفس هذا المعنى صنعه زهير بن القين حينما ذكرهم بالله وعذابه الأليم الذى أعدّه للفاسقين: (يا أهل الكوفة، نذار لكم من عذاب الله... فابشر بالخزى يوم القيامة والعذاب الأليم)(2).

2 - على مستوى الزوجة والأقرباء

حيث كان يعيش مؤمن آل فرعون بين ظهراى قوم لا يعرفون الله عزّ وجلّ ولا يطيعونه، بل كانوا يشركون به ويطيعون غيره، ولكن فى نفس الوقت رزقه الله عزّ وجلّ زوجةً صالحهً مؤمنةً عُرفتْ فى الروايات بأنها ماشطة بنات فرعون كما يروى المجلسى فى بحار الانوار(3).

وروى عن ابن عباس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

ص:90

1- (1) تاريخ الطبرى: ج 2، ص 243.

2- (3) تاريخ الطبرى: ج 6، ص 243.

3- (4) تاريخ الطبرى: ج 2، ص 243. بحار الانوار للمجلسى: ج 13، ص 164.

«لَمَّا أُسْرِيَ بِي مَرَّتْ بِي رَائِحَةُ طَيِّبَةٍ، فَقُلْتُ لَجَبْرِئِيلَ: مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ؟»

قال هذه ماشطة آل فرعون وأولادها، كانت تمسحتها فوقعت المشطة من يدها، فقالت: بسم الله، فقالت بنت فرعون: أبى؟
فقالت: بل ربى وربك ورب أبىك.

فقالت: لأخبرنّ بذلك أبى، فقالت: نعم، فأخبرته فدعا بها وبولدها، وقال: بن ربك؟

قالت: إن ربى وربك الله. فأمر بتثور من نحاس، فأحمى، فدعا بها وبولدها، فقالت: إن لى إليك حاجة.

قال: وما هى؟

قالت: تجمع عظامى وعظام ولدى فتدفنها.

قال: ذاك لك لِمَا لك علينا من حقّ، فأمر بأولادها فألقوا واحداً واحداً فى التثور، حتى كان آخر ولدها صبيّاً مرضعاً، فقال: اصبرى يا أمّاه،
إنك على الحقّ، فألقيت فى التثور مع ولدها»(1).

ولقد عاش الشهيد زهير بن القين بين قوم عانى منهم أمير المؤمنين كثيراً، حيث لم يكونوا يقدرّونه على حقيقة قدره، حتى قال عليه السلام:

«غداً تعرفون أيامى ويكشف لكم عن سرائرى»(2).

ص: 91

1- (1) البحار: ج 13، ص 163.

2- (2) نهج البلاغة: خطبة 149.

فضلاً عن الرفقة التي كانت حول زهير بن القين من بنى عمّه وأقربائه، والتي يُشَمُّ منها رائحة العثمانية، لاسيّما في رواية منازل الطريق والتي عبّرت عنهم بتعبير الضمير (نا)، كقولهم: أقبلنا من مكّة نساير الحسين... أبغض إلينا... نسايره... نزلنا... ننازله فيه»(1).

ولكنّه مع ذلك كلّه رزقه الله زوجةً صالحهً مؤمنةً مواليةً لأهل البيت عليهم السلام، حتى أنّ الرواية لتؤكد أنّها كانت مطمئنةً إلى شهادة زوجها بالتحاقه مع الحسين عليه السلام؛ ولهذا طلبت منه أن يدعو لها ويذكرها عند جدّ الحسين عليه السلام، يقول السيد ابن طاووس: فقامت إليه وبكت وودعته وقالت: (كان الله عوناً ومعيناً، خار الله لك، أسئلك أن تذكرني في القيامة عند جدّ الحسين عليه السلام)(2).

3 - على مستوى كتمان الإيمان

وهذا ما كان واضحاً جلياً في كتاب الله حينما عبّر عنه بأنّه كاتم لإيمانه، وأمّا زهير فنحن نميل إلى أنّه كان كاتماً لولائه، مُسرّاً لتشيّعه كما سيأتي بيانه بعد ذلك مفصّلاً.

4 - على مستوى الشهادة

فقد تحدّثت الروايات عن مؤمن آل فرعون أنّه قُتل آخر الأمر وصُلب على جذوع الشجر مع سحرة موسى عليه السلام الذين آمنوا معه، ولكنّه - وكما يقول الإمام الصادق عليه السلام في الرواية المتقدمة - أبي إلا أن يخرج مؤمناً ثابتاً غير مفتون في

ص:92

1- (1) مقتل أبي مخنف: ص 161-162، تحقيق الشيخ محمد هادي السيوطي.

2- (2) اللهوف في قتلى الطفوف: ص 63.

دينه(1)، ولقد شارك الشهيد زهير بن القين هذا المؤمن بنفس هذه النتيجة، حيث أبقى الصمود مع الحسين عليه السلام والوقوف إلى جانبه أمام طغيان بنى أمية، ثابتاً في إيمانه وغير مفتون فيه وهو يقول: (فوالله، لأموت معه أحب إلي من الخلد معكم)(2)، إلى أن خر إلى الأرض شهيداً كما سيأتي.

سؤال وجواب:

وربما يسأل سائل - وحق له أن يسأل - أن مؤمن آل فرعون كتم إيمانه على أساس أنه يعيش في ظل دولة لا ترى رأيه، ومن ثم كان يخشى على نفسه القتل وعلى دينه ورسالته الفتنة، فاضطر أن يضمه في نفسه ولا يبديه لهم، وعلى هذا الأساس مديح في القرآن الكريم وذكره الله عز وجل بالتمجيد والتبجيل، ولكن - يا ترى - هل كانت هناك مبررات على إخفاء الشهيد زهير بن القين ما يعتقد في أئمة أهل البيت عليهم السلام في داخل الكوفة؟ وإذا كان الأمر كذلك فكيف إذا اختارها على عليه السلام عاصمة لدولة الإسلام في وقته؟

وفي معرض الإجابة على هذا السؤال المهم علينا أن ننظر إلى مجمل الأحداث والمواقف التي حصلت في الكوفة، لاسيما مع أتباع أهل البيت عليهم السلام وكيفية تعامل الأئمة عليهم السلام معها؟ وهنا - وحتى تكون الإجابة وافية ولو على نحو الإجمال لمثل هذا التساؤل المهم - لا بد أن نضع بين يدي القارئ العزيز جملة من النقاط المهمة.

ص:93

-
- 1- (1) في الرواية عن الصادق عليه السلام: «ولقد قطعوه أرباباً إرباباً، ولكن وقاه الله أن يفتنوه في دينه».
- 2- (2) مقتل أبي مخنف: ص 120.

النقطة الأولى: أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام والتقية في الكوفة

لقد حفلت كتب الأحاديث الصادرة عن أئمة الهدى عليهم السلام بأعداد كبيرة جداً من الروايات، التي كانت تحثُّ أتباعهم وأشياعهم والموالين لهم على العمل بالتقية، وعدم إظهار المعتقد إلى كلِّ أحد بشكل سهل حتى يطمئن إليه خوفاً على حياتهم؛ وذلك لشديد المعاناة التي كانوا يتعرّضون إليها، وسوف أذكر بعض هذه الروايات لكثرتها كشاهد لما نريد أن نصل إليه.

1 - روى الكليني عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد وعيسى بن زكريا عن عبد الله بن أسد عن عبد الله بن عطاء قال: قلتُ للإمام محمد الباقر عليه السلام: رجلان من أهل الكوفة أخذوا، فقبل لهما: ابرء من أمير المؤمنين على بن أبي طالب، فبرئ رجل وأبى الآخر فخلى سبيل الذي برئ وقتل الآخر، فقال عليه السلام:

«أما الذي برئ فرجل فقيه في دينه، وأما الذي لم يبرأ فرجل تعجّل إلى الجنة»(1).

وفي هذه الرواية يجد الإنسان عملية تخيير بين التصحية تلبيةً لنداء الروح عند الإنسان، والتي تحبب إليه مثل هذه المواقف، وبين البقاء في ساحة الصراع لخدمة دينه بطريقة أخرى، وفي وقت آخر ربّما تكون الظروف فيها أكثر ملاءمة من الظروف الحالية التي يعيشها، وعليه يبقى الإنسان في التصوّر الإمامي مجاهداً في كلتا الحالتين.

والراوى الذي نقل هذه الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام كان يعيش في الكوفة،

ص:94

وكان من شخصياتها، ويرى الأحداث فيها؛ ولذلك سأل عن تكليفه وما هو واجب عليه فعله.

يقول علماء الرجال وهم يتحدثون عن هذا الراوى عبد الله بن عطاء: (كوفى، قليل الحديث، له كتاب، وفى القسم الأول من الخلاصة: ابن عطاء، قال الكشى: قال نصر بن الصباح: ولدَ عطاء بن أبي رباح تلميذ ابن عباس عبد الملك وعبد الله وعريفاً نجباء من أصحاب أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام) (1).

2 - ما رواه الكليني عن أبي على الأشعري عن الحسن بن الكوفى عن العباس بن عامر عن جابر المكفوف (الأنصارى) عن عبد الله بن يعفور عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام قال:

«اتقوا الله فى دينكم فاحجبه بالتقية، فإنه لا إيمان لمن لا تقيّة له، إنّما أنتم فى الناس كالنحل فى الطير، لو أنّ الطير تعلم ما فى أجواف النحل ما بقى فيها شىء إلا أكلته، ولو أنّ الناس علموا ما فى أجوافكم أنّكم تحبّونا أهل البيت لأكلوكم ولنحلوكم فى السرّ والعلانية، رحم الله عبيداً منكم كان على ولايتنا» (2).

والإمام هنا فى صدد الدعوة لأتباعه بضرورة حفظ وجودهم المهم، لاسيّما فيما يتعلّق بشخصيات الموالين فى داخل الكوفة بشكل خاص،

ص: 95

1- (1) حاوى الأقوال للشيخ عبد النبى الجزائرى: ج 4، ص 90-91، تحقيق: مؤسسة الهداية لأحياء التراث.

2- (2) الكافى: ج 2، ص 218.

وخارجها بشكل عام، فكما أنّ النحل يحوى فى داخله الشفاء من الأمراض وينبغى حفظه عن الطير عن طريق إخفائه فى أجوافها وعدم إظهاره، فهكذا ينبغى على الموالين حفظ هذا المذهب المهم؛ لأنّه يمثّل الشفاء من كلّ ما تمرّ به الأمة من مشاكل.

ويبدو أنّ الراوى كصاحبه الأول فى الرواية الأولى، كان من أهل الكوفة وكان من شخصياتها المتميّزة فى الولاء لأهل البيت عليهم السلام، ومع ذلك أمر بكتمان أمره وعدم إظهاره، بل ومُدح من قبل الإمام فى طاعته له فى ذلك.

يقول السيد مصطفى بن الحسين الحسينى وهو يترجم إلى (عبد الله بن أبى يعفور) حيث يقول: (عبد الله بن أبى يعفور العبدى، وكان قارئاً يقرأ فى مسجد الكوفة، قال عنه الإمام الصادق عليه السلام:

«ما رأيتُ أحداً يقبل وصيتى ويطيع أمرى إلاّ عبد الله بن أبى يعفور»⁽¹⁾.

3 - روى معلّى بن خنيس عن الإمام الصادق عليه السلام قوله له مباشرة:

«يا معلّى، اكنتم أمرنا ولا تدعّه، فإنّه من كنتم أمرنا ولم يدعّه أعزّه الله فى الدنيا وجعله نوراً بين عينيه فى الآخرة يقوده إلى الجنّة، يا معلّى، من ذاع أمرنا ولم يكنتمه أدلّه الله فى الدنيا ونزع النور من بين عينيه فى الآخرة، وجعله ظلّمة تقوده إلى النار، يا معلّى، إنّ التقية دينى ودين آبائى، ولا دينَ لمن لا تقية له، يا معلّى، إنّ الله يحبّ أن

ص:96

1- (1) نقد الرجال: ج 3، ص 83 للسيد مصطفى بن الحسين الحسينى.

يعبد الله في السرّ كما يُحبّ أن يُعبد في العلانية، يا معلّى، إنّ المذيع لأمرنا كالجاحد له»(1).

وهنا يؤكّد الإمام على نقطة مهمّة، وهي: إذا كان الصبر على الباطل مرفوضاً في داخل الإسلام، وكتمان الحق انحرفاً عن تعاليم السماء، فإنّ الظروف الطارئة التي يمرّ فيها الإنسان المؤمن قد تجعل من هذين الأمرين المرفوضين وسيلة من وسائل تعزيز الحق ونشر الدين؛ لأنّ مقياس الأمور في الشريعة على أساس المضمون لا الشكل.

والمعلّى بن خنيس هو أحد الساكتين في مدينة الكوفة ومن الممدوحين كما يقول علماء الرجال، يقول السيد الخوئي في معجمه: عدّه البرقي من أصحاب الصادق قائلاً: (معلّى بن خنيس مولى أبي عبد الله عليه السلام، كوفي بزّاز، وعدّه الشيخ من السفراء الممدوحين وقال: بينهم المعلّى بن خنيس، وكان من خدام أبي عبد الله عليه السلام)(2).

4 - أصول الكافي عن الحسين بن محمد عن معلّى بن محمد عن جمهور عن أحمد بن حمزة عن الحسين بن المختار عن أبي بصير، قال: قال أبو جعفر عليه السلام:

«خالطوهم بالبرانية وخالفوهم بالجوانية(3)، إذا كانت الإمرة

ص: 97

1- (1) أصول الكافي: ج 2، ص 223. وسائل الشيعة: ج 11، ص 485.

2- (2) معجم رجال الحديث للخوئي: ج 19، برقم 12525.

3- (3) أصول الكافي: ج 2، ص 220.

والراوى المباشر لهذه الرواية كالسابقات هو من شخصيات المواليين ويسكن الكوفة أيضاً.

يقول الشيخ جعفر السبحانى: (يحيى بن القاسم، وقيل: ابن أبى القاسم، واسمه إسحاق الفقيه، المحدث أبو بصير الأسدى الكوفى، وقيل فى كنيته: أبو محمد... وكان من كبار الفقهاء، ثقة، وجيهاً، أخذ الحديث والفقه وسائر العلوم عن الإمامين أبى جعفر الباقر وأبى عبد الله الصادق، وروى عنهما وعن الإمام موسى الكاظم عليه السلام)(2).

وهذه عيّنة غير مرتبة من الروايات التى جاءت عن أئمة الهدى فى خصوص التقيّة لأتباع أهل البيت عليهم السلام، والمتحدث معهم مباشرة فى هذه الروايات - كما مرّ عليك - كلّهم كانوا من سادات الكوفة وشخصياتها العلمية المرموقة، ومع كلّ هذا جاء الأمر من قبل الأئمة عليهم السلام لهم على ضرورة كتمان أمر تشييعهم وعدم إظهاره؛ حفاظاً عليهم من جهة، ومن جهة أخرى يسهل عليهم مراقبة الأوضاع السياسية من الداخل عن كثب ونقلها إلى أئمة أهل البيت لأخذ التدابير الملائمة لها.

ص:98

-
- 1- (1) المراد من البرانية هو الظاهر، والمراد من الجوانية الباطن، وقد وردت هاتان الكلمتان بلا ألف ولام فى كتب كافة المسلمين، حيث روى الستة والشيعية عن على عليه السلام وسلمان أنّهما قالوا: «لكلّ امرئ جوائى وبرانى، فمن يصلح جوائيه يصلح الله برّانيه، ومن يفسد جوائيه، يفسد الله برّانيه»، حلية الأولياء: ج 1، ص 203.
- 2- (2) موسوعة طبقات الفقهاء: ج 2، ص 632-633.

لا يمكن لأى كاتب مهما أوتى من قوّة وبيان أن يجسّد فى ألفاظه التى يكتبها حقيقة الظلامه الكبرى التى تعرّض لها أتباع أهل البيت عليهم السلام فى داخل الكوفة عبر العصور، فلقد ملئت منهم السجون وفاضت بهم الأنهر وأكلت منهم الأرض وبُنيت بهم القصور، ولم يتبقّ وسيلة من وسائل التنكيل والتعذيب إلاّ واستُخدمت ضدّهم.

وكانت أعظم الظلمات وأشقّها عليهم أنّهم أرغموا على سماع لعن أمير المؤمنين عليه السلام فى كلّ جمعة ومن على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كلّ ذلك - وغيره أعظم - من أجل ولائهم ومتابعتهم لأئمّة الهدى ومصايح الدجى عليهم السلام.

ولقد امتلأت الكتب عند الفريقين بذكر هذه الجرائم، لاسيّما فى زمن معاوية، وهو أحد المؤسّسين الكبار لها، وللاختصار سوف أذكر بعض الأحاديث للمثال لا للحصر.

1 - ورد فى كتاب الاحتجاج: (وكان أشدّ الناس بليّة أهل الكوفة؛ لكثرة من بها من الشيعة⁽¹⁾)، فاستعمل زياد بن أبيه وضمّ إليه العراقيين: الكوفة والبصرة، فجعل يتتبع الشيعة وهو بهم عارف، يقتلهم تحت كلّ حجر ومدّر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وصلبهم فى جذوع النخل، وسمل أعينهم، وطردهم وشردّهم، حتى نفوا عن العراق، فلم يبقّ بها أحد معروف مشهور، فهم بين مقتول

ص: 99

1- (1) مقارنة بأعدادهم فى بقية الأمصار الأخرى، وإلاّ فعدّوهم فى داخل الكوفة قليل كما سيأتى بعد ذلك.

ويقول الشيخ محمد مهدي شمس الدين: (بعد شهادة على كتب معاوية إلى عمّاله في الولايات: انظروا من قامت عليه البيّنة أنّه يُحبّ عليّاً وأهل بيته فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه. وشفع ذلك بنسخة أخرى: ن اتهمتموه بموالاته هؤلاء القوم فنكّلوا به واهدموا داره(2). ومن هنا كان البلاء عظيماً في العراق، لاسيّما في الكوفة، حتى أنّ الرجل من الشيعة إذا يأتيه من يثق به فيدخل عليه بيته ويعطيه سرّه، يخاف من خادمه حتى يأخذ عليه الأيمان المغلّظة أن يكتمها عليه.

2- ينقل الشعبي أنّه سمع من رشيد الهجري والحارث بن الأعور الهمداني وصعصعة بن صوحان العبدى وسالم بن دينار الأزرى، كلهم يذكرون أنّهم سمعوا على بن أبي طالب على منبر الكوفة يقول في خطبته:

«يا معشر أهل الكوفة، والله لتصبرنّ على قتال عدوّكم أو ليُسلّطنّ الله عليكم أقواماً أتتم أولى بالحقّ منهم، فيعدّبكم الله بهم، ثمّ يعدّبهم بما شاء من عنده، أو من قتلة بالسيف تفرّون إلى الموت على الفراش»(3).

وواضح من خلال هذه الخطبة أنّ الإمام أمير المؤمنين يهيئ نفوس أتباعه إلى تقبّل هذه الحقيقة المُرّة التي سوف تحلّ بهم وتنزل عليهم، بل إنّ الإمام وضع لهم لتلك المرحلة علاجاً كما سيأتي في الحديث الآخر.

ص:100

1- (1) الاحتجاج: ج 2، ص 17.

2- (2) ثورة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ محمد مهدي شمس الدين نقلاً عن نهج البلاغة: ص 70.

3- (3) شرح الأخبار: ج 1، ص 159.

«أما إنه سيظهر عليكم بعدى رجل رحب البلعوم، مندحق البطن، يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه ولن تقتلوه، ألا وإنه سيأمركم بسبى والبراءة منى، فأما السب فسبوني، فإنه لى زكاة ولكم نجاة، وأما البراءة فلا تتبرءوا(1) منى، فإني ولدت على الفطرة، وسبقت الى الإيمان والهجرة»(2).

وهذا فيض من غيظ الظلمات التي تعرض لها أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام مع أئمتهم في داخل الكوفة، فأنت تقرأ معنى ما تقدم من الروايات وغيرها، والتي تتحدث عن بعض ما جرى فيها، وكيفية معالجة الأئمة لها، وإذا نقرر هذا أفلا يكون عاملاً مهماً من عوامل إخفاء الولاء والتشيع من قبل أتباع أهل البيت عليهم السلام في داخل الكوفة؟ أفلا يمكن أن تضع في زحام هذه الإخفاءات بعض الأسماء، فتصرف بشكل آخر بعيداً عن خط أهل البيت عليهم السلام؟ أفلا يستحق مثل هذا الأمر أن تصرف له الجهود وتبذل الأوقات من أجل الوقوف على حقيقة الأسماء والشخصيات التي نقلها لنا التاريخ وعليها رائحة الانحراف أو الميل إلى خط آخر غير خط أهل البيت عليهم السلام؟

ص: 101

1- (1) قال السيد الكلبيكاني في الدر النضيد: (ولعل الفرق بين السب والبراءة - حيث أمر بالأول ونهى عن الثاني - أن السب صادر بالنسبة إلى المسلم أيضاً، بخلاف البراءة فإنها تكون عن المشركين والكافرين كما قال الله تعالى: «براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين»، ومن كان يتبرأ منه كان يعدّه من الكفار، وبهذه المناسبة علل الإمام نهيه عن البراءة بقوله: «فإني ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة». الدر النضيد: ج 2، ص 253.

2- (2) نهج البلاغة: ج 1، ص 105.

النقطة الثالثة: قلة أتباع أهل البيت عليهم السلام في الكوفة

وهذا الموضوع من المواضيع المهمة التي تندرج في إطار الظلمات التي تعرّض لها أهل البيت عليهم السلام، حيث حملوهم كلّ الإخفاقات التي تعرّضت لها الكوفة، سواء في زمن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أم فيما بعد ذلك، أو حتى في علاقة بعضهم ببعض الآخر، حيث صار يُضرب بهم المثل في الغدر والخيانة وسوء السريّة وسقوط الأخلاق وما إلى ذلك من الموبقات والجرائم، بل وحملوهم كذلك تبعات قتل سيّد الشهداء عليه السلام، حيث ساروا يردّدون من خلال الخطب والكتب والمقالات أنّ الشيعة داخل الكوفة هم الذين قتلوا الحسين عليه السلام، وهذه باعتقادي واحدة من السياسات الأموية التي أُريدَ لها أن تنتشر في ربوع الأمة الإسلامية؛ حتى تُموّه على القاتل الحقيقي وأصحاب الجرم الواقعي.

وأنا هنا لستُ بصدّد الحديث عن هذا الموضوع المهمّ، فلعلنا نوفّق للحديث عنه في طيّات هذه الموسوعة عن شهداء الطف، ولكنّي أودّ أن أشير من خلاله إلى أنّ الكوفة لم تكن متمحّصة بالولاء لأهل البيت عليهم السلام، بل كان فيها غيرهم من الخوارج والأمويين ومن عرفوا بالعثمانية، فضلاً عن اليهود والنصارى وبقية الديانات الأخرى، بل يستطيع الإنسان القول: إنّ نسبة الموالين في الكوفة هي النسبة الأقلّ إذا ما قورنت ببقية النسب الأخرى.

نعم، هي النسبة الأكبر إذا ما قورنت ببقية الأمصار الإسلامية الأخرى، كالحجاز مثلاً، فإنّ نسبة الموالين فيها أقلّ من الكوفة، وسوف أذكر هنا بعض الأدلّة التي تؤكّد على هذه الحقيقة.

1 - كلنا قرأ وسمع أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حينما أراد أن يوقف صلاة التراويح جماعةً في مسجد الكوفة وإذا به يفاجأ من قبل الناس قولهم وا سنة عمراه(1).

وقوله حينما أراد أن يصلّى على جنازة فكبر عليها خمساً، ثم التفت إلى الناس بعد أن أحسّ بعدم قبولهم له:

«ما نسيْتُ ولا همْتُ، ولكن كبرتُ كما كبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»(2).

والأمر نفسه حينما أراد أن يوقف شريح القاضي عن دكة القضاء في مسجد الكوفة، فقالوا له: كيف تعزل من عيّه عمر(3).

2 - يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«لو حَمَلْتُ الناسَ على تركها وحولتها عن مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لتفرّق عني جندي حتى أبقى وحدي، وقليل من شيعة الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي»(4).

3 - روى أن أمير المؤمنين قال وهو على منبر الكوفة بعد أن سُئل عن بيع أمّهات الأولاد:

«قد كان رأيي ورأي عمر لا يُبعن، ثم رأيتُ بيعهنَّ».

ص: 103

1- (1) تاريخ السنة النبوية ثلاثون عاماً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لصائب عبد الحميد: ص 61.

2- (2) نفس المصدر: ص 62.

3- (3) رجال المامقاني: ج 2، ص 83.

4- (4) الكافي: ج 8، ص 59-63.

فقال له عبدة السلماني: رأيك مع الجماعة أحبّ إلينا من رأيك وحدك(1).

أفيمكن أن يُصدّق أحدٌ أنّ عليّاً عليه السلام كان يعيش بين شيعته ومحبيّه الذين لا يعصونه؟

هل يمكن أن يكون شيعياً أو حتى يميل إليهم من يخاطب عليّاً عليه السلام بمثل هذا الخطاب الفج؟

ولا شك ولا ريب أنّ عبدة السلماني ينطق استناداً إلى الرأي العام في الكوفة، ولم ينقل وجهة نظره فقط، وإلاّ لخاف على نفسه ممّن كان جالساً معه في تلك الحلقات، أعنى أتباع على عليه السلام وليس عليّاً نفسه.

4 - عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال:

«كان على بن أبي طالب عندكم بالعراق يقاتل عدوّه ومع أصحابه، وما كان فيهم خمسون رجلاً يعرفونه حقّ معرفته وحق معرفته إمامته»(2).

وبتقديرى إنّ هذه المعرفة الكاملة ربّما لم يصل إليها حتى بعض الشيعة فضلاً عن المخالفين لهم.

النقطة الرابعة: منهج أهل البيت عليهم السلام في كتمان وسريّة أمرهم

لا يجد الإنسان وهو يقرأ في روايات أنمّة أهل البيت عليهم السلام وحال الموالين

ص: 104

1- (1) المحصول في علم الأصول لفخر الدين الرازي، دراسة وتحقيق د. طه جابر فياض العلواني: ج 4، ص 148-149، القسم الثاني فيما أخرج من الإجماع وهو منه.

2- (2) اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي: ص 6.

معهم عبر التاريخ إلا وينتهي إلى نتيجة مفادها: أنّ هناك حثّاً واضحاً من قِبَل الأئمّة - لاسيّما بعد الإمام الحسين عليه السلام - لشيعتهم بضرورة الكتمان والسريّة في حركتهم، وكان من جملة آثار هذا العمل أن استطاعوا أن يصلوا بأتباعهم إلى سِدّة الحكم الأموي والعباسي، أمثال علي بن يقطين ويونس بن عبد الرحمن وآخرين. يقول الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لعلي بن يقطين:

«يا علي؛ إنّ لله تعالى أولياء مع أولياء الظلمة ليدفع بهم عن أوليائه، وأنت منهم يا علي»(1).

ومن طريف ما قرأتُ في هذا المجال رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نقلها الشيخ الصدوق عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام في حديث طويل: «إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّي قد أيدتُك بشيعتين: شيعة تنصرك سرّاً وشيعة تنصرك علانيةً، فأما التي تنصرك سرّاً فسيدهم وأفضلهم عمّك أبو طالب، وأما التي تنصرك علانيةً فسيدهم وأفضلهم علي بن أبي طالب، ثمّ قال: وإنّ أبا طالب كمؤمن آل فرعون يكتُم إيمانه»(2).

ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الرواية يوسّع من دائرة المنهج الذي اتّخذه أئمّة أهل البيت عليهم السلام في رعاية الحالة السريّة في حركة أشياعهم وأتباعهم في داخل الأئمّة، حتى جعله صلى الله عليه وآله وسلم منهجاً إلهياً مرسوماً من قِبَل السماء منذ بداية هذه الدعوة الإسلامية، وما أشبهه واقع أبي طالب ومظلوميته مع واقع زهير بن القين ومظلوميته،

ص: 105

1- (1) رجال الكشي: ص 367.

2- (2) الغدير: ج 7، ص 395.

فكَلَّ منهما ظَلَمَهُ التاريخ - منحرفاً عن رسول الله وأهل بيته - مع عظيم ما قدّم للإسلام وجليل ما ضحّى به من أجله، ومن هنا نجد التشبيه النبوي والحسيني لهما بأنهما كمؤمن آل فرعون يكتنم إيمانه.

رابعاً: زهير بن القين يروي زواج علي عليه السلام من أم البنين

إشارة

يُروى أنّ زهير بن القين أتى إلى عبد الله بن جعفر بن عقيل قبل أن يُقتل، فقال: يا أخي، ناولني هذه الراية، فقال له عبد الله: وَفِي قصور عن حَمَلها، قال: لا ولكن لي بها حاجة، قال: فدفعها إليه وأخذها زهير وأتى تجاه العباس ابن أمير المؤمنين، وقال: يا بن أمير المؤمنين، أريد أن أحدثك بحديث وعيته، فقال: حدّث، فقد حلا وقت الحديث، حدّث ولا حرج عليك، فإنما تروى متواتر الإسناد.

فقال:

اعلم يا أبا الفضل أنّ أباك أمير المؤمنين عليه السلام، لَمَّا أراد أن يتزوَّج بأمّك -أمّ البنين- بعث لأخيه عقيل وكان عارفاً بأنساب العرب، فقال له: يا أخي، أريد منك أن تخطب لي امرأة من ذوى البيوت أو الحسب والنسب والشجاعة؛ لكي أصيب منها ولداً يكون شجاعاً وعضداً ينصر ولدى هذا، وأشار إلى الحسين عليه السلام ليواسيه في طفّ كربلاء، وقد ادّخر أبوكم لمثل هذا اليوم فلا تقصّر عن حلانل أخيك وعن إخوانك، قال: فارتعد العباس وتمطّى في ركابه حتى قطّعه، وقال يا زهير: تشجّعني في مثل هذا اليوم، والله لأرينك شيئاً ما رأيته قط»(1).

ص: 106

1- (1) أسرار الشهادة للدريندى: ص 234. بطل العلقمى للمظفر: ج 1، ص 120.

1 - إنَّ هذه الرواية تدلُّ وبشكل واضح وصريح - وهذا ما نحن بصدده إثباته - أنَّ زهيراً لم يكن في هوى غير هوى أهل البيت عليه السلام، حيث يبدو أنَّه - من خلال الرواية - كان واعياً وملتفتاً إلى كربلاء وما سوف يجرى فيها من قتل للحسين عليه السلام وأهل بيته، بل وكان ملتفتاً حتى إلى التحضيرات التي تُقام من أجل هذه الواقعة، من قبيل تهيئة أصحابها وشخصياتها.

وهذا ما ليس يخفى على كلِّ مَنْ أطلع على كتب صحاح المسلمين وغيرها، حيث سيجد أنَّ هناك روايات تُعدُّ بالعشرات إن لم نقل بالمئات تحدَّثت عن كربلاء وما يحصل فيها وتحديد المجرم، بل والمكان الذي يتمُّ قتل الحسين عليه السلام فيه، وما حديث القارورة التي روَّتها أم سلمة في صحاح المسلمين (1) عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا واحد من عشرات الروايات في هذا المجال.

2 - حرص زهير بن القين على أداء المهمة التي دعا إليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة من بعده، من خلال الوقوف إلى جانب الحسين والقتل بين يديه، وقد

ص: 107

1- (1) تقول أم سلمة: (كان الحسن والحسين يلعبان بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيتي فنزل جبرئيل فقال: يا محمد، إنَّ أمَّتكَ تقتل ابنك هذا من بعدك، فأوماً بيده إلى الحسين، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وضمَّه إلى صدره، ثمَّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «وديعة عندك هذه التربة، فشتمَّها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: ريح كرب وبلاء»، قالت: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أمَّ سلمة، إذا تحوَّلت هذه التربة دماً فاعلمي أنَّ ابني قد قُتل»، فجعلتها أمَّ سلمة في قارورة ثمَّ جعلت تنظر إليها كلَّ يوم وتقول: إنَّ يوماً تتحوَّلين فيه دماً ليوم عظيم)، الطبراني في المعجم الكبير: ج 3، ص 108. مجمع الزوائد: ج 9، ص 189. الخصائص الكبرى للسيوطي: ج 2، ص 152.

يُرى ذلك واضحاً من خلال ذهابه (رض) إلى العباس وطلبه منه أن يثبت مع أخيه ويحمي حرائر النبوة وعقائل الإمامة، وتذكيره بأنه مدّخر لمثل هذا الموقف.

ويبدو أنّ هذا الحرص لم يكن وليد منطقة زرود ولقاء الحسين عليه السلام به، بل هو قديم بقدم الرواية التي وعها زهير بن القين، أى بعبارة أخرى: كان زهير يحمل فى نفسه كلّ هذه المشاعر بالرغبة فى الشهادة بين يدي الحسين عليه السلام قبل كربلاء بأكثر من 35 سنة، ومن هنا أرى أنّ رواية زرود وما يُنقل فيها من تذكير الحسين له بحديث سلمان لا يتناسب مع الروايات الأخرى، التى تؤكّد أنّ الرغبة للشهادة كانت قبل لقاء الحسين عليه السلام.

نعم، ربّما كان هذا اللقاء هو لقاء تنفيذ هذه الرغبة وإعلان الانتقال الحقيقى إلى ركب الشهادة الحسينية.

3 - تكشف هذه الرواية عن عمر الشهيد زهير بن القين (رض)؛ لأنّه فى حديثه للعباس قال له: (أحدّثك بحديث وعيته)، والوعى المتصوّر له هو أن يكون عمره بين (12-14) سنة حتى يتناسب معها فى أن يعى مثل هذه الرواية والأهداف منها، وأن تبقى عالقة فى ذهنه.

وبما أنّ الرواة قالوا بأنّ زواج الإمام على عليه السلام من أمّ البنين (رض) فى سنة (23-24) هـ -؛ لأنّ ولدها الأكبر وهو العباس كان عمره يوم عاشوراء 35 سنة تقريباً، فإذا ما رجعنا إلى الوراء سنجد أنّ الولادة حصلت فى سنة (29) هـ - (1)، وإذا

ص:108

1- (1) العباس للسيد المقرّم: ص 127. السيرة النبوية لابن كثير: ج 4، ص 581. الكنى والألقاب للقمّى: ج 1، ص 115.

ما طرحنا سنة الحمل والسنتان بعد الزواج على أكثر التقادير، فلا مناص من القول إن الزواج حصل سنة (23-24) هـ - تقريباً، وحتى يعي الشخص مثل هذا الزواج وينقله لا بد أن يكون عمره كما قدرنا (12-14) سنة، فتكون سنة ولادته (10) هـ - أو بعدها بقليل.

4 - مشاركة الشهيد زهير بن القين (رض) للحوراء زينب في رواية زواج الإمام على عليه السلام من أم البنين (رض)، حيث ذكر بعضهم حديثاً جرى بين العباس وبين أخته زينب، وذلك بعد رجوعه من محادثة الشمر وقد أنكر عليه رافضياً أمانه الذي جاء به له وإخوته، قال: ورجع أبو الفضل العباس عليه السلام يتهدرس كالأسد الغضبان، استقبلته الحوراء زينب وقد سمعت كلامه مع الشمر، قالت له: أخي، أحدثك بحديث؟

قال: حدّثيني يا زينب، لقد حلا وقت الحديث، قالت: اعلم يا بن والدي، لما ماتت أمنا فاطمة عليها السلام قال أبي لأخيه عقيل: أريد منك أن تختار لي امرأة من ذوى البيوت والشجاعة حتى أصيب منها ولداً ينصر ولدى الحسين بطف كربلاء، وقد ادّخر أبو بكر لمثل هذا اليوم، فلا تقصّر يا أبا الفضل، فلما سمع العباس عليه السلام كلامها تمطى في ركاب سرجه حتى قطعهما، وقال لها: مخية، أفي مثل هذا اليوم تشجعيني وأنا ابن أمير المؤمنين؟! فلما سمعت كلامه سررت سروراً عظيماً»(1).

5 - وصف العباس عليه السلام زهير بن القين (رض) بالعدالة بأعلى صورها وأجملها حينما قال له: إنّما تروى متواتر الأسناد، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ

ص: 109

على أنّ الشهيد كان محلّ اعتماد ووثاقة عند أهل البيت عليهم السلام، لاسيّما الحسين عليه السلام؛ وذلك لأنّ العباس عليه السلام لا ينطق إلاّ بما يتلاءم مع فهم أهل البيت عليهم السلام بشكل عام والحسين بشكل خاص، فلا يمكن أن يصف أحداً بأنه يروى متواتر الأسناد وهو يروى إلى فترة وجيزة من عمره على وفق رؤية خاطئة كان يعتقدها في مظلومية عثمان، وعليه فيكون هذا المقطع ممّا يؤيد علوية هذا الرجل لا عثمانيته.

خامساً: زوجة الشهيد زهير وغلّامه وتكفين الحسين عليه السلام

ينقل ابن عساكر في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام في القسم غير المطبوع قوله: (وكان زهير بن القين قد قُتل مع الحسين عليه السلام، فقالت امرأته لغلّام له يُقال له شجرة: انطلق فكفّن مولاك، قال: فجئتُ فرأيتُ حسيناً ملقى، فقلتُ: أكفّن مولاى وأدع حسيناً؟!)

فكفّنتُ حسيناً ثمّ رجعت، فقلتُ ذلك لها فقالت: أحسنت، وأعطتني كفناً آخر وقالت: انطلق فكفّن مولاك ففعلتُ(1).

ولنا على هذه الرواية مجموعة من النقاط:

1 - إنّ هذه الرواية لتدلّك وبشكل واضح أنّ الشهيد زهير بن القين حينما انتقل إلى الحسين عليه السلام لم يكن ذلك بمفرده، بل كانت هناك مجموعة من الناس قد انتقلوا معه والذين من جملتهم ابن عمّه سليمان بن مضارب البجلي، أحد

ص: 110

1- (1) مجلّة تراثنا: العدد 10، ص 190، نقلاً عن كتاب ابن عساكر في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام في القسم غير المطبوع.

الشهداء الكربلائيين، وكذلك غلامه شجرة وزوجته ديلم بنت عمرو، وهذا الأمر يشير ضمناً أنّ الشهيد زهيراً كان حريصاً على جلب أكبر عددٍ ممكن من الناس للوقوف إلى جانب الحسين عليه السلام في حركته، رانده وقائده في ذلك ولاؤه للحسين عليه السلام وآل الحسين عليه السلام، وهذا ما نريد إثباته.

2- هذه الرواية تشير أيضاً إلى تشييع زوجة الشهيد زهير بن القين (رض)، وإلى جلدّها في سبيل الدفاع عن أهل البيت عليهم السلام وخطّهم، حيث أثبت على نفسها إلاّ المعجىء مع زوجها إلى كربلاء مع علمها ومعرفتها المسبقة بأنّ مثل هذا الانتقال إلى رحل الحسين عليه السلام والمعجىء معه إلى كربلاء سيؤدّي - لا شكّ - إلى الشهادة لزوجها، وهذا ما أكّدته ويشكل واضح حينما قالت له: (خار الله لك، اذكرني عند جدّ الحسين عليه السلام يوم القيامة)⁽¹⁾.

ولكنّها - ومع كلّ هذا - آلت على نفسها إلاّ المشاركة مع السيّدة زينب وبنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مصائبهنّ، وممّا لا شكّ ولا ريب فيه أنّ هذا الذي تذكره الرواية عن امرأة زهير بن القين وحضورها في كربلاء هو خلاف المشهور والمتفق عليه - على أقلّ التقادير - عند من تحدّث عن زوجة الشهيد زهير، وأنّه طلّقها وأمرها بالعودة إلى أهلها، وقال لها: إنّى لا أحبّ أن يصيبك بسببى إلاّ خير.

وربّما تكون رواية ابن عساكر عن هذه المرأة هي الأقرب إلى واقع إيمانها وواقع قولها وعملها الذي صدر منها (رض)، فإنّها كانت الحاتّة لزوجها والدافعة له إلى الشهادة بين يدي الحسين عليه السلام، بل والطالبة منه أن يذكرها عند رسول

ص:111

1- (1) أدب الطف: ج 8، ص 169.

الله صلى الله عليه وآله وسلم لما قدمت وتحملت في سبيل الله، ومن ثم فإنّ من تقول بمقاتلتها لا بدّ أنّها قد هيأت نفسها للمشاركة الحقيقية إلى جانب الحسين، لا أن تترك زوجها يذهب وتبقى بعده بلا مواساة حقيقية.

3 - تكشف هذه الرواية عن غلام زهير بن القين (شجرة) فتسلط الأضواء عليه بشكل مُلفت للنظر، وهو الذى أعطى صورة فى أعلى درجات الولاء لأبى عبد الله الحسين عليه السلام كما يقول الراوى، حيث أبث عليه مُثل الولاء وقيمه - التى أخذها وتعلّمها من سيّده الموالى زهير بن القين وزوجته الموالية (دلهم بنت عمرو) - أن يرى الحسين عليه السلام مجرداً بلا- كفن على رمضاء كربلاء- تصهره الشمس بحرارتها فيتركه ويذهب ليكفّن سيّده ومولاه زهير بن القين، وهو العبد الذى ينبغى أن يكون مطيعاً لأسياده فيما يأمرونه فيه.

ولهذا نراه بعد أن اطلع على هذه الصورة تحرّك سريعاً ضمن دائرة هذه التربية الإيمانية الولائية العالية التى أخذها عن أسياده فى حبّ أهل البيت عليهم السلام ومودّتهم، قد تحرّك فاتخذ القرار بتكفين الحسين عليه السلام وترك سيّده بلا كفن حتى من دون أن يأخذ الإذن من زوجة الشهيد.

وبعبارة أخرى أكثر وضوحاً: إنّ (شجرة) حينما علم وتيقّن بصحّة عمله وقبوله عند زوجة الشهيد، قام بعمله من دون أن يرجع إليها، فكأنّه أخذ الأذن بالفحوى، وهذا ما حصل فعلاً، حيث رجع إليها وأخبرها بالخبر وبما صنع، فشكرته على فعله وقالت له: (أحسن)، وهى كلمة بتقديرى تعنى ضمناً أنّ ما صنعه «(شجرة) هو عين الصواب، وكلّ شىء عداه سيكون خلاف هذا الصواب،

ثمّ قدّمت له كفنّاً آخر وأمرته بتكفين زهير بن القين ففعل ثانياً.

ولقد وقفتُ أمام هذه الصورة الولاية الرائعة التي صنعها هذا الغلام، وتأملتُها كثيراً، فرأيتُ أنّ مثل هذا الموقف يمكن أن يكون عنصر إثارة كبيرة جداً لكلّ الأدباء والشعراء، بل وحتى أرباب الفن والمسرح؛ لعظيم ما تضمّنه من تهيج للمشاعر والعواطف الإنسانية والإحساس المرهف الذي يحمله الناس بين جنّات أنفسهم.

فإذا لم يكن مثل هذا الموقف دالاً - وبشكل واضح - على تشييع الغلام فضلاً عن سيّده زهير بن القين وزوجته، فأى صورة وموقف يمكن أن يكشف لنا عن التشييع ويمكن أن يرقى إلى هذا المستوى المميّز من التفاعل مع أهل البيت عليهم السلام.

4 - وقد يقول قائل: إنّ هذه الرواية تخالف ما ذكرته الروايات الأخرى، بأنّ الذي تولّى تجهيز الإمام الحسين عليه السلام وتكفينه هو ولده زين العابدين عليه السلام، فما تقولون؟

تقول: إنّ ما ذكرته مثل هذه الروايات لا يتنافى مع ما ذكرته رواية ابن عساكر، حيث يمكن حملها على المساعدة والمشاركة في عملية التجهيز للإمام الحسين عليه السلام مع الإمام زين العابدين وليس بشكل مستقل، نظير لما حصل وجرى مع بنى أسد في تجهيزهم لشهداء الطف، لاسيّما الحسين عليه السلام، حيث يذهب - على أساس الرأى الأصحّ - المشهور من العلماء إلى أنّ بنى أسد شاركوا الإمام في تجهيز الحسين عليه السلام وبقية الشهداء؛ جمعاً بين الروايات.

أو أن يكون التكفين قد حصل مرّتين، مرّة على يد شجرة ومرة أخرى على يد الإمام زين العابدين عليه السلام، مثلما كان يجرى مثل هذا الأمر وحسب الروايات مع أئمّة أهل البيت عليهم السلام، حين كان الشهيد منهم يُجهّز من قبل بعض الناس ظاهراً، وأمّا واقعاً فكان يُجهّز من قبل المعصوم الذى كان يليه، ومن ثم فلا تنافى بين الروايات.

إشارة لا بد منها:

وبعد هذه الإطلالة السريعة على كلّ من الرأيين السابقين اللّذين ذكرهما العلماء حول عثمانية الشهيد زهير بن القين وعدمها، يبقى الموقف الحق والعظيم الذى ختم الشهيد حياته به هو رمزاً لكلّ المواقف الحقّة والعظيمة، التى ترفع شأن الإنسان فى هذه الحياة والحياة الأخرى، بغضّ النظر عمّا كان يعتقد فيما مضى، فأساس الأعمال خواتيمها كما نقل عن السيد المسيح (1).

ولقد بذلتُ جهداً ليس بالقليل من أجل أن أعطى كلّ رأى ما يستحقّه من تسليط للأضواء على العظمت والعبّر المترتبة عليه، وإن كنتُ أميل أنا شخصياً - حسب ما تتبعتُ ممّا كُتب أو قيل حول هذا الموضوع - إلى الرأى الثانى، وهذا ما يمكن أن يتلمّسه القارئ لمّا كتبتُ حول كلّ من الرأيين، ولكنّ هذا لا يعنى - بأىّ حال من الأحوال - التقليل من شأن الرأى الأوّل (معاذ الله)، فقد ذهب إليه جُلّ علمائنا، رحم الله الماضين منهم وحفظ الباقيين. وأخيراً، يبقى للرأى حرمة ويبقى الباحث هو ابن الدليل الذى حيث ما مال يميل.

ص: 114

1- (1) ذكر المجلسى فى بحاره: ج 14، ص 322: أنّ السيد المسيح قال: «الناس يقولون إنّ البناء بأساسه، وأنا لا أقول لكم كذلك، قالوا: فما تقول يا روح الله؟ قال: بحق أقول لكم إنّ آخر حجر يضعه العامل هو الأساس».

روى محمد بن جرير الطبري في كتابه (دلائل الإمامة) بسنده عن عمارة بن زيد عن إبراهيم بن سعيد(1)، وكان هو مع زهير بن القين حين صحب الحسين، فقال لزهير بن القين: «اعلم أن ها هنا مشهدي، ويحمل هذا من جسدي (وأشار إلى رأسه) زحر بن قيس فيدخل على يزيد ويرجو نائله فلا يعطيه شيئاً»(2).

وكان كما أخبر الحسين عليه السلام

يقول صاحب البداية والنهاية: (قال هشام: فحدثني عبدُ الله بن يزيد بن روح بن زنباع الجذامي عن أبيه الغازي بن ربيعة الجرشي من حمير، قال: والله، إني لعند يزيد ابن معاوية إذ أقبل زحر بن قيس، فدخل على يزيد، فقال له يزيد: ويلك، ما وراءك؟

قال: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله عليك ونصره، ورد علينا الحسينُ بن علي ابن أبي طالب وثمانية عشر من أهل بيته وستون رجلاً من شيعة، فسُرنا إليهم فسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال، فاختاروا القتال، فغدونا عليهم مع شروق الشمس فأخطنا بهم من كل ناحية، حتى أخذتُ السيف مأخذها من هام القوم، فجعلوا يهربون إلى غير مهرب ولا وزر، ويلوذون بالآكام والحفر، ولوذاً كما لاذ الحَمَام من صقر(3)، فوالله، ما كان إلا

ص: 115

1- (1) دلائل الإمامة لأبي جعفر الطبري: ص 74. إثبات الهداة: ج 5، ص 206، ح 67.

2- (2) هو إبراهيم بن سعيد المدني الزهري، عدّه الشيخ الطوسي من رجال الإمام الصادق عليه السلام وأنه كان إمامياً.

3- (3) ليس غريباً على زحر بن قيس الذي يرضى بخلافة يزيد وبإمرة الدعى بن الدعى عبيد الله بن مرجانة أن يكذب مثل هذه الكذبة العظيمة على أصحاب أبي عبد الله الحسين، وهم أسود الحروب، وقد وصفهم مَنْ قاتلهم بأنهم (فرسان المصر) (ولو تركناهم لأتوا علينا جميعاً).

جزر جزور أو فوقه، حتى أتينا على آخرهم فهاتيك أجسادهم مجرّدة، وأبدانهم مرّمة، وخدودهم معفّرة، تصهرهم الشمس، وتسفى عليهم الريح، زوّارهم العقبان والرخم.

قال: فدمعتُ عينا يزيد بن معاوية(1).

وقال: كنتُ أرضى من طاعتكم بدون قتال الحسين عليه السلام، لعن الله ابن مرجانة، أمّا والله لو أتى صاحبه لعفوتُ عنه، ورحم الله الحسين، ولم يصل زحر بن قيس بشيء(2).

شهادة زهير بن القين

لأصحاب أبي عبد الله الحسين عليه السلام حملة كبرى حصلت عند ارتفاع نهار يوم عاشوراء، حيث اشتركوا جميعاً فيها وأبلوا بلاءً حسناً حتى جرح فيها أكثرهم، وبعد أن بان النقص فيهم بدأوا يبرزون وحداناً أو على شكل مجاميع صغيرة.

وعندما خرج الحرّ بن يزيد الرياحي للقتال والحرب، خرج زهير بن القين يحمي ظهره، فكان إذا شدّ أحدهما واستلحم شدّ الآخر فاستنقذه، وظلّوا على هذا الحال مدة من الزمن حتى قتلوا عدداً كبيراً من جنود ابن زياد وعمر بن سعد، إلى أن سقط الحرّ شهيداً على رمضاء كربلاء، عندها خرج زهير بن القين مُصلّباً سيفه لقتال القوم.

ص:116

1- (1) كذباً من الراوى أو المؤرّخ، أو نفاقاً من يزيد بن معاوية.

2- (2) البداية والنهاية: ج 12، ص 556-557.

لقد كانت شهادة زهير بن القين بعد الظهر بمدة وجيزة من الزمن، حيث أبى أن يستشهد حتى يرى ابن عمّه الملتحق به أنّه قد سار على خطّه وسيرته وثبت في نصرة الحسين عليه السلام، وهذا ما كان الأولياء يصنعونه دائماً مع ذريّاتهم والمقربين لهم في مثل هذه الظروف، كما حصل في يوم عاشوراء مع أبى الفضل العباس، عندما قدّم إخوته أمامه وهو يقول لهم:

«تقدّموا حتى أراكم نصحتّم لله ولرسوله»(1).

والثفت إلى أخيه عبد الله وقال:

«تقدم يا أخى؛ حتى أراك قتيلاً وأحتسبك»(2).

ونفس هذا المعنى صنعه عابس بن شبيب الشاكري مع شوذب(3)، حيث قال له: (يا شوذب، ما في نفسك أن تصنع؟

قال: ما أصنع؟ أقاتل معك دون ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أقتل.

فقال: ذلك الظنّ بك، أمّا الآن فتقدّم بين يدي أبى عبد الله حتى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه، وحتى أحتسبك أنا، فإنّه لو كان معي الساعة أحدٌ أنا أولى به متى بك، لسرّني أن يتقدّم بين يديّ حتى أحتسبه، فإنّ هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب الأجر فيه بكلّ ما نقدر عليه، فإنّه لا عمل بعد اليوم وإنّما هو الحساب(4).

ص: 117

1- (1) الإرشاد: 269.

2- (2) مقاتل الطالبين: ص 82.

3- (3) بغض النظر عن كونه مولى له أو لم يكن.

4- (4) تاريخ الطبرى: ج 3، ص 339.

وداع زهير للحسين عليه السلام وشهادته

وبعد أن تقدّم زهير بن القين إلى القوم بوعظه وإرشاده ونُصّحه لهم بقدر ما يستطيع لعلمهم يرجعون عن غيِّهم فأبوا إلا الضلال، نزل إليهم بسيفه يمسكه بيده ولواء العزّة والرفعة يرفرف فوق رأسه، وقبل أن يتوجّه إلى الأعداء ذهب إلى الحسين عليه السلام وقد أمسك سيفه بيدٍ ووضع الأخرى على منكب الحسين عليه السلام قائلاً له ومستأذناً منه:

أقدم هديت هادياً مهدياً فالיום ألقى جدك النبياً

وحسناً والمرضى علياً وذا الجناحين الفتى الكميّاً

فقال له الحسين عليه السلام:

«وأنا ألقاهما على إثرك».

فتقدّم إلى القوم وقاتل قتالاً لم ير مثله وهو يحمل على القوم ويرتجز قائلاً:

أنا زهيرٌ وأنا ابنُ القينِ أذودُكم بالسَّيفِ عنِ حُسينِ

إنّ حسيناً أحدُ السبطينِ منِ عترةِ البرِّ التّقى الزّينِ

فحصد العشرات من رؤوس الشرك والضلال حتى أُرهِق من شدّة القتال، فتربّص به غادران وهما: كثير بن عبد الله الشعبي، والمهاجر بن أوس فقتلاه (1).

ص: 118

ويروى القندوزى فى (ينابيع المودّة): (إنّ زهير بن القين حينما صار يوم عاشوراء قال لأصحابه قبل أن ينزل إلى ساحة المعركة، حاثّاً لهم على التمسك والثبات والاستبشار بالجنة:

«يا قوم، هذه الجنة قد فتحت أبوابها وأينعت ثماؤها، وهذا رسول الله والشهداء يتوقعون قدومنا، فحاموا عن دين الله واحفظوا حرّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

ثمّ برز وهو يقول:

أَقْدِمُ حُسَيْنُ الْيَوْمِ تَلَقَى أَحْمَدًا ثُمَّ أَبَاكَ الطَّاهِرَ الْمُؤَيَّدَا

وَالْحَسَنَ الْمَسْمُومَ ذَاكَ الْأَمْجَدَا وَذَا الْجَنَاحَيْنِ حَلِيفَ الشُّهَدَا

وحمرة الليث الهمام الأسعدا فى جنة الفردوس عاشوا سعدا(1)

يقول ابن شهر آشوب: (فقتل منهم (120) رجلاً ثمّ رجع فوقف أمام الحسين عليه السلام وقال له:

فَدَتُّكَ نَفْسِي هَادِيًا مَهْدِيًا فَالْيَوْمِ أَلْقَى جَدَّكَ النَّبِيَّ

وَحَسَنًا وَالْمُرْتَضَى عَلِيًّا وَذَا الْجَنَاحَيْنِ الشَّهِيدَ الْحَيَّ

فكأنه ودّعه وعاد يقاتل، فسندّ عليه كثير بن عبد الله الشعبى ومهاجر بن أوس التميمى فقتلاه(2).

ص: 119

1- (1) ينابيع المودّة للقندوزى: ج 3، ص 72، تحقيق سيد على جمال أشرف الحسينى.

2- (2) أعيان الشيعة: ج 2، ص 72. تاريخ الطبرى: ج 3، ص 328 بتفاوت يسير.

الحسين عليه السلام يؤبّن الشهيد زهيراً

روى السروى فى المناقب: (لَمَّا صُرِعَ زهير بن القين وقف الحسين عليه السلام عليه فقال:

«لا يُعِدُّكَ اللهُ يا زهير، ولعن الله قاتليك لَعَنَ الَّذِينَ مُسِخُوا قِرْدَةً وَخَنَازِيرَ»(1).

وفى هذا التأيين يتلمس الإنسان أَلَمَ الحسين عليه السلام على زهير وغضبه على قاتليه الذين شبّههم باليهود، حيث مُسِخُوا من الإنسانية ومعانيها الجليلة، وفى هذا يقول الشيخ محمد السماوى:

لَا يُعِدُّكَ اللهُ مِنْ رَجُلٍ وَعَظَّ العِدَى بِالوَاحِدِ الأَحَدِ

ثُمَّ اثْنَى نَحْوَ الخَمِيسِ فَمَا أَبْقَى لِذَفْعِ الضَّيِّمِ مِنْ أَحَدِ

وتمرّ الليالى والسنون فيأتى الإمام المهدي عج الله تعالى فرجه الشريف ليستذكر موقف زهير فى زيارته الشريفة لشهداء الحسين عليه السلام بقوله:

«السلام على زهير بن القين البجلي، القائل للحسين عليه السلام وقد أذن له فى الانصراف: لا والله، لا يكون ذلك أبداً، أترك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسيراً فى يد الأعداء وأنجو أنا؟! لا أرانى الله ذلك اليوم»(2).

ونحن نقول: هنيئاً لك يا زهير هذا التأيين وهذا الإطراء، وهذا الخلود الذى صنعته لك يوم عاشوراء، حيث حلقت مع الحسين عليه السلام فى أعلى مراتب الجنة، فسلام عليك يوم وُلدت ويوم استشهدت ويوم تُبعث حياً.

ص: 120

1- (1) المناقب: ج 4، ص 103.

2- (2) بحار الانوار، ج 98، ص 272.

المقدمة

إشارة

لا يبالغ الإنسان إذا ما قال بأن ما جرى في واقعة كربلاء وما نتج عنها يمثل خلاصة الأديان والرسالات التي بعثها الله عز وجل، فقد حققت هذه المعركة بكل عزّ وافتخار حلم الأنبياء جميعاً وجسدت إرادة الله سبحانه وتعالى في الأرض.

تجسّد مفهومان كبيران في كربلاء وحتى يتقرب هذا المعنى المهم أكثر إلى الذهن أشير هنا إلى مفهومين أساسيين دعا إليهما الأنبياء جميعاً وتجسدا في كربلاء وهما:

أولاً: العدل

حيث لا تجد نبياً بعثه الله عز وجل إلا وقد دعا وناضل من أجل إقامة العدل ورفع الظلم والجور عن الناس حتى أعطوا نفوسهم رخيصة في هذا الطريق كما هو واضح من خلال الرجوع إلى تأريخهم عليهم السلام، ولقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله:

«لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ

ونحن نفهم من هذه الآية الكريمة كما هو واضح أنّ العدل كان مطلب جميع الأنبياء والمرسلين بل كان هو المطلب الأسمى والأهم بنظر السماء، ويكفي في التدليل على أهميته هو الرجوع إلى ما ذكرته النصوص الإسلامية عند علماء المسلمين، في خصوص الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وخروجه في آخر الزمان حتى ولو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، كل ذلك من أجل أن يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً(1).

ومثل هذا المفهوم قد تجسد في كربلاء في أعلى صورته وأشكاله، فقد وقف الحسين عليه السلام والثلة المؤمنة من أهل بيته وأنصاره يوم العاشر من المحرم وقدموا كل غال ونفيس من أجل أن يثبتوا العدل وينشروه ويوقفوا الظلم ويبتروه.

ثانياً: التسليم لله

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في أكثر من موضع لاسيما وهو يتحدث عن الأنبياء وسيرتهم، يقول القرآن وهو يتحدث عن إبراهيم عليه السلام:

«إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ 3» .

ويقول كذلك وهو يتحدث عن وصية يعقوب لبنيه:

ص: 122

1- (2) مضمون أحاديث كثيرة وردت في حق الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وخروجه، معجم أحاديث المهدي: ج 1، ص

«أَمْ كُنْتُمْ شَاهِدَاءَ إِذْ حَصَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ 1» .

وهكذا مع بقية الأنبياء والمرسلين بل لقد اختصر الباري عز وجل الدين كله بالإسلام بقوله:

«إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ 2,3» .

وقد تجسد مثل هذا المعنى العظيم في كربلاء بدرجة قلّ مثلها، حيث كان جميع من حضر في كربلاء مسلماً لله نفسه ومفوضاً إليه في أمره، راضياً بكل ما نزل به أنه بعين الله عزّ وجلّ، بل كانوا من المستأنسين بالمنية بين يدي الله سبحانه وتعالى.

وهكذا مفاهيم الإخلاص والصبر والتضحية والعمل الصالح والإباء والعزة والكرامة وما إلى ذلك دعا إليها الأنبياء وتجسدت في كربلاء.

من هنا نفهم أنّ كربلاء ما كانت في يوم من الأيام منذ أن حصلت منحصرة في بقعتها التي جرت عليها ولا حتى برجالها العظام الذين سطروا أعظم الملاحم الإيمانية فيها، بل إن كربلاء تمتد بعدلها ومبدئيتها وقيمها العالية إلى أرجاء كل الدنيا في كل زمان ومكان، فقد حمل مشعل كربلاء هادياً ومسترشداً له حتى من

كانوا خارج الدائرة الإسلامية أمثال غاندى الذى قال: «تعلمت من الحسين أن أكون مظلوماً فأنتصر»⁽¹⁾، وغيره كثير.

وربما مثل هذا الأمر هو الذى يفسر لنا عمومية الشهداء الذين وقفوا إلى جانب الحسين حتى ضُرجوا بدمائهم (رض)، فقد كان المسيحى إلى جانب المسلم والخارجى إلى جانب الموالى والأسود إلى جانب الأبيض والأحرار إلى جانب العبيد والعربى إلى جانب الأعجمى والرجال إلى جانب النساء وكان الشبية وكبار السن إلى جانب الشباب والصبيان بل وحتى الرضع، كل هذا من أجل أن يقولوا لنا جميعاً حاولوا أن تقرأونا ككتلة واحدة من دون أن تنظروا إلى تفاصيل كل واحد منا فقد وسعنا كربلاء بكل أطيافنا وعليكم أن تفهموا كربلاء كما فهمناها حتى تسعكم كما وسعنا.

بين يدي الشهيد أنس (رض)

لقد كان من جملة خصائص الشهداء كما تقدم قبل قليل هو التنوع العمرى حيث وقف الشبية وكبار السن إلى جانب الشبية فى بوتقة من الانصهار الإيماني قل أن توجد فى غيرهم (رض)، وكان من جملة كبار السن الذين سطروا أعظم الملاحم كما سيأتى هو الشهيد أنس بن الحارث بن نبيه الكاهلى (رض)، هذا الرجل الذى وقف بشيئته المباركة مدافعاً عن الإسلام وعن إمامه عليه السلام بشكل أبكى حتى الحسين عليه السلام نفسه عليه حتى قال له: «شكر الله سعيك يا شيخ»⁽²⁾.

ص: 124

1- (1) من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام، عبد العظيم المهتدى البحرانى: ص 248.

2- (2) أبصار العين: ص 56، مقتل الحسين للمقرم: ص 253.

أقوال العلماء في حق الشهيد أنس (رض)

1 - قال الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف «مخاطباً الشهيد في زيارته:

«السلام على أنس بن كاهل الأسدي»(1).

2 - قال المامقاني: «بخٍ بخٍ لمثل هذا الرجل العظيم مثال السعادة والتوفيق ففي بدء حياته ينال شرف الصحبة وفي خاتمة حياته ينال شرف الشهادة في الدفاع عن سيد شباب أهل الجنة صلوات الله عليه وبعد وفاته ينال شرف التسليم من حجة الله على الخلق أجمعين»(2).

3 - قال ابن عبد البر: «أنس بن الحارث روى عن سليم والد الأشعث بن سليم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قتل الحسين عليه السلام وقتل مع الحسين عليه السلام رضي الله عنهما»(3).

4 - قال البخاري: «أنس بن الحارث قتل مع الحسين عليه السلام سمع النبي قاله محمد بن سعيد بن عبد الملك الحرّاني»(4).

5 - قال ابن حجر: «أنس بن الحارث بن نبيه بن كاهل بن عمرو بن صعّب ابن أسد بن خزيمّة الأسدي الكاهلي عداده في أهل الكوفة انتهى»(5).

6 - قال السيد الأمين: «أنس بن الحارث ذكره الشيخ في رجاله في أصحاب

ص: 125

1- (1) إقبال الأعمال لابن طاووس: 576.

2- (2) تنقيح المقال: ج 11، ص 331.

3- (3) الاستيعاب: ج 8 ص 46 رقم 44.

4- (4) الإصابة: ج 1، ص 84 رقم 266.

5- (5) أعيان الشيعة: ج 3، ص 499 (500).

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: مثل مع الحسين عليه السلام»(1).

7 - قال ابن نما الحلبي: «خرج أنس بن الحارث الكاهلي وهو يقول:

قَدْ عَلِمَتْ كَاهِلُهَا وَدَوْدَانَ وَالْخَنْدَفِيُّونَ وَقَيْسُ عَيْلَانَ

بِأَنَّ قَوْمِي قَصَمَ الْأَقْرَانَ يَا قَوْمِ كُونُوا كَأَسْوَدِ الْجَانِ

أَلْ عَلِيٌّ شَيْعَةُ الرَّحْمَنِ وَأَلْ حَرْبٌ شَيْعَةُ الشَّيْطَانِ»(2)

8 - قال السيد المقدم: «وكان أنس بن الحارث بن نبيه شيخاً كبيراً صحابياً رأى النبي وسمع حديثه وشهد معه بدرأً وحنيناً»(3).

قبيلة الشهيد الكربلائي (كاهل)

معنى كاهل وهو الجد الأكبر للشهيد الكربلائي، مأخوذ من كاهل البعير وهو مقدم ظهره وهو الذي يكون عليه المحمل وقال بعضهم الكاهل من الفرس ما ارتفع من فروع كتفيه وجعل الكاهل من الإنسان ما بين كتفيه ويقال للشديد الغضب والهائج من الفحول لذو كاهل وقال الأزهرى سمعت غير واحد من العرب يقول فلان كاهل بنى فلان أى معتمدهم وسندهم فى المهمات وهو مأخوذ من كاهل الظهر؛ لأنّ عنق الفرس يتساند إليه إذا حضر وهو محمل مقدم قربوس السرج ومعتمد الفارس عليه(4).

ص: 126

1- (1) أعيان الشيعة: ج 3، ص 499 (500).

2- (2) أعيان الشيعة: ج 3، ص 499 (500).

3- (3) مقتل المقدم: ص 253-352.

4- (4) لسان العرب: ج 13 - مادة كهل - .

وكاهل قبيلة عربية عدنانية أسدية وهي من القبائل المستعربة(1) ومضى كون هذه القبيلة أسدية أى إنها ترجع إلى أسد بن خزيمه كما ذكر ذلك ابن حزم فى جمهوره أنساب العرب بقوله:

«كاهل بن أسد بن خزيمه بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان»(2).

ولكاهل بن أسد (جد الشهيد الكربلائي) أخوة أربعة وهم ذودان بن أسد وعمرو بن أسد وصعب بن أسد وحلمة بن أسد، ومعظم بطون بنى أسد من ذودان فقد أولد ذودان ثعلبة وغنم(3)، وأما حلمة بن أسد فأبادهم امرؤ القيس ابن حجر الكندي الشاعر ثائراً لأبيه، وبقي منهم قلة دخلوا فى بنى جذيمة بن مالك(4).

وقد أولد كاهل بن أسد ذرية ذكر التاريخ لنا بعضهم ومنهم:

1 - مازن بن كاهل بن أسد بن خزيمه والذى منهم علباء بن حارث بن هلال الذى يقول له امرؤ القيس:

وأفلتهنَّ علباءً حَرِيضاً وَلَوْ أدرَكَته صَفِرَ الوطابُ (5)

ص: 127

1- (1) مضى الحديث حول القبائل العاربة والمستعربة فى الجز الأول من هذه الموسوعة فراجع.

2- (2) جمهوره أنساب العرب: ج 1، ص 10، الأنساب للسمعاني: ج 1، ص 138.

3- (3) خزانة الأدب: 8، 356.

4- (4) جمهوره أنساب للكلبى: ج 1، ص 188، تحقيق ناجى حسن (طبعة بيروت).

5- (5) إكمال الكمال لابن هاكولا: ج 2، ص 24.

2 - الحزمر بن كاهل بن أسد بن خزيمة(1).

3 - صفية بن كاهل بن أسد بن خزيمة(2).

4 - حنيفة بن كاهل بن أسد بن خزيمة(3)، والتي لعظمتها وعظمة شخصيتها نسب إليها ولدها ربيعة دون أبيه فكان يقال ربيعة بنو حنيفة.

5 - جد الشهيد الكربلائي كما سيأتي الحديث عنه بعد قليل.

مسكن قبيلة بني كاهل

سكنت هذه القبيلة كما سكن غيرهم من بطون بني أسد في الكوفة حيث كانت لهم خطة فيها.

يقول الطبري وهو يتحدث عن حوادث سنة 17 هـ - وعن هذه الجماعات من بني أسد: (ونهج في الودعة من الصحن خمسة مناهج وفي قبلته أربعة مناهج وفي شرقيه ثلاثة مناهج وفي غربيه ثلاثة مناهج وعلمها، فأنزل في ودعة الصحن سليما وثقيفاً مما يلي الصحن على طريقين وهمدان على طريق وبجيلة على طريق آخر وتيم اللات على آخرهم وأنزل قبلة الصحن بني أسد على طريق...)(4).

وكان من جملة من سكن في هذا الموقع من قبلة الصحن قبيلة كاهل ومنهم الشهيد أنس بن الحارث (رض).

ص: 128

1- (1) إكمال الكمال لابن هاكولا: ج 2، ص 224.

2- (2) إكمال الكمال لابن هاكولا: ج 1، ص 224.

3- (3) إكمال الكمال لابن هاكولا: ج 1، ص 224.

4- (4) تاريخ الطبري: ج 4، ص 191.

لا شك أنّ وجود مسجد لقبيلة أو بطن ما فى داخل الكوفة - وهى الحاضرة الإسلامية المهمة - ليبيّن ثقل هذه القبيلة أو البطن بين الناس، فما بالك إذا ما عُرف مثل هذا المسجد ب - (مسجد أمير المؤمنين) (1)؟!!

فقد نقل الشيخ محمد جعفر المشهدى فى كتابه القيم (فضل الكوفة ومساجدها) تحت هذا العنوان: (ذكر ما جاء فى مسجد بنى كاهل ويُعرف بمسجد أمير المؤمنين عليه السلام):

(وأخبرنى الفقيه الجليل عز الدين أبو المكارم حمزة بن زهرة الحسنى الحلبي أملاء من لفظه وأرانى المسجد وروى لى هذا الخبر عن رجاله عن الكاهلى قال: قال لى:

ألا تذهب بنا إلى مسجد أمير المؤمنين صلوات الله عليه نصلى فيه؟ قلت: وأى المساجد هذا؟

قلت مسجد بنى كاهلة وأنه لم يبق منه سوى أسسه وأسس مئذنته، قلت حدثنى بحديثه قال: صلى بنا على بن أبى طالب عليه السلام فى مسجد بنى كاهلة الفجر ففقت بنا فقال:

«اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونؤمن بك ونتوكل عليك ونثنى

ص: 129

1- (1) وإنما عرف بمسجد أمير المؤمنين لصلاة الإمام على عليه السلام فيه كما سيأتى، ومن مؤذنى هذا المسجد المحدث الكوفى أبو الجنوب الأسدى، سمع علياً وروى عنه حسين بن ليثون وعيسى ابن قرطاس ذكره البخارى فى التاريخ الكبير (كتاب الكنى والألقاب: 158).

عليك بالخير ولا تكفرك ونخلع ونترك من ينكرك، اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد وإليك نسعى ونحفد ونرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك بالكافرين يخلف، اللهم اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت وتولنا فيمن توليت وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا شر ما قضيت، إنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت، نستغفرك وتتوب إليك، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين»(1).

وبالإسناد عن أبي عبد الله بن يحيى الكاهلي قال: (صلى بنا أبو عبد الله عليه السلام في مسجد بني كاهل الفجر فجره في السورتين وقت قبل الركوع وسلم واحدة تجاه القبلة)(2).

الاختلاف في اسم الشهيد

أطبق كل من ترجم وكتب عن الشهيد الكربلائي (رض) أنه: (أنس) سوى ما ذهب إليه بعضهم أنه (مالك) وهو أمر في غاية الاشتباه والخطأ كما سنتحدث عن ذلك بعد قليل.

ص: 130

1- (1) فضل الكوفة ومساجدها: ص 24.

2- (2) فضل الكوفة ومساجدها: ص 25.

ذهب الكثيرون من العلماء إلى أن والد الشهيد الكربلائي هو «الحارث» (1) كما ذكر ذلك السيد الأمين (2) وابن حجر (3) وابن نما الحلبي (4) والشيخ شمس الدين (5) والشيخ علي النمازي (6) وآخرون (7)، بينما ذهب البعض أنه «هزلة» كما نص على ذلك ابن الأثير بقوله: أنس بن هزلة وفد إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم روى عنه ابنه عمرو بن أنس أخرجه أبو عمر مختصراً. قال أبو أحمد العسكري: أنس بن هزلة ويقال أنس بن الحارث له صحبة قتل مع الحسين بن علي رضي الله عنهما وهذا أنس بن الحارث قد تقدم ذكره فلا أعلم أهما واحد أم إثنان، وأبو أحمد عالم فاضل لو يعلم أنهما واحد لما قاله وما أقرب أن يكونا واحداً لأنه قد ذكر في أنس أنه قتل مع الحسين عليه السلام والله أعلم (8).

أقول: وقد أحسن ابن الأثير في تخريجه هذه حيث ذكر أنهما واحد، ومن ثم يمكن أن يُحمل اسم هزلة على أنه اسم أمه، وهذا أمرٌ معروف بين الناس، فقد

ص: 131

-
- 1- (1) نعم نقل بعضهم أنه: «الحارث» والأمر فيه هين حيث يحمل على التصحيف أو الاختلاف في النسخ.
 - 2- (2) أعيان الشيعة: ج 3، ص 499.
 - 3- (3) الإصابة: ج 1، ص 81.
 - 4- (4) أعيان الشيعة: ج 3، ص 499.
 - 5- (5) أنصار الحسين: ص 74.
 - 6- (6) مستدركات علم الرجال: ج 1، ص 701.
 - 7- (7) كالسيد المقدم في مقتله: ص 352.
 - 8- (8) أسد الغابة لابن الأثير: ج 1، ص 132.

ذكر لنا التاريخ أناساً كانوا ينسبون إلى أمهاتهم (1) تارة وتارة إلى آبائهم ومن أمثلة هؤلاء الواضحة الجلية هو «محمد بن الحنفية» حيث نسب إلى أمه في بعض الأحيان وفي بعضها الآخر نسب إلى أبيه فيقال: «محمد بن علي بن أبي طالب» (2)، ومن ثم فيمكن أن يكون الشهيد أنس قد نسب إلى أبيه «الحارث بن نبيه الكاهلي» وإلى أمه «هزلة» في نفس الوقت فاشتبه الأمر على من ذكرهما.

جد الشهيد الكربلائي

ذهب مشهور العلماء ومن تحدث عن الشهيد أنس إلى أن جده اسمه «نبيه» كما نص على ذلك ابن حجر في الإصابة (3)، وابن عساكر في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام (4)، والقندوزي في يبايع المودة (5)، وآخرون. بينما ذهب آخرون إلى أنه «منبه» كما أشار إلى ذلك المتقى الهندي في كنز العمال (6). وانفرد العجلي في معرفة الثقات إلى أنه «لقيط» حيث قال: أنس بن الحارث بن لقيط النخعي كوفي ثقة (7).

ص: 132

- 1- (1) من أراد التوسع أكثر فليراجع كتاب معجم الذين نسبوا إلى أمهاتهم د. فؤاد صالح السيد.
- 2- (2) سفينة البحار: ج 1، ص 319.
- 3- (3) ابن حجر في الإصابة: ج 1، ص 270 تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ط 1 (1415 هـ -) دار الكتب العلمية.
- 4- (4) ترجمة الإمام الحسين لابن عساكر: ص 348.
- 5- (5) يبايع المودة للقندوزي: ج 3، ص 8 تحقيق سيد جمال أشرف الحسيني ط 1 (1416 هـ -) دار الصفوة.
- 6- (6) كنز العمال للهندي: ج 12، ص 126 تحقيق الشيخ بكرى همياني، الشيخ صفوة القاطبة مؤسسة الرسالة.
- 7- (7) معرفة الثقات: ج 1، ص 17، ط 1 (1405 هـ -) مكتبة الدار بالمدينة المنورة.

تقل الصدوق في أماليه وهو يتحدث عن الشهيد مالك بن أنس الكاهلي نفس أبيات الأرجوزة التي ذكرها أنس بن الحارث الكاهلي وهو نازل إلى ساحة المعركة حيث قال: ثم برز مالك بن أنس الكاهلي وهو يقول:

قَدْ عَلِمْتُ كَاهِلَهَا وَدَوْدَانَ وَالْخَنْدَفِيُّونَ وَقَيْسُ عَيْلَانَ

بِأَنَّ قَوْمِي فَصَمُ الْأَقْرَانَ يَا قَوْمِ كُونُوا كَأَسْوَدِ الْجَانِ

أَلْ عَلِيٍّ شِيعَةَ الرَّحْمَنِ وَأَلْ حَرْبِ شِيعَةَ الشَّيْطَانِ

فقتل منهم ثمانية عشر رجلاً ثم قتل انتهى(1).

وفي كتاب المناقب لابن شهر آشوب وردت نفس هذه المقالة حيث قال: «ثم برز مالك بن أنس الكاهلي وقال:

أَلْ عَلِيٍّ شِيعَةَ الرَّحْمَنِ وَأَلْ حَرْبِ شِيعَةَ الشَّيْطَانِ(2)

ونقل ابن نما الحلبي في كتابه «مثير الأحرار» بعد ذكره لأنس بن الحارث الكاهلي قوله: أقول يوشك أن يكون قد وقع اشتباه بين أنس بن حارث الكاهلي ومالك بن أنس المالكي(3)، بسبب أن لكل منهما رجزاً على هذا الوزن وهذه القافية وإن يكون نسب بعض ما لأحدهما من هذا الرجز إلى الآخر كما وقع مثله

ص: 133

1- (1) أعيان الشيعة: ج 3، ص 499.

2- (2) أعيان الشيعة: ج 3، ص 499.

3- (3) على رواية البحار حيث ذكره مالك بن أنس المالكي فضلاً عما ذكره صاحب المناقب والصدوق كما تقدم.

كثيراً والله أعلم(1).

تجنّى الذهبى على الشهيد أنس

ليس غريباً على من تتبع سيرة أصحاب أهل البيت عليهم السلام ومواليهم أن يجد المحاولات الدائبة والحثيثة من أجل تقليل محامدهم وتشويهها وحصر فضائلهم وإخفائها، وقد ساروا فى ذلك على خطى أئمتهم عليهم السلام الذين أبت النفسية العدوانية لبنى أمية ولبنى العباس ومن دار فى فلكتهم من الظلمة إلا إخفاء مناقبهم عليهم السلام، ومحوها، ولقد كانت من جملة هذه المحاولات ما ذهب إليه الذهبى فى كتابه التجريد من القول بأن الشهيد أنس ليست له صحبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل وحديثه مرسل.

وقد ردّ هذه الشبهة وكفانا مؤنتها ابن حجر فى الإصابة بعد أن ترجم للشهيد (رض) قال: ووقع فى التجريد للذهبى لا صحبة له وحديثه مرسل... وكيف يكون حديثه مرسلًا وقد قال سمعتُ، وقد ذكره فى الصحابة البغوى وابن السكن وابن شاهين والدغولى وابن زبر والبارودى وابن مندة وأبو نعيم وغيرهم(2).

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخبر أنساً بمقتل الحسين عليه السلام

روى ابن حجر فى الإصابة وغيره عن أشعث بن سحيم عن أبيه قال سمعت أنس بن الحارث يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إن ابنى هذا (يعنى الحسين) يقتل بأرض يقال لها كربلاء فمن شهد منكم فلينصره»(3).

ص: 134

1- (1) أعيان الشيعة: ج 3، ص 499.

2- (2) الإصابة لابن حجر: ج 1، ص 270.

3- (3) التاريخ الكبير للبخارى: 2، 30، مقتل الخوارزمى: ج 1، ص 233، الإصابة: ج 1، ص 270.

ولنا على هذه الرواية مجموعة من النقاط:

1 - ذكر العلامة المامقاني قدس سره في تصحيح المقال أن هذه الرواية رويت عن أنس بن أبي سحيم كما ذكر ذلك العلامة المجلسي في البحار والعلامة البحراني في عوالم علوم الإمام الحسين عليه السلام بسنده عن أشعث بن عثمان عن أبيه عن أنس بن أبي سحيم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ... ولكن في كتاب مثير الأحزان لابن نما الحلبي أنس بن أبي سحيم ولكن المشهور أن هذا الحديث عن أنس بن الحارث الذي استشهد مع أبي عبد الله الحسين عليه السلام كما في مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب (1).

2 - لم يكن مثل هذا الإخبار من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الشهيد أنس (رض) هو الإخبار الأول في هذا الشأن بل قد أخبر صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه ومن معه رجالاً ونساء عشرات الأحاديث بما سوف يجرى ويقع على ذريته من بعده لاسيما سبطه الحسين في كربلاء فقد روى الطبراني بسنده عن عائشة حديثاً طويلاً يتضمن إخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم لها بقتل الإمام الحسين عليه السلام بالطف وفيه: ثم خرج إلى أصحابه - فيهم علي وأبو بكر وعمر وحذيفة وعمار وأبو ذر (رضى الله عنهم) وهو يبكي فقالوا ما يبكيك يا رسول الله؟ فقال: «أخبرني جبرئيل أن ابني الحسين يقتل بعدى بأرض الطف وجاءني بهذه التربة وأخبرني أن فيها مضجعه» (2).

وينقل الخوارزمي في مقتله عن ابن عباس قوله: (بعد أن ذكر خطبة

ص: 135

1- (1) تنقيح المقال للعلامة المامقاني: ج 11، ص 220 (3675).

2- (2) المعجم الكبير للطبراني: 3، 107، مجمع الزوائد: 9، 188.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم) ثم نزل عن المنبر ولم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلا وتيقن بأن الحسين مقتول»(1). كما ذكر غير واحد من العلماء عن ابن عباس قوله: (كنا لا نشكّ وأهل البيت متوافرون أن الحسين بن علي يُقتل بالطف)»(2).

وبتقديرى أن هذه الإخبارات التى صدرت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغيرها تريد أن تشير أولاً إلى أهمية هذه الواقعة وأثرها الكبير على الإسلام والمسلمين وثانياً دعوة الناس إلى الوقوف إلى جانبها ونصرتها وتقديم الغالى والنفيس من أجلها، وقد بان مثل هذا الأمر بشكل واضح من خلال دعوة الناس إلى نصرته الحسين عليه السلام فى كربلاء، فهذا هو الشهيد أنس بن الحارث الكاهلى يأمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأن يشهد هذه الواقعة إن استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وقد روى أصحاب السير والتاريخ عن سلمان الفارسى قوله فى واقعة بلنجر بعد النصر الكبير الذى حققوه فيها والفرحة التى عمت المسلمين بسببه: إذا أدركتم سيد شباب أهل محمد (الجنة) فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معه بما أصبتم اليوم من الغنائم(3). وينقل الخوارزمى وغيره عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله بعد أن أخبر بقتل الحسين «والذى نفسى بيده لا يقتل بين ظهرائى قوم لا يمنعوه إلا خالف الله بين صدورهم وقلوبهم وسلط عليهم شرارهم وألبسهم شيعاً»(4).

وينقل ابن عساکر عن العريان بن الهيثم قوله «كان أبى يتبدى فينزل قريباً

ص:136

1- (1) مقتل الخوارزمى: 1، 164-165 (الفصل الثامن).

2- (2) المستدرک على الصحيحين: 3، 179.

3- (3) الكامل فى التاريخ: 4، 42، أحداث سنة ستين للهجرة، ذكر سير الحسين إلى الكوفة.

4- (4) المعجم الكبير للطبرانى: 3، 120، مسند الحسين بن علي: ذكر مولده وصفته.

من الموضوع الذى كان فيه معركة الحسين عليه السلام فكنا لا نبذو إلا وجدنا رجلاً من بنى أسد هناك عليه سيماء الصلاح وتقوى الأولياء فقال له أبى: أراك ملازماً هذا المكان؟ قال بلغنى أن حسيناً يقتل ها هنا فأنا أخرج إلى هذا المكان لعلى أصادفه فأقتل معه... قال الراوى: فلما قتل الحسين عليه السلام قال أبى: انطلقوا ننظر هل الأسدى فيمن قتل؟ فأتينا المعركة وطوفنا فإذا بالأسدى مقتولاً(1).

ولا شك أن رواية الأسدى المتقدمة لتكشف لنا وبشكل واضح مدى التبليغ الواضح الذى حَظِيَتْهُ قضية الحسين عليه السلام عند المسلمين من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتكشف فى نفس الوقت مدى التوفيق الكبير الذى حظاه هذا الشهيد بامتثاله أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى نصرته الحسين عليه السلام وعدم توفيق الكثير من أبناء هذه الأمة لمثل هذا الأمر مع قدرتهم عليه.

وهكذا كان الشهيد أنس فى نفس هذا الخط والاتجاه فقد أخبره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمقتل الحسين عليه السلام وأمره بنصرته، وظل أنس يحمل هذا التكليف عشرات من السنين حتى وفقه الله لأدائه يوم العاشر من المحرم.

3- ويبدو من خلال هذه الرواية المتقدمة أن الشهيد أنساً لم يكتف بالسعى إلى أداء أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والشهادة مع الحسين عليه السلام، بل سعى كذلك لنشر هذا الحديث وإذاعته ولكن لمن يكون أهلاً لحمل هذا الأمر النبوى، حيث كان من جملة من تحدث معه الشهيد هو سليم بن حنظلة المحاربى الكوفى(2)، (راوى

ص: 137

-
- 1- (1) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور: 7، 145.
 - 2- (2) روى فى بعض المصادر أنه أشعث بن سحيم والصحيح هو أشعث بن سليم بن حنظلة الكوفى كما ذكر ذلك ابن حبان فى الثقات: 4، 249، وابن عبد البرفى الاستيعاب: 1، 112، وأبو الفتح محمد بن الحسين الأزدي فى المخزون فى علم الحديث: 48، والوفى فى الوفيات: 9، 239.

الحديث المتقدم) والذي عرف بالولاء لعلى عليه السلام والاتباع له، يقول الذهبي وهو يتحدث عنه «صاحب على عليه السلام روى عن على عليه السلام وشهد معه مشاهدته»(1).

الشهيد عمار بن ياسر والشهيد أنس بن الحارث ووحدة الموقف

ليس غريباً أن تتفق حياة العظماء على اختلاف أديانهم ومشاربهم في الكثير من صفاتهم وخصائصهم النفسية، بل وحتى تفاصيل حياتهم وما يلاقونه فيها، لاسيما الربانيون منهم، فلقد حملوا لواء المطالبة بحقوق الفقراء والمساكين ووقفوا أمام الظلم والظالمين وبذلوا في سبيل هذا الهدف كل غال ونفيس ومع كل ذلك لم ينحنوا أو ينكسروا حتى فارقت أرواحهم أبدانهم.

ولقد كان من جملة أطراف الله عز وجل على الشهيد أنس أن جعل حياته موافقة في أكثر من جهة حياة الشهيد عمار بن ياسر (رض) فلقد عاش عمار بن ياسر الإسلام منذ بداياته مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتحمل في سبيل ذلك كل شيء حتى إذا ما خرج المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الدنيا وقف إلى جانب إمامه المفروض عليه طاعته وعاش معه أعظم الفتن وأشدّها وأكثر المحن وأهولها وهو يعيش في أعلى درجات الوعي والبصيرة لاسيما في معركة صفين حيث كانت له فيها مقالات وسجلات تكشف عن عميق وعيه وثبات إيمانه وارتكاز عقيدته بعلى بن أبي طالب عليه السلام مع كبر سنه وانحناء ظهره حيث بلغ التسعين من عمره في ذلك اليوم فنزل إلى القوم وهو يقول: «اللهم إنى لا أعلم عملاً صالحاً هذا اليوم هو أَرْضِي

ص:138

من جهاد القاسطين ولو أعلم عملاً هو أرضى لك منه لفعلته ثم ارتجز وهو يقول:

نحن ضربناكم على تأويله كما ضربناكم على تنزيهه

ضرباً يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

أو يرجع الحق إلى سبيله(1)

وهكذا كان الشهيد الكربلائي أنس بن الحارث الكاهلي حيث عاش مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشهد معه بدرأً وأحداً وسائر حروبه وغزواته وبعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عاش الثبات مع من أوصى صلى الله عليه وآله وسلم بالتمسك بهم فعاش مع علي عليه السلام مشاهده ومع الحسن عليه السلام محنته ومع الحسين عليه السلام ثورته وبالتالي وقف كما وقف عمار يوم العاشر من المحرم وقد بلغ التسعين أو ناهزها وقد شد وشطه بعمامه ورفع حاجبيه بعصابه وهو يقول:

أَلْ عَلِيٌّ شَيْعَةُ الرَّحْمَنِ وَأَلْ حَرْبٌ شَيْعَةُ الشَّيْطَانِ(2)

لقد اختصر الشهيد بكلماته هذه الزمناً على اتساعه والمواقف على كثرتها فكأنه يريد أن يقول بأن يزيد وابن زياد ومن والاهما الذين تقف اليوم أمامهم إنما هم صنيعة ذلك الضال المنحرف معاوية بن أبي سفيان الذي وقف أمامه عمار (رض). فيأله من موقف مهيب وعظيم أن يسقط عمار على كبر سنه وحنو ظهره أمام علي بن أبي طالب شهيداً وهو يعيش الثبات وأن يسقط الشهيد أنس بن الحارث أمام الحسين علي جلال شيبته ووهن عظمه وهو يعيش اليقين!!

ص: 139

1- (1) سلسلة الأركان الأربعة (عمار بن ياسر) للشيخ محمد جواد الفقيه: ص 214 - ص 224.

2- (2) مشير الأحزان لابن نما: ص 46 ت ص 47.

روى ابن الأثير في أسد الغابة ما نصه:

«روى أنس بن الحارث بن نبيه، عن أبيه الحارث بن نبيه وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الصُّفَّة انتهى»(1).

ربّما يستغرب الإنسان للوهلة الأولى في ذكر هذه الصفة إلى الشهيد الكربلائي (رض) فما معنى أن يكون الإنسان من أهل الصفة؟ أفيوجد فيهم ما يمكن أن يُميّزوا به عن غيرهم؟

وممّا لا شك فيه أن مثل هذا التساؤل وغيره ربما يخطر ببال الإنسان قبل أن يرجع إلى ما ذكره القرآن والروايات عن هذه الفئة من الناس، وإلا إذا رجعنا إليهما فإننا سوف نجد فيهم من الخصائص والصفات ما يمكن أن تكون محل فخر واعتزاز كبيرين، وهذا ما نود أن نبينه ونحن نتحدث عن أحد أفراد هذه المجموعة ألا وهو الشهيد أنس (رض).

ما معنى الصُّفَّة؟

الصُّفَّة هي عبارة عن مكان مُظللّ في مؤخر المسجد النبوي صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمهاجرين الذين تركوا أموالهم وديارهم، وإنما التجأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذلك بعد ما زاد عددهم كثيراً ولم يكن لهم من مأوى يمكن أن يلتجئوا إليه في داخل المدينة.

ص:140

ذكر أبو نعيم الاصبهاني في حلية الأولياء في أهل الصفة قوله: «وهم قوم أخلاهم الحق من الركون إلى شىء من العروض، وعصمهم من الافتتان بها عن الفروض. وجعلهم قدوة للمتجردين من الفقراء، كما جعل من تقدم ذكرهم أسوة للعارفين من الحكماء. لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا يلهيهم عن ذكر الله تجارة ولا حال، لم يحزنوا على ما فاتهم من الدنيا، ولا يفرحون إلا بما أيدوا به من العقبى. كانت أفراحهم بمعبودهم ومليكتهم وأحزانهم على فوت الاغتنام من أوقاتهم وأورادهم، هم الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، ولم يأسوا على ما فاتهم، ولم يفرحوا بما أتاهم. حماهم مليكتهم عن التمتع بالدنيا والتبسيط فيها: لكيلا يبغوا ولا يطغوا، رفضوا الحزن على ما فات من ذهاب وشتات، والفرح بصاحب نسب إلى بلى ورفات(1). ويقول أنس بن مالك: «أقبل أبو طلحة يوماً، فإذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائم يقرئ أصحاب الصفة، على بطنه فصل من حجر يقيم به صلبه من الجوع. كان شغلهم تفهم الكتاب وتعلمه، ونهمتهم الترتب بالخطاب وتردده(2).

ولأجل ذلك كله كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثير الشفقة عليهم ودائم الزيارة لهم ولقد أوصى المسلمين بالتصدق عليهم فجعلوا يصلونهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً ولقد خرج من هذه الصفة من عرف بالعلم كحذيفة بن اليمان والجهاد

ص: 141

1- (1) أبو نعيم الاصبهاني في حلية الأولياء، ذكر أهل الصفة: ص 337-338.

2- (2) المصدر نفسه: ص 342.

كغسيل الملائكة وعبد الله ذى الجادين وعمار بن ياسر وآخرين ممن خدموا الدين وارسوا قواعده الممتينة.

ويكفى فى حقهم مدح القرآن الكريم لهم وذلك حينما جمع لهم صفاتٍ وخصائصَ قلَّ أن توجد فى غيرهم من المسلمين وذلك من خلال آيات ثلاث:

«وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ 1» ، وقوله: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا 2» ، وقوله: «لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَىٰ رُؤَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْتَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا 3» .

فهم على أساس ما ذكره القرآن

- 1 - من أهل التعفف: «لَا يَسْتَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا» .
- 2 - ظهور الفقر عليهم: «تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ» .
- 3 - الخائفون من الله: «يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ» .
- 4 - لا شفيع ولا ولى لهم سوى الله: «لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ» .

5 - مقصدهم رضا الله وفضله: «يُرِيدُونَ وَجْهَهُ» يتبعون فضلاً من الله.

6 - ناصرون لله ولرسوله: «وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ» .

7 - الصادقون: «أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» .

وبعد كل ما تقدم من حديث القرآن والرسول عن أهل الصِّفَّة وخصائصهم، نعلم بما لا مجال للشك فيه أن الشهيد الكربلائي كان له قدم السبق فيهم في كل ما ذكر عنهم من إيمان مُمَيَّز وعمل صالح، فلقد كان مع شدة فقره وعوزة وحاجته عابداً وعاشقاً لله سبحانه وتعالى بالشكل الذي لم يشغله عنه شيء مهمما كان خطيراً، وكان في ذات الوقت عالماً عاملاً مطيعاً لله ولرسوله في كل ما أمرا به ونهيا عنه، وناصراً لهما بقلبه ولسانه ويده لا تأخذه فيهما لومة لائم، فضلاً عن إيمانه العميق وعقيدته الراسخة، حتى استحق أن يكون ممن أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالبقاء والصبر معه وعدم مفارقتة حيث يقول:

«وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ» .

حيث ذكر العلماء أن هذه الآية الكريمة نزلت في أهل الصفة: «قال قتادة نزلت في أصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يرجعون إلى تجارة ولا إلى زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون أخرى فلما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبر نفسي معهم»⁽¹⁾.

ص: 143

1- (1) تفسير البغوي للحسين بن مسعود البغوي (دار طيبة) ج 5، ص 166.

تحتاج الأمم جميعها على اختلاف نحلها ومشاربها إلى أصحاب الهمم العالية والإرادات الكبيرة فهم صُنَّاع الحياة، وبناء المستقبل، فهم الذين تقف الحياة وتنمو وتزدهر بهم، وهم الذين تشرَّب الأعناق عند الشدائد والأعسار لهم، ولئن ميزتهم البشرية حسب موازيتها ومقاييسها فقلد ميزتهم السماء قبل ذلك من خلال ما ورد عنها من نصوص، يقول القرآن الكريم:

«وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ 1» .

وهنا يحث الله سبحانه وتعالى عباده على القيام بالأعمال الصالحة ولكن بوقت زمني أقل من الوقت المعتاد لها وهذا يعنى ضمناً طلب الزيادة والاكثار من هذه الأعمال بلا شك، ومثل هذا الأمر والندب لا يقوى على القيام به إلا أصحاب الهمم العالية، ويقول تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وآله وسلم:

«فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعُرْمِ مِنَ الرُّسُلِ 2» .

يقول محمد إسماعيل المقدم: «فى هذه الآية ثناء على أصحاب الهمم العالية، وفى طليعتهم الأنبياء والمرسلون وفى مقدمتهم أولو العزم من الرسل، وعلى رأسهم خاتمهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم... وقد تجلت هممتهم العالية فى مثابرتهم وجهادهم ودعوتهم إلى الله عز وجل، كما أوضحه الله عز وجل فى قصص

الأنبياء كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين»(1)، وهكذا قوله تعالى:

«أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (2)» .

يقول الشيخ الطبرسي في تفسير هذه الآية الكريمة: «معناه الذين جمعوا هذه الصفات وكملت فيهم هم الذين يبادرون إلى الطاعات ويسابقون إليها رغبة منهم فيها وعلماً منهم بما ينالون بها من حسن الجزاء»(2)، وغيرها من الآيات، وأما ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمعصومين فكثير، عن الحسين بن علي عليهما السلام قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله تعالى يحب معالي الأمور، وأشرفها، ويكره سفاسفها»(3)، ويقول صلى الله عليه وآله وسلم: «أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز»(4).

وإن نَسَسَ فلا ننسى تلك الرواية العظيمة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يتحدث عن عجوز بنى إسرائيل التي كانت هممتها عالية وإرادتها كبيرة إلى درجة لم ترضَ لنفسها إلا أن تكون في درجة نبي الله موسى في الجنة، يروي الهيثمي في باب الحث على طلب الجنة: أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً، فقال: أعجزت أن تكون مثل عجوز بنى إسرائيل؟!!

ص: 145

1- (1) علو الهمة لمحمد إسماعيل المقدم: ص 128.

2- (3) تفسير الطبرسي.

3- (4) الطبراني الكبير: 3، 131 (2894).

4- (5) مسلم في صحيحه: (2664).

فقال أصحابه: وما عجزوز بنى إسرائيل يا رسول الله؟ فقال: إن موسى حين أمر أن يسير ببني إسرائيل ضل الطريق، فسأل بنى إسرائيل: ما هذا؟

فقال علماء بنى إسرائيل: إن يوسف حين حضره الموت أخذ علينا موثقاً من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه، فقال لهم موسى: وأيكم يدرى أين قبر يوسف؟

فقال له بنو إسرائيل: ما يدرى أين قبر يوسف إلا عجزوز بنى إسرائيل، فأرسل إليها فقال: دلينى على قبر يوسف، فقالت لا والله، حتى تعطينى حكماً، قال: وما حكمك؟

قالت: أكون معك فى الجنة فكأنه ثقل ذلك عليه، فقبل له: أعطها حكمها، فانطلقت بهم إلى بحيرة مستنقع ماء، فقالت: أنصبوا هذا المكان فلما أنصبوه قالت: أحفروا فى هذا المكان، فلما احتفروا أخرجوا عظام يوسف صلى الله عليه وسلم فلما استقلوها من الأرض إذ الطريق مثل النهار»(1).

ولم يكن الشهيد الكربلائي أنس (رض) بأقل شأنًا من عجزوز بنى إسرائيل حيث لم يرضَ لنفسه إلا مصاحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته فى أعلى مراتب الجنة، فقد حمل (رض) همّة عالية وإرادة كبيرة لم يستطع حتى بدنه أن يتحملها، وهكذا هى النفوس الكبيرة، يقول المتنبى واصفاً لهذه الفئة من الناس:

وَإِذَا كَانَتْ النَّفُوسُ كِبَارًا تَعَبَتْ عَنْ مُرَادِهَا الْأَجْسَامِ (2)

ص: 146

1- (1) مجمع الزوائد: ج 10، باب الحث على دخول الجنة (17348)، ص 170 (مكتبة القدسى).

2- (2) البداية والنهاية لابن كثير: ج 15، ص 278 (دار عالم الكتاب) 2003 م.

فلم يشغل (رض) بالتوافه من الأمور وما لا فائدة فيه، وكان يتجنب أن يُصَيِّع عمره في القيل والقال وسفاسف الأشياء.

يقول المتنبى:

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومٍ فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ

فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ حَقِيرٍ كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرِ عَظِيمٍ (1)

ولقد كانت من جملة العوامل التي ساعدت الشهيد للوصول إلى هذه النهاية المباركة هو مصاحبته العظماء والحكماء وأصحاب الهمم العالية كرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى عليه السلام والحسن والحسين صلى الله عليه وآله وسلم وأتباعهم أمثال أبي ذر وسلمان وعمار ومالك الأشتر وغيرهم، فعاشهم معايشة الطالب لمعلمه والولد لأبيه فتأثر بهم وتفاعل معهم حتى أخذ منهم العلو والرفعة والهمة العالية وهذه واحدة من آثار الصحة الطيبة والطاهرة على الإنسان، يقول الشاعر:

أَنْتَ فِي النَّاسِ تَقَاسُ بِالَّذِي اخْتَرْتَ خَلِيلًا

ذ

فَاصْحَبِ الْأَخْيَارَ تَعْلُو ذُو وَتَنْلُ ذِكْرًا جَمِيلًا (2)

وهذا درس كبير لنا جميعاً علينا أن نأخذه من الشهيد أنس (رض) وأن نحرص على العمل به كثيراً، فهو مفتاح الفلاح وقائد النجاح والأساس في الإصلاح والصلاح، وأن لا ندع أوقاتنا تذهب هدراً من دون أن نؤثر فيها تأثيراً إيجابياً تكون عوناً في خير ديننا ودنيانا.

ص: 147

1- (1) البداية والنهاية لابن كثير: ج 15، ص 280 (دار عالم الكتب) 2003 م.

2- (2) الأخلاق بين الطبع والتطبع، فيصل بن عبده قائد الحاشدى: ص 44-45.

مما لا شك فيه ولا ريب أن الشهيد أنساً (رض) وهو جالس إلى جانب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد سمع منه صلى الله عليه وآله وسلم دعوته إليه لنصرة ولده الحسين عليه السلام قد توجه إلى الله عز وجل بكله ودعا الله أن يطيل عمره وأن ينسأ في أجله حتى يبلغ هذه الدعوة المحمدية في الوقوف إلى جانب الحسين عليه السلام والشهادة بين يديه، وهذا يعنى ضمناً أن الشهيد أراد أن يستثمر أقصى ما يستطيع لساعات عمره ولحظات حياته في خدمة الإسلام، بل لقد طلب الشهيد أن يبقى في خدمة الإسلام حتى ولو بلغ من العمر عتياً، ومثل هذا الأمر إن دل على شيء فإنما يدل على مدى فهم الشهيد لنصوص الشريعة ومفاهيم الدين، فقد وردت الروايات المتعددة من المعصومين في أن يطلب الإنسان المؤمن من الله عز وجل العمر الطويل في طاعة الله، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله في ليالي شهر رمضان المبارك أن يجعل الله عز وجل من جملة الأمور المقدره المحتمومة عليه طول العمر في خير وعافية «وأن تجعل فيما تقضى وتقدر أن تطيل عمري في خير وعافية»⁽¹⁾ ويقول الإمام زين العابدين في جانب من دعائه المعروف بمكارم الأخلاق «وعمّرني ما كان عمري بذلة في طاعتك فإذا كان عمري مرتعاً للشيطان فاقبضني إليك قبل أن يسبق مقتك إلى أو أن يستحكم غضبك عليّ»⁽²⁾، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «خير الناس من طال عمره وحسن عمله»⁽³⁾، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «السعادة كل السعادة طول العمر في طاعة الله»⁽⁴⁾.

ص: 148

- 1- (1) مفاتيح الجنان: ص 286.
- 2- (2) الصحيفة السجادية للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، دعاء مكارم الأخلاق.
- 3- (3) تحفة الأحوذى للمباركفوري: ص 511، (طبعة دار الكتب العلمية).
- 4- (4) مسند الشهاب للشهاب القضاعي رقم الحديث (302).

فملازمة الطاعة لعمر الإنسان تعنى زيادة القرب من الله سبحانه وتعالى والرفعة لديه فى الآخرة ومن ثم فقد فهم الشهيد (رض) أن الوقت أنفـس ما يحرص عليه الإنسان ويوظفه لصالح هدفه الذى يبغيه ويريده وهو رضا الله سبحانه وتعالى، فهو المطية التى إذا ما ضاعت لم يمكن للإنسان أن يصل إلى مقصوده ومراده بغيره، وقد ذمّ الله سبحانه أقواماً لم يستفيدوا من هذه النعمة الكبرى والمنحة العظمى يقول تعالى:

«وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ1» .

فياله من درس بليغ يمكن أن يستله الإنسان المؤمن من حياة هذا الشهيد الذى استثمر كل ساعات حياته ولحظاتها فيما يقربه إلى الله سبحانه وتعالى، فحرى بنا نحن الذين نلهج باسمه ونتحدث عنه ونرجو شفاعته أن نسير على خطاه وننهج على طريقته حتى نستثمر أوقاتنا بالشكل الصحيح ولا ندعها تصيب هدرأ بلا فائدة بل وفى بعض الأحيان بما يعود بالضرر علينا، وقد قال بعضهم إن الإنسان يستطيع أن يصنع الكثير من الأعمال فى دقيقة واحدة، حيث يمكن أن يقرأ (7) مرات سورة الفاتحة سرداً وأن يقول (100) مرة سبحان الله ويحمده ولا إله إلا الله (18) مرة وهكذا فضلاً عن الساعة واليوم والشهر والسنة ولله در الشريف الرضى (رض) حينما قال:

يَا آمِنَ الْآيَّامِ بَادِرُ صَرَفَهَا وَأَعْلَمَ بِأَنَّ الطَّالِبِينَ حُثِّثُ
خُذْ مِنْ ثُرَائِكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا شُرَكَاءُكَ الْآيَّامُ وَالْوَرَاثُ
لَمْ يَقْضِ حَقَّ الْمَالِ إِلَّا مَعْشَرَ نَظَرُوا الزَّمَانَ يَعِيثُ فِيهِ فَعَاثُوا
إِنِّي لِأَعْجَبُ لِلَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِحَبَائِلِ الدُّنْيَا وَهَنَ رِثَاثُ
أَتْرَاهُمْ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ التَّقَى أَرْوَادُنَا وَدِيَارُنَا الْأَجْدَاثُ (1)

لقاء الشهيد أنس بالحسين عليه السلام

إشارة

يبدو أن مسألة لقاء الشهيد أنس بالحسين عليه السلام لم تكن محل اتفاق عند من تحدث عنها، ويمكن للإنسان أن يتلمس - من خلال مراجعة المصادر - أن هناك ثلاثة آراء:

الرأى الأول

يذهب أصحاب هذا الرأى إلى أن الشهيد أنساً التقى بالحسين بعد نزوله فى كربلاء ليلاً، وهذا يعنى أن اللقاء قد تم بعد اليوم الثانى من محرم سنة 61 هـ -، يقول الشيخ السماوى فى إبصار العين وهو يتحدث عن الشهيد: جاء إلى الحسين عليه السلام عند نزوله كربلاء والتقى معه ليلاً فيمن أدركته السعادة(2)، ويقول جواد محدثى فى موسوعة كربلاء: سار إلى كربلاء ليلاً واستشهد يوم الطف فى ركب الإمام الحسين عليه السلام(3).

ص: 150

-
- 1- (1) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد المعتزلى: ج 3، ص 338.
 - 2- (2) إبصار العين للسماوى: ص 56، المطبعة الحيدرية سنة 1341 هـ -، ويذهب إلى هذا الرأى الزنجانى فى وسيلة الدارين، ص 101-102، أسد الغابة: 1، 123، وآخرون.
 - 3- (3) مقتل الحسين للسيد بحر العلوم: ص 410-411.

يذهب أصحابه إلى أن اللقاء قد تم قبل الوصول إلى كربلاء، أما أين حصل هذا اللقاء؟ فيوجد اتجاهان أحدهما يرى أنه حصل قبل كربلاء من دون أن يشير إلى مكان اللقاء. وممن يذهب إلى هذا الاتجاه السيد بحر العلوم فى مقتل الحسين عليه السلام حيث يقول: فلما رآه الشيخ فى طريقه إلى العراق وشهده جاء معه إلى كربلاء، والاتجاه الآخر يحدد مكان اللقاء وأنه حصل فى قصر بنى مقاتل، وممن يذهب إلى هذا الاتجاه البلاذرى فى أنساب الأشراف حيث يقول: وكان أنس بن الحارث الكاهلى سمع مقالة الحسين لابن الحر، وكان قدم من الكوفة بمثل ما قدم به ابن الحر، فلما خرج من عند ابن الحر سلم على الحسين عليه السلام وقال له: والله ما أخرجنى من الكوفة إلا ما أخرج هذا من كراهة قتالك أو القتال معك، ولكن الله قذف فى قلبى نصرتك وشجعنى على المسير معك فقال له الحسين عليه السلام «فاخرج معنا راشداً محفوظاً»⁽¹⁾.

كلمة لا بد منها

وقبل أن نسترسل فى حديثنا عن الشهيد ولقائه الحسين عليه السلام أود أن أشير ولو على نحو السرعة إلى رواية البلاذرى من خلال النقاط التالية:

1 - كل من يقرأ هذه الرواية يجد وبشكل واضح أن الشهيد أنساً كان متردداً فى بداية الأمر فى نصرة الحسين عليه السلام بل وكان خائفاً من الموت كما هو حال عبيد الله بن الحر الجعفى وهذا ما أشار إليه الشهيد من خلال هذه الرواية المزعومة بقوله: «ما أخرجنى من الكوفة إلا ما أخرج هذا، ومثل هذا التردد أو

ص:151

الخوف لا يتناسب مطلقاً مع موقف هذا الشهيد يوم العاشر من المحرم حيث رفع حاجبيه بعصا به وشد وسطه بعمامة لشدة كبره ووهن عظمه ثم نزل إليهم وهو يعى مع من يقف مدافعاً ومع من يقاتل فقد كانت الصورة عنده واضحة:

آل على شيعة الرحمن وآل حرب شيعة الشيطان

فالعزم كان فى أعلى درجاته وإرادة الموت والشهادة هدفه وأمنيته فلا يمكن أن تقبل أن من كان حاله هكذا أن يكون متردداً أو خائفاً من نصر الحسين لاسيما وقد روى الخاص والعام عن هذا الرجل أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له ولسائر المسلمين بنصر الحسين والشهادة بين يديه.

2 - كيف يمكن أن يلتقى الشهيد أنس مع عبيد الله بن الحر الجعفى ويجلسا تحت خيمة واحدة؟ كيف يمكن أن يجتمع من عاش مع رسول الله حروبه وغزواته منذ بدر وما بعدها بثبات فى الموقف ووضوح فى الرؤية مع شخص يقول البلاذرى نفسه عنه فضلاً عن الآخرين بأنه ما كان يحمل ديناً مطلقاً وإن كل سعيه كان من أجل الدنيا يقول: وكان عبيد الله بن الحر رجلاً لا يقاتل لديانة وإنما كان كل همه الفتك والتصعلك والغارات(1).

3 - ومع كل ما تقدم فإن هذه الرواية قد تفرد بها البلاذرى وحده، ولم يشر إليها مؤرخ آخر، وكل من أشار إليها نقلها عن البلاذرى، ومن ثم لا تكون ملزمين بالعمل بها مع وجود رواية أخرى ذكرها مشهور المؤرخين بأن عبيد الله بن الحر عند ما كان فى خيمته ودخل عليه الحسين لم يكن معه أحد حتى يسمع مقالة الحسين له ويعتذر له بنفس العذر الذى اعتذر به ابن الحر كما يزعم البلاذرى.

ص:152

وهو ما أشار إليه الشيخ باقر شريف القرشى أن الشهيد أنس بن الحارث قد أقبل مع الحسين من مكة (1)، وهذا الرأى يعنى ضمناً أن الشهيد قد ترك الكوفة مبكراً ربما قبل أن يقتل الشهيد مسلم بن عقيل، ومثل هذا الرأى لا دليل عليه، بل الدليل على خلافه، ومع ذلك نقول ربما كانت هناك وثيقة اعتمدها الشيخ القرشى ولم تصل إلينا.

الشهادة فى كربلاء

لقد كانت أهم أمنية عاشها الشهيد فى حياته، وتمنى تحقيقها قبل مماته، هى تصديق حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له فى الشهادة بين يدى الحسين عليه السلام، وتمر الأيام ثقيلة على الشهيد، وهو يللم طاقاته، التى أخذت تتبدد نتيجة العمر الطويل له (رض).

وما أن علم بخروج المولى أبى عبد الله الحسين عليه السلام، حتى بانّت علائم البشرى فى وجهه، وأخذ قلبه ينبض فرحاً لقرب الوصول إلى الهدف المقصود، وتحقق الأمنية المنشودة.

وهكذا وصل إلى كربلاء مع الحسين عليه السلام، وهو مشتاق إلى الرواح إلى الجنة سريعاً، لا يحتمل التأخير والانتظار، مهما كان الوقت قصيراً، فوقف مع إخوانه فى الإيمان ينتظر الإذن من الحسين عليه السلام فى النزول إلى ساحة المعركة، ولما حان وقت الإذن، أخذ عصا به ورفع بها حاجبيه اللذين تدليا على عينيه، وشد وسطه بعمامة، وربما كانت هى عمامته التى يضعها على رأسه، ثم رفع بصره إلى الحسين عليه السلام،

ص: 153

يطيل النظر إلى وجهه الشريف مودعاً، ثم نزل إلى ساحة المعركة، وعين الحسين تلاحقه وهو يرى كبره وضعفه، وفي نفس الوقت يرى عزمه وقوته، فلما رآه على هذه الحال بكى وقال رحمك الله يا شيخ، ثم حمل على القوم وهو يقول:

قَدْ عَلِمْتُ كَاهِلَهَا وَدَوْدَانَ وَالْخَنْدَفِيُّونَ وَقَيْسُ عَيْلَانَ

بِأَنَّ قَوْمِي قَصَمَ الْأَقْرَانَ يَا قَوْمِ كُونُوا كَأَسْوَدِ الْجَانِ

أَلْ عَلَيَّ شَيْعَةَ الرَّحْمَنِ وَأَلْ حَرْبِ شَيْعَةَ الشَّيْطَانِ (1)

فقتل منهم على كبر سنه ثمانية عشر رجلاً، وما زال يريد أن يحصد منهم أكثر إلى أن حاصروه وأحاطوا به من كل جانب وقد أجهده القتال وإذا به يسقط على الأرض صريعاً فيستقبل أرض الشهادة بكر بلاء وهو مضرج بدمه الذي أخذ يصيغ شيبته الكريمة بحمرة الولاء لله ولرسوله ولأهل بيته.

رثاء الشهيد أنس

وفي حبيب بن مظاهر الأسدي وأنس بن الحارث الكاهلي يقول الكميت ابن زيد الأسدي راثياً:

سِوَى عُصْبَةٍ فِيهِمْ حَبِيبٌ مُعَفَّرٌ قَضَى نَحْبَهُ وَالْكَاهِلِيُّ مُرْمَلٌ (2)

فسلام عليك يا أنس بن الحارث الكاهلي وعلى شيبتك المباركة المضرّجة بالدماء، السلام عليك يا ناصر دين الله يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حيا ورحمة الله وبركاته.

ص: 154

1- (1) أعيان الشيعة: ج 3، ص 499 (500).

2- (2) البحار: 45، 25.

أشارة

هكذا ذكره العلماء دون أن يختلفوا في اسمه أو اسم أبيه أو نسبه، نعم اختلفوا أهو ابن النجاشي ملك الحبشة أم أنه ابن ملك آخر من ملوكها؟ وأصح الأقوال في ذلك ما ذكره المبرّد في الكامل، حيث قال: وصحّ عندي بعد أنه من ولد النجاشي، فرغب في الإسلام صغيراً(1).

وهذه بعض كلماتهم في حقّ هذا الشهيد (رض):

أقوال العلماء فيه

1 - قال النمازي: «نصر بن أبي نيزر: لم يذكره، هو مولى أمير المؤمنين، ومن أصحابه وأصحاب الحسن والحسين صلى الله عليه وآله وسلم، وتقدّم يوم الطفّ وتشرف بالشهادة بين يديه»(2).

2 - قال السماوي: «ونصر هذا، انضمّ إلى الحسين بعد على بن أبي طالب والحسن، ثمّ خرج معه من المدينة إلى مكّة، ثمّ إلى كربلاء فقتل بها»(3).

ص: 155

1- (1) معجم البلدان، نقلاً عن المبرّد في الكامل: ج 4، ص 175.

2- (2) مستدركات علم الرجال للنمازي: ج 8، 15529.

3- (3) إِبصار العين: ص 72.

3 - قال صاحب الحدائق الوردية: «ونصر هذا، انضم إلى الحسين بعد على ابن أبي طالب والحسن، ثم خرج معه من المدينة إلى مكة، ثم من مكة إلى كربلاء، وكان فارساً شجاعاً»(1).

جدّ الشهيد

إشارة

الحديث عن جدّ الشهيد الكربلائي حديث طويل وله أبعاد متعدّدة، لأنّ هذا الجدّ هو الذي كان سبباً وراء هذا الانقلاب في مسيرة هذه الأسرة الحبشية النصرانية، بل كان السبب وراء كلّ هذا الانقلاب من المسيحية إلى الإسلام، الذي حصل في الحبشة، كما سيأتينا.

بل أستطيع إن أقول إن لهذا الجدّ ديناً في عنق كل مسلم ومسلمة، لأنه كان السبب الأكبر، بعد تسديدات الله تبارك وتعالى، وراء عدم إرجاع المهاجرين من الحبشة مع وفد قريش الذين بعثوهم من أجل أن يأتوا بهم إلى قريش، لكي يسوموهم ألواناً من العذاب وأشكالاً من الأذى والاضطهاد، لعلّ شعلة الإيمان وأنوار الهداية تنطفئ في نفوسهم، وتخدم جذوة الحق التي أخذت الأعناق تشرّب إليها؛ لأنّها كانت المنقذ الذي ينتظره كل مظلوم ومحروم ومضطهد ومستعبد.

النجاشي

إنّ كلمة النجاشي لم تكن اسماً خاصاً لشخص معيّن، بل كانت لقباً يلقّب به كل من يجلس على سدة الحكم في الحبشة، كما أن من جلس على سدة الحكم في بلاد فارس يطلق عليه كسرى، وهكذا من يملك مصر يلقّب بفرعون،

ص:156

وفى الروم يلقب بقيصر، وفى اليمن تُبَع، وهكذا. يقول ابن خلكان فى الوفيات:

ثم إن الراضى لقبه بالأخشيذ فى شهر رمضان المعظم سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، وإتّما لقبه بذلك لأنه لقب ملوك فرغانة وهو من أولادهم، وتفسيره فى العربية ملك الملوك، وكلّ من ملك الناحية لقبوه بهذا اللقب، كما لقبوا كل من ملك بلاد فارس كسرى، وملك الترك خاقان، وملك الروم قيصر، وملك الشام هرقل، وملك اليمن تُبَع، وملك الحبشة النجاشى (1).

وقد وصف هذا الرجل من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأجمل ما يمكن أن يوصف به شخص، ألا وهى العدالة، وهى تلك الصفة الإنسانية ذات المعنى الجامع والكبير، وهى هدف الأنبياء والرسالات، من حيث إن هدفهم جميعاً إقامة العدل والقسط وإحقاق الحق، يقول القرآن الكريم:

«لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ» (2).

فهنيئاً للنجاشى مدح رسول الله له بقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحدٌ، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً ممّا أنتم فيه» (2).

ص: 157

1- (1) وفيات الأعيان: ج 5، ص 58.

2- (3) سيرة ابن هشام: ج 1 ص 321.

ويبدو أنّ هذه الكلمة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمسلمين، كانت بشارة لمستقبل عظيم ينتظرهم، فكانت هذه الكلمات كافية لتبعث في قلوبهم الأمل والاطمئنان، واليقين بأنّ الله مانعهم، وبأنّ الله بالغ أمره لا محالة.

ولقد عاش هذا الرجل العادل صفة العدالة في نفسه، وحاول تطبيقها ونشرها من خلال إنصاف المظلوم من الظالم؛ لأنّه عاش مظلوماً طول حياته، ظلّمه أقرب المقرّبين إليه وهو عمّه، وليس هو فقط، بل حتى أبوه كان مظلوماً، فقد راح ضحية الجشع والحقّد، حيث نقل المؤرّخون أنّ أباه كان ملكاً على الحبشة، ولم يكن له سوى ولد واحد وهو النجاشي، وكان له أخ له اثنا عشر ولداً، فتآمر الأخ مع أبنائه على قتل أخيه ليكون له الملك من بعده، ظلّاً منه أنّ الأمر إذا ورثه هو فسيكون لأبنائه من بعده، فيدوم الملك فيهم طويلاً، بينما لا يملك أخوه إلاّ ولداً واحداً وهو النجاشي، لذا فقد صمّم على قتل أخيه، وفعلاً لم تمضِ إلاّ مدّة وجيزة من الزمن حتى وثب الأخ على أخيه فقتله وتولّى الأمر من بعده، فعاش النجاشي (جدّ الشهيد الكربلائي) مع عمّه الذي قتل أباه.

وكان النجاشي قد عرف منذ ذلك الوقت بالذكاء والحكمة، حتى لقد أخذ بمجامع قلب عمّه فقربّه إليه دون أولاده الذين هم من صلبه، حتى ليذكر أنّ عمّه لم يعد يُبرم أمراً إلاّ بمشورته، فلمّا رأى أولاده ذلك منه حقدوا على ابن عمّهم وخافوا منه كثيراً، خصوصاً وأنّ هاجس الملك كان يراودهم، وكانوا يخافون من ابن عمّهم أن يكون له نصيب من ذلك، كما أنّهم كانوا يعرفون بأنّه يعلم بمنّ كان وراء قتل أبيه، فأقبلوا إلى أبيهم ويّنوا له ما كان من مخاوفهم من هذا الرجل،

والضرر الذى يمكن أن يلحقه بهم تقريبه له دونهم، ومن ثم أخذوا يزينون له قتله أو إخراجه من البلد، فقال:

أما وقد قتلت أباه فلن أقتله، لا يمكن أن يكون ذلك، بل أخرجه خارج البلاد. وفعلاً أخرج النجاشى وبيع لتاجر فى السوق، فحملة التاجر معه فى السفينة.

قال ابن هشام: حتى إذا كان العشى من ذلك اليوم، هاجت سحابة من سحائب الخريف، فخرج عمّه يستمطر تحتها، فأصابته صاعقة فقتلته، ففزع الحبيشة إلى ولده، فإذا هم محمقون، ليس فيهم خير، فمرج على الحبيشة أمرهم. فلما ضاق عليهم ما هم فيه من ذلك قال بعضهم لبعض: تعلمون والله إن ملككم الذى لا يُقيم أمركم غيره، هو الذى بعتموه غدره، فإن كان لكم بأمر الحبيشة حاجة فأدركوه.

فخرجوا فى طلبه، وطلبوا الرجل الذى باعوه منه حتى أدركوه فأخذوه منه، ثم جاؤوا به فعقدوا عليه التاج وأعدوه على سرير المُلِك(1).

وبتقديرى أن كلّ هذا الظلم الذى وقع على النجاشى وعلى أبيه كان السبب وراء العدل الذى عرف به هذا الرجل (رض)، حتى أن المؤرخين ليذكرون بأنّ (عدل النجاشى وصل إلى درجة باتت تحتكم إليه قريش فى خصومة زعمائها)(2).

كما أنّ أبناء النجاشى كانوا علماء ومحدثين ومجاهدين، وكانت بلاد الحبيشة على عهده بلد آمن وأمان، ولهذا السبب أشار النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى جمع من

ص: 159

1- (1) ابن هشام فى سيرته: ج 1 ص 419-420. سير أعلام النبلاء: ج 1 ص 429-430. ابن إسحاق فى سيرته: ص 116.

2- (2) البلاذرى فى الأنساب: ج 1 ص 73.

المسلمين الأوائل، وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب، بالتوجه إلى الحبشة بعدما اشتدَّ إيذاء قريش لهم.

ففى رواية عن الزهري أنه قال لهم صلى الله عليه وآله وسلم:

«تفرّقوا فى الأرض، قالوا: فأين يا رسول الله؟ قال: ها هنا، وأشار بيده إلى أرض الحبشة»(1).

وتقول أم سلمة: لما نزلنا أرض الحبشة، جاورنا بها خير جار، النجاشى؛ أمنا على ديننا، وعبدنا الله تعالى، لا نؤذى(2).

ويقول ابن حبان: (حتى قدموا أرض الحبشة وأقاموا بها على الطمأنينة)(3).

وهذا قليل من كثير فى هذا المقام، ولعل عدل النجاشى وسيرته المحمودة فى قومه هو العامل الأهم فى جعلهم يتقبّلون النبوة الخاتمة صلى الله عليه وآله وسلم؛ هذا فضلاً عن علم النجاشى بحقيقة الأمر، ولقد أوضح القرآن الكريم هذه الحقيقة بقوله:

«الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ 4» .

فإذا

ص:160

1- (1) المغازى النبوية، تحقيق سهيل زكار: ص 96.

2- (2) انظر: سيرة ابن هشام: ج 1 ص 413.

3- (3) السيرة النبوية وأخبار الخلفاء لابن حبان: ص 77.

كان أهل الكتاب الذين يتحدث عنهم القرآن الكريم قد حصل لهم معرفة برسول الله وبدينه الخاتم، فهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فكيف بمن كان أعلم النصارى في وقته، ألا وهو النجاشي؟!

يقول الشيخ أحمد زين دحلان، في كتابه السيرة النبوية:

(إنّ النجاشي كان أعلم النصارى في وقته بما أنزل على عيسى، حتى أن قيصر الروم كان يرسل إليه علماء النصارى ليأخذوا منه العلم)(1).

ولقد كان من صلاح هذا الرجل وعلمه الوفير، وارتباطه بالله تبارك وتعالى، ما ذكره المجلسي في بحاره:

(قال النجاشي: يا جعفر، هل تحفظ ممّا أنزل الله على نبيك شيئاً؟ قال: نعم، فقرأ عليه سورة مريم، فلما بلغ إلى قوله:

«وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا حَنِينًا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا»).

فلما سمع النجاشي بهذا بكى بكاءً شديداً وقال: هذا والله هو الحق)(2).

وأغلب الظنّ أنّ الرجل دخل في الإسلام مبكراً ببركة جعفر وحنكته ومن معه، ولكنّه لم يكن يرى مصلحة في إعلان هذا الأمر على الملأ، وإن كان قد صدرت منه مواقف تدل على إيمانه وإسلامه وحبّه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«لما قدم جعفر بن أبي طالب من الحبشة قال لرسول الله: أحدثك

ص: 161

1- (1) جريدة الوحدة، السبت، 7 محرم 1385 هـ - 8، 5، 1965، بقلم مفتي ارتيريا الشيخ إبراهيم المختار.

2- (3) بحار الأنوار: ج 18، ص 415.

يا رسول الله، دخلت على النجاشي يوماً من الأيام وهو في غير مجلس الملك، وفي غير ريشه وفي غير زيّه، قال: فحيّيته بتحيّة الملك وقلت له: يا أيّها الملك، مالي أراك في غير مجلس الملك وفي غير ريشه وفي غير زيّه، فقال: إنّنا نجد في الإنجيل أنّ من أنعم الله عليه بنعمة فليشكر الله، ونجد في الإنجيل أن ليس من الشكر لله شيء يعدله مثل التواضع، وأنّه ورد علىّ ليلتي هذه أنّ ابن عمّك محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد أظفّره الله بمشركي أهل بدر فأحببت أن أشكر الله بما ترى»(1).

ولا شك أنّ هذه وأمثالها لتشير إلى أنّ الرجل كان قلبه متعلّقاً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبدينه، إلى درجة أنه يعد انتصاره نعمة كبيرة يجب فيها الشكر لله بما يناسبها، كما في الرواية المتقدمة، نعم يمكن أن يكون إعلان هذا الإسلام وإظهاره قد أخره لحين بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكتابه إليه، حيث دعاه إلى الإيمان بالله ورسوله والدين الخاتم.

فقد ذكر اليعقوبي والطبري وغيرهما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتب إلى ملك الحبشة (النجاشي) كتاباً جاء فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى النجاشي عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى؛ أمّا بعد، فاتى أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد

ص:162

أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحسنة، فحملت بعيسى من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاته على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بي، فإني رسول الله، وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت فاقبل نصيحتي، والسلام على من أتبع الهدى»(1).

ولم يمض على إرسال الكتاب إلا مدة وجيزة وإذا بالنجاشي يكتب كتاباً جواباً على كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يجسد فيه أعلى درجات الصدق والولاء للإسلام ولرسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم حيث كتب:

(بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله، من النجاشي الأصحم بن أبجر، سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته، من الله الذي لا إله إلا هو الذي هداني إلى الإسلام؛ أما بعد، فقد بلغني كتابك فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت ثفروفاً(2) ، إنه كما قلت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا، وقد قرينا ابن عمك وأصحابه، فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصداقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين، وقد بعثت إليك يا رسول الله بابني أريحا بن الأصحم بن أبجر، فإني لا أملك إلا نفسي، وإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله، فإني أشهد أن ما تقول حق، والسلام

ص:163

1- (1) اليعقوبي: ج 5، ص 77. الطبري: ج 2، ص 297.

2- (2) ثفروق: بالثاء المثناة المضمومة، بعدها الفاء الساكنة: جمعة ثفاريق، وهي الأقماع - جمع قمع - التي تلزق بالبسر. والبسر هو التمر قبل أن يصير رطباً، واحدته بسرة.

عليك يا رسول الله(1).

وبعث الكتاب إلى رسول الله ومعه هدايا له، حيث نقل المؤرخون أنه أهدى إليه خفين وحله وقارورة طيب وثلاث غزات(2) وهكذا ظل النجاشي الحصن الحصين للإسلام في الحبشة، إلى أن لبي نداء ربه، وقد دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين، وكان يوم وفاته يوم حزن وألم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ففي عيون أخبار الرضا عليه السلام، بإسناده عن آبائه عن علي عليه السلام قال:

(إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أتاه جبرئيل ينعي النجاشي، بكى بكاء حزين عليه وقال: إن أخاكم أصحمة - وهو اسم النجاشي - مات.

ثم خرج إلى الجبانة وكبر سبعاً، فخفض الله له كل مرتفع، حتى رأى جنازته وهو بالحبشة(3).

وقد فهم علماءنا من هذا الذي قام به رسول الله في خصوص الصلاة على جنازة النجاشي وهو بعيد عنه، بأن هذا الأمر مختص بالنجاشي وبما قام به رسول الله، ولا يتعدى إلى غيره، بل القياس كما في الروايات، أي لا بد أن توضع جنازة الميت أمام المصلّي حتى تتم الصلاة عليها، بينما فهمت المدرسة الأخرى أنّ هذا الأمر غير مختص بالنجاشي، بل ويتعداه إلى غيره، فيجوز أن تؤدى صلاة الميت مع عدم وجود جسد الميت أمام المصلّي، وهو ما يعرف بالصلاة على الغائب.

ص:164

1- (1) نفس المصدر.

2- (2) السيرة الحلبية، باب غزوة بدر الكبرى.

3- (3) بحار الأنوار: ج 18، ص 418.

يقول النووي في المجموع: (مذهبنا جواز الصلاة على الغائب عن البلد، ومنعها أبو حنيفة، ودليلنا حديث النجاشي، وهو صحيح لا مطعن فيه، وليس لهم عنه جواب صحيح)(1).

بينما يشترط علماؤنا حسب روايات أهل البيت في صحّة الصلاة على الميت، جملة من الشروط، منها وجود الميت أمام المصلي(2).

مع ابن عم الشهيد

ذكر المؤرخون في كتبهم وفي سير رسول الله، أن ذا مخبر كان ابن أخى الملك النجاشي، هاجر مع أبناء عمه (أولاد النجاشي) إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحسن إسلامه، وقربه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليه، حتى طلب أن يكون خادماً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقبل النبي ذلك، فعاش في أكناف النبوة وألطف الرسالة.

ومما لا ريب فيه أنه قد نال في عمله وخدمته هذه شرفاً عظيماً وأجرأً لا يعلم قدره إلا الله، حيث سخره الله لخدمة سيد الخلق؛ لأنّ خدمته صلى الله عليه وآله وسلم شرف عظيم، وإضافة إلى كل ما تقدم، فقد عد من أصحاب الأحاديث والرواة الموثوقين.

يقول ابن حجر في الإصابة: (ذو مخبر يُقال ذو مخمر الحبشي، ابن أخى النجاشي، وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخدمه، ثم نزل الشام، وله أحاديث)(3).

ص: 165

1- (1) المجموع للنووي: ج 5، ص 211.

2- (2) انظر: منهاج الصالحين للسيد السيستاني: ج 1، ص 107.

3- (3) ابن حجر في الإصابة: ج 2، ح 2471.

ومن الأحاديث التي رواها القوم عنه (رض) فيما يخص الإمام المهدي عج الله تعالى فرجه الشريف، وما يجري من الأحداث قبله، والتي أدخلها بعضهم في روايات الفتن والملاحم، ومنها هذه الرواية، يقول ابن حبان: (أخبرنا الفضل بن الحباب الجمحي قال: حدثنا علي بن المدني قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، عن حسن بن عطية، عن خالد بن معدان، عن جبير بن نفير، عن ذى مخبر بن أخي النجاشي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«ثم تصالحوں الروم صلحاً أمنأً، ثم تغزون أنتم وهم عدوآ من ورائهم، فتنصرون وتغنمون، وتنصرفون حتى تنزلوا برج ذى تلؤل، فيقول قائل من الروم: غلب الصليب، ويقول قائل من المسلمين: بل الله غلب، فيثور المسلم إلى صليبيهم وهو منه غير بعيد فيدقه، وتثور الروم إلى كاسر صليبيهم فيضربون عنقه، ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون، فيكرم الله تلك العصابة من المسلمين بالشهادة، فتقول الروم لصاحب الروم: كفيماك العرب، فيجتمعون للملحمة، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كلّ غاية اثنا عشر ألفاً»(1).

أعمام الشهيد الكربلائی

أشارة

كان للشهيد الكربلائی أعمام كرام، كما هو شأن أبيهم آمنوا وحسن إيمانهم، وتحولوا إلى دعاة إلى الله مع أبيهم منذ اللحظة الأولى، وكل هذه الأوصاف التي تمتعت بها هذه الأسرة التي ينتمى لها الشهيد لتكشف وبشكل

ص:166

1- (1) ابن حبان: ج 15، ص 101 ح 6708. مسند أحمد: ج 4، ص 91.

واضح عن تلك الشخصية، وعلى كل حال، فإنّ المؤرخين ذكروا بأنّ للنجاشي أولاداً؛ ثلاثة منهم متفق عليهم، وواحد ذكره بعضهم، وهم على النحو التالي:

1 - أريحا بن أصحمة

أرسله والده إلى رسول الله مع ستين من رجالات الحبشة ومعه كتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن شاءت الأقدار أن يقبض الله أرواحهم قبل وصولهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حيث عصفت بهم الرياح وهم على السفينة فغرقوا جميعاً.

يقول ابن حجر: (أرمى ويقال أرهى ويقال أريحا بن أصحمة بن أبحر، ولد النجاشي، قال أبو موسى: ذكر الإمام أبو القاسم إسماعيل، يعنى شيخه التيمي في المغازي، أنه في السنة السابعة كتب النبي إلى الملوك وبعث إليهم الرسل، فذكر القصة، وبعث إلى النجاشي عمرو بن أمية قال: فكتب إليه النجاشي الجواب بالإيمان، وفي كتابه: إني بعثت إليك ابني أرمى بن أصحمة... إلى أن يقول: قال: فخرج ابنه في ستين نفساً من الحبشة، في سفينة في البحر فغرقوا كلهم، وهكذا ذكرها أبو موسى عن شيخه بلا إسناد، لكن سمّاه أريحا، والله أعلم(1).

ص:167

2 - عبد الله بن أصحمة بن أبحر النجاشي

ولد في أيام وجود الصحابة بأرض الحبشة، يقول ابن حجر: (عبد الله بن أصحمة النجاشي، ولد النجاشي، ذكر الزبير بن بكار أن أسماء بنت عميس أرضعته مع ولدها عبد الله بن جعفر حتى فطم)⁽¹⁾.

وينقل السهيلي بأن سبب تسمية النجاشي ولده عبد الله، هو تسمية جعفر ولده عبد الله، حيث يقول:

(وكان جعفر قد ولد بأرض الحبشة محمداً وعوناً وعبد الله، وكان النجاشي قد ولد له مولود يوم ولد عبد الله، فأرسل إلى جعفر يسأله كيف أسميت ابنك؟ فقال: أسميته عبد الله، فسَمَّى النجاشي ابنه عبد الله، وأرضعته أسماء بنت عميس امرأة جعفر مع ابنها عبد الله، فكانا يتواصلان بتلك الأخوة)⁽²⁾.

وبما لها من أخوة جمعت بين قلوب لا يمكن لها أن تجتمع إلا من خلال الإيمان بالله سبحانه وتعالى، ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم، ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الأخوة الإيمانية دون الأخوة النسبية؛ لأنَّ الأخوة النسبية قد تكون مع الإيمان وقد لا تكون، بينما لا تجد في الأخوة الإيمانية إلا الله والرسالة والإسلام والدين.

3 - والد الشهيد الكربلائي (أبو نيزر)

إشارة

ترجم له ابن حجر في الإصابة بقوله:

(بكسر أوله وسكون التحتانية المثناة وفتح الزاي المنقوطة بعدها مهملة، ذكره الذهبي مستدركاً وقال: يقال إنه ولد النجاشي، جاء وأسلم، وكان مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مؤنته)⁽³⁾.

وقد ورد في وقت إسلامه وكيفيته، أنَّ أباه النجاشي لمَّا صنع ما صنع به، حيث باعوه إلى تاجر؛ يذكر السهيلي في كتابه الروض الأنف، بأنَّ التاجر كان

ص: 168

1- (1) الإصابة: ج 5، ص 63، ح 6315.

2- (2) الروض الأنف للسهيلي: ج 4، ص 80.

3- (3) الإصابة لابن حجر: ج 7، ح 10654.

عربياً من بنى حمزة، فأخذه معه إلى مكة، وعاش هناك مدة من الزمن ليس بالقليلة (1)، وعلى ما يبدو أنّ ولادة أبي نيزر كانت هناك.

ويبدو لي أنّ هذه الرواية التي يذكرها السهيلي هي الأقرب إلى الأحداث التاريخية التي ذكرها المؤرّخون عن الحبشة وملكها النجاشي، وما جرى عليه، حيث إنّنا من خلال هذه الرواية نستطيع أن نضمن مضيّ مدة ليست بالقليلة على تسلّم عمّ النجاشي الحكم ومقتله بالصاعقة، ومجيء أولاده وحكمهم بعد أبيهم، ومضيّ مدّة على حكمهم، حتى مرج أمر الحبشة وماج، وأيقن الناس أنّ الأمر لا يمكن أن يستمرّ أكثر من ذلك، وأخذوا يبحثون عن النجاشي إلى أن وجدوه في مكة، ثم أخذوه وتوجّوه ملكاً عليهم.

هذه الرواية ربّما تكون هي الأقرب إلى الواقع بحسب ما تقدم من الأحداث، بخلاف تلك التي ذكروها، والتي تقول بأنّ التاجر حينما أخذ النجاشي وأركبه في السفينة، سقطت الصاعقة على عمّه وفي عشية نفس اليوم هاجت السحابة فقتلته، ومرج أمر الحبشة، وتبعوا التاجر حتى أخذوا منه النجاشي.

وحيث إنّ هناك أحداثاً مهمة قد وقعت، فمن غير المعقول أن تكون قد وقعت دون مضيّ مدّة زمنية، ومن ثم فنحن نميل إلى أنّ النجاشي قد ولد له أبو نيزر وهو لا يزال في مكة مولئاً لبني حمزة، كما ذكر هو بنفسه ذلك، ونرجّح كذلك أنّ أبا نيزر لم يرجع مع أبيه إلى الحبشة عندما جاءه الطلب، وظلّ هناك إلى أن سطع نور الإسلام وبانت معالمه، وحصلت الهجرة الشريفة للحبشة، ودخل

ص: 169

النجاشى فى الإسلام، عندها، وفى تلك الحقبه، وجد على بن أبى طالب أباً نيزر فى مكّة مولىً عند بنى حمزة كما كان أبوه، أو ربّما عند آخرين، فعرفه وأعتقه ردّاً للجميل الذى صنعه أبوه مع المسلمين فى الحبشة.

وفى رواية يونس عن ابن إسحاق أنّ أباً نيزر مولى على بن أبى طالب، كان ابناً للنجاشى نفسه، وأنّ علياً وجدته عند تاجر بمكّة، فاشتراه منه وأعتقه، مكافأة لما صنع أبوه مع المسلمين، وذكروا أنّ الحبشة مرج عليها أمرها بعد النجاشى، وأنّهم أرسلوا وفدًا منهم إلى أبى نيزر وهو مع على بن أبى طالب ليملكوه ويتّوجه ولم يختلفوا عليه، فأبى وقال: ما كنت أطلب الملك بعد أن منّ الله علىّ بالإسلام(1).

وفى رواية ثانية، أنّه قدم على أبى نيزر بن النجاشى - وكان على أعتقه - ناس من الحبشة، فأقاموا عنده شهراً ينحروا لهم على بن أبى طالب ويضع لهم الطعام، فقالوا له: إنّ أمر الحبشة قد مرج عليهم، فانطلق معنا نملكك عليهم، وإتّك ابن من قد علمت، فقال: أما إذا أكرمنى الله بالإسلام، ما كنت لأفعل، فلمّا أسوا منه رجعوا وتركوه(2).

ويا له من موقف كريم يعجز البيان عن مدحه أن يعرض الملك والسلطان على إنسان فيرفضه، لا لشيء إلا لأجل الإسلام، حيث لا يريد ملكاً وسلطاناً ما دام قلبه عامراً بحبّ الله ونيّته وأهل البيت عليهم السلام وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على سعة اطلاعه ومعرفته بحقيقة هذه الدنيا الفانية، وعمق بصيرته فيها، فأصبحت لا تساوى شيئاً عنده، وهذه هى سيرة الصالحين والأبرار.

ص:170

1- (1) انظر: معجم البلدان: ج 4، ص 175.

2- (2) انظر: المغازى والسير: ص 221.

ولقد قدّر على ذلك في والد الشهيد، فرّاه وعلمه، وأعطاه كرامة من كراماته التي بقيت حتى يومك هذا، حيث فجر عيناً وأسماءها بعين أبي نيزر، وسلّمها إليه يعمل فيها وكالة عن الإمام أمير المؤمنين بل وكان مسؤولاً حتى عن مواردها المالية التي لم تكن قليلة، فقد أشار المؤرّخون إليها، وإلى البغيغة وهم يتحدّثون عن صدقات على عليه السلام في المدينة وينبع، إشارة إلى أهمّيتها المالية، والتي كانت تصل سنوياً إلى أربعين ألف دينار، كما تحدث هو عليه السلام عنها بقوله:

«وإنّي لأربط الحجر على بطني من الجوع، وإنّ صدقة مالي لتبلغ أربعين ألف دينار»⁽¹⁾.

يقول أبو نيزر كما ينقل ذلك جملة من المؤرخين:

(جاءني على بن أبي طالب وأنا أقوم بالضيعتين، عين أبي نيزر والبغيغة، فقال: هل عندك من طعام؟ فقلت: عندنا طعام لا أرضاه لك، قرع من قرع الضيعة صنعته بإهالة نسخة⁽²⁾)، فقال: علىّ به، فقام إلى الربيع - وهو الجدول - فغسل يده فأصاب من ذلك شيئاً، ثمّ رجع إلى الربيع فغسل يده بالرمّل حتى أنقأها، ثمّ ضمّ يديه كل واحدة إلى أختها، ثمّ شرب بها حساً من الربيع، ثمّ قال: يا أبا نيزر، إن الأكف أنظف الآنية. ثمّ مسح من ذلك الماء على بطنه، ثمّ قال: بن أدخله بطنه النار فأبعده الله. ثمّ أخذ المعول وانحدر إلى العين، فأقبل يضرب فيها، وأبطأ عليه

ص: 171

1- (1) الصحيح من السيرة: ج 8 ص 253، محمد بن سليمان؛ مناقب أمير المؤمنين: ج 2 ص 66؛ حلية الأولياء: ج 1 ص 86؛ السيرة الحلبية: ج 2 ص 473.

2- (2) يعنى بسمن غير جيّد، لسان العرب: ج 3 ص 27.

الماء، فخرج وقد تقضخت جبهته عرقاً، فاستشف العرق من جبينه، ثم أخذ المعول وعاد إلى العين فأقبل يضرب فيها وجعل يهيمهم، فانثالت كأنها عنق جزور، فخرج مسرعاً فقال:

أشهد الله أنها صدقة، على بدواة وصحيفة.

قال أبو نيزر: فعجلت بها إليه، فكتب:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما تصدق به عبد الله على أمير المؤمنين؛ تصدق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيغة، على فقراء أهل المدينة وابن السبيل، ليقى الله وجهي حرّ النار يوم القيامة، ولا تباعا ولا توهبا حتى يرثهما الله وهو خير الوارثين، إلا أن يحتاج إليهما الحسن أو الحسين فهما طلق(1)، لهما ليس لأحد غيرهما(2).

وفى رواية أخرى ذكر فيها أمير المؤمنين أبا نيزر بالاسم، وأنه عامل فى هذا الوقف، وهو حر فى نفس الوقت. يقول العلامة النورى فى مستدرک الوسائل:

(وعن أمير المؤمنين أنه أوصى بأوقاف أوقفها من أمواله ذكرها فى كتاب وصيته، كان فيما ذكره منه:

«هذا ما أوصى به وقضى فى ماله أمير المؤمنين على بن أبى طالب

ص:172

1- (1) طلق: حلال.

2- (2) مناقب أمير المؤمنين لمحمد بن سليمان: ج 2 ص 81، الإصابة: ج 7 ح 10654؛ المغانم المطابة فى معالم طابة للفيروز آبادى: ج 3 ص 968.

ابتغاء وجه الله به... غير أن رباحاً وأبا نيزر وجبيراً عتقاء ليس لأحد عليهم سبيل، وهم موالى يعملون فى المال خمس حجج، وفيه نفقتهم ورزقهم ورزق أهاليهم»(1).

يقول السيد محسن الأمين، بعد أن يورد خبر أبى نيزر وخبر وصية وقف أمير المؤمنين:

(قال محمد بن هشام: فركب الحسين دين فحمل إليه معاوية بعين أبى نيزر مائتى ألف دينار، فأبى أن يبيع وقال:

إنما تصدق بها أبى ليقى بها وجهه حر النار، ولست بأئعها بشىء.

قال: وتحدث الزبيريون أنّ معاوية كتب إلى مروان وهو والى المدينة، وذكر ما مضمونه أنّه كتب إليه يخطب أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر على ابنه يزيد، وأن يرغب له فى الصداق، فقرأ الكتاب على عبد الله فقال: إنّ خالها الحسين يبيع، وليس ممّن يقتات عليه بأمر ما. انتظرني إلى أن يقدم، وكانت أمها زينب بنت على بن أبى طالب عليه السلام، فلمّا قدم الحسين ذكر له ذلك عبد الله، فدخل إلى الجارية فقال: يا بنية، إنّ ابن عمّك القاسم بن محمد بن جعفر أحقّ بك، ولعلّك ترغبين فى كثرة الصداق، وقد نحلّتك البغيغات، فلمّا حضر القوم للإملاك تكلم مروان، فذكر معاوية وما قصده من صلة الرحم وجمع الكلمة، فتكلم الحسين فزوّجها من القاسم بن محمد، فقال مروان: أغدراً يا حسين! فقال:

أنت بدأت، خطب أبو محمد عائشة بنت عثمان بن عفّان، واجتمعنا

ص: 173

1- (1) مستدرک الوسائل للعلامة النورى: ج 14 ح 16089.

لذلك، فزوجتها من عبد الله بن الزبير.

فقال مروان: ما كان ذلك، فالتفت الحسين إلى محمد بن حاطب فقال: أنشدك الله، أكان ذلك؟ قال: اللهم نعم. قال: فلم تزل هذه الضيعة في يد بني جعفر من ناحية أم كلثوم يتوارثونها، حتى ملك المأمون، فذكر ذلك له فقال:

كلا، هذا وقف على بن أبي طالب عليه السلام.

فانتزعها من أيديهم وعوضهم عنها وردّها إلى ما كانت عليه(1).

وفي خبر آخر نقله ابن شهر آشوب، ما مختصره:

(عن عبد الملك بن عمير والحكم والعباس قالوا: خطب الحسن عليه السلام عائشة بنت عثمان، فقال مروان: أزوجها عبد الله بن الزبير، فلما قبض الحسن ومضت أيام من وفاته، كتب معاوية إلى مروان، وهو عامله على الحجاز، يأمره أن يخطب أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر لابنه يزيد، فأخبر مروان عبد الله بذلك فقال: إن أمرها ليس لى إنما هو إلى سيدنا الحسين وهو خالها، فأخبر الحسين بذلك فقال: أستخير الله تعالى؛ اللهم وفق لهذه الجارية رضاك من آل محمد، فلما اجتمع الناس في المسجد، أقبل مروان حتى جلس إلى الحسين وقال: إن أمير المؤمنين معاوية أمرنى أن أخطب أم كلثوم لابنه يزيد، وأن أجعل مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ، وأن الحسين قال له: لعمرى لو أردنا ذلك ما عدونا سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بناته ونسائه وأهل بيته، وهو اثنتا عشرة أوقية، يكون أربعمائة وثمانين درهماً. ثم ذكر حواراً دار بينهما ثم قال الحسين:

ص:174

1- (1) السيد محسن الأمين في كتابه في رحاب أهل البيت تحت عنوان: عين أبي نيزر والبغيغة.

«اشهدوا أنى قد زوجت أم كلثوم من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر على أربعمائة وثمانين درهماً، وقد نحلتهما ضيعتى بالمدينة، أو قال أرضى بالعقيق، وأن غلتها فى السنة ثمانية آلاف دينار»(1).

وفى الإصابة، نقلاً عن المبرد فى الكامل، وهو يتحدث عن أبى نيزر وضيعته أنه كان يقوم بضيعة على فى ينبع، تسمى أحدهما البغيغة والأخرى عين أبى نيزر(2).

ومن كل ما تقدم يتبين أن جلاله الرجل وقربه من أمير المؤمنين، وأمانته، جعله يحظى بثقة الإمام على عليه السلام فىفوض إليه أمر أهم ضيعتين يملكهما الإمام، التى دفع معاوية فى واحدة منهما وهى عين أبى نيزر، قرابة الربع مليون دينار، وفى نفس الوقت أكرمه مرة أخرى بأن خصه بحديث الوقف الذى تقدم، الذى اعتمده فيه دون بقية أصحابه ومعتمديه، ولا شك أن مثل هذا يدل على أنه صاحب منزلة ومقام كريم عند الإمام عليه السلام.

ولقد علق السيد محسن الأمين، بعد ذكره لرواية أبى نيزر المتقدمة، بنقاط مهمة فيها العظة والعبرة، أحببت إيرادها كما ذكرها (رض) فيما يخص قصة مجيئه إلى أبى نيزر فى ضيعته والتماسه الطعام منه، وهى:

1 - غاية زهده بأكله القرع المطبوخ بالودك المتغير الرائحة، ولعله كان بغير خبز، وهى واحدة من كثير مما يدل على غاية زهده.

ص:175

1- (1) انظر: فى رحاب أهل البيت: ج 1 باب عين أبى نيزر والبغيغة للسيد محسن الأمين.

2- (2) المصدر السابق.

2 - استحباب غسل اليدين قبل الأكل.

3 - استحباب غسل اليدين بعده.

4 - قوله: من أدخله بطنه النار فأبعده الله، موعظة بالغة، فأكل الحرام الذى هو لذة ساعة ثم يصير عذرة، إذا كان يوجب دخول النار لا يفعله عاقل.

5 - الحث على العمل والكد بضربه بالمعول حتى تفضخ جبينه عرقاً، واستئنافه الضرب حتى استتبط الماء الغزير.

6 - تأكد استحباب الوقف فى سبيل الخير.

7 - استحباب المسارعة إلى فعل الخير، فلذلك بادر إلى الوقف بدون مهلة.

8 - استحباب الكتابة للوقف وغيره، فلذلك بادر إلى طلب الدواة.

9 - المراد بالصدقة هنا الوقف، وقد سمي الوقف صدق جارية، أى دائمة.

10 - إنَّ الوقف يجوز اشتراط الرجوع فيه عند الحاجة ولا يفسد بذلك، لقوله: إلا أن يحتاج إليهما الحسن أو الحسين فهما طلق لهما إلخ، فجعل ذلك لهما دون باقى ولده، إلا أن الحسين لما فيه من سمو النفس وشرف الطبع لم يرض أن يبيع عين أبى نيزر من معاوية بمائتى ألف دينار، التى تقرب من مائة ألف ليرة عثمانية ذهباً، وقد ركب الدين، لتبقى هذه المكرمة وثوابها لأبيه، وإن رخص له فى بيعها عند الحاجة وقال:

إنما تصدق بها أبى ليقى بها وجهه حرّ النار، ولست بائعها بشىء.

ص:176

تفديك نفسى أبا عبد الله، وأى عمل عمله أبوك يخشى منه لفح النار لوجهه؟! ويمكن أن يريد بقوله: إلا أن يحتاج إليهما الحسن والحسين، الأعم من الحاجة إلى البيع أو إلى غلتها، فلهما أخذها ولا يلزمهما التصديق بها على الفقراء وابن السبيل(1).

ويبدو أن المدة التي عاشها أبو نيزر مع علي عليه السلام لم تكن قليلة، حيث ينقل السيد محسن الأمين بأن علياً اشتراه من تاجر وهو صغير وأعتقه، ثم جاء به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأسلم، وبقي عنده إلى وفاته، فانتقل إلى بيت علي، فصار مع فاطمة وولد هاشم، ثم جعله في الضيعتين(2).

وأزيد على كلامه قدس سره: وتزوج في أيام علي عليه السلام، وأنجب الشهيد الكربلائي، وتربى هو الآخر في أحضان الإمامة والطهر والولاء لمحمد وآل محمد.

ويبدو من خلال الروايات أن أبا نيزر لم يكن أسود كما هو حال أهل الحبشة ومن ينسب إليها، بل كان صاحب بشرة بيضاء، جميل المنظر. يقول ابن إسحاق في سيرته: (قال: حدثني والدي إسحاق بن يسار قال: رأيت أبا نيزر ابن النجاشي، فما رأيت رجلاً قط عربياً ولا أعجمياً أعظم ولا أطول ولا أوسم منه...، ثم يقول: فقلت لأبي: أكان أبا نيزر أسود كسواد الحبشة؟ فقال: لو رأيت لقلت رجل من العرب)(3).

ص: 177

1- (1) المصدر السابق.

2- (2) انظر: في رحاب أهل البيت للسيد أمين تحت عنوان عين أبي نيزر والبغيغة.

3- (3) سيرة ابن إسحاق: ج 2، حديث الهجرة الأولى إلى الحبشة.

لقد أبت غيرة الرجل المؤمن الصادق في إيمانه أن يسكن إلى الدعة والراحة كما سكن إلى ذلك الكثير، وهو الذي عاش في أحضان أهل البيت عليهم السلام الذين لم ينقل التاريخ عن واحد منهم أنه هادن ظالماً أو مالملاً مستكبراً، معاذ الله، هذه الأحضان التي زرعت حب الإسلام في نفسه وعقله وقلبه، كما زرعت في قلب أبيه، حتى وصل هذا الحب إلى درجة عرضت عليه تيجان الملوك فرفضها، فضلاً عن أصالة الأسرة التي ينتمى إليها الشهيد نصر، حيث عرفت في الجاهلية قبل الإسلام، وفي الظلام قبل النور، بأنها كانت ملجأ المظلومين والمحرومين، حيث كانت تنشر العدل في ربوع الأرض، فلقد كان جدّه ملكاً عادلاً لا يظلم عنده أحد.

أقول: لقد أبت كل هذه المعاني السامية التي جسدها شهيد كربلاء، أن يبقى ينظر إلى الظلم الأموى نازلاً على رؤوس المسلمين ولا يحرك ساكناً، أن يرى الحق يصرف عن أهله ولا يرفع صوته بالرفض، فضلاً عن القلب واليد، ولذا كان أول المبادرين إلى الذهاب مع ركب الشهادة، من أجل أن يسير على نهج جده وأبيه في نصرة الإسلام والدفاع عن أهله، ويشترك في جمع الأصحاب في تلك الملحمة الإلهية العظمى، وقبل أن يبدأ القتال تحرك الحسين عليه السلام على اتجاهين أساسيين:

1 - الاتجاه الأول: تعبئة الصفوف وتهيئة عسكره ومن معه للحرب.

2 - حديثه مع جيش عمر بن سعد وموعظته لهم بأن ينزلوا عن غيهم

وطغيانهم، والذي أدى إلى استجابة ذوى البصائر والإيمان منهم، وبينما الحسين كذلك وإذا بالسهم أخذت تترى على مخيم أبى عبد الله الحسين عليه السلام، وإذا بصوت عمر بن سعد(1): اشهدوا لى عند الأمير عبید الله بن زياد أنّى أول من رمى، ثم رمى الناس من حوله.

وبدأت الحملة الأولى، وكان لنصر بن أبى نيزر حصّة الأسد فى حصد رؤوس الكفر والفسوق، حيث قاتل فارساً فكان يصول ويجول فى أوساط المعركة، إلى أن عقرت فرسه وسقط إلى الأرض شهيداً مضمخاً بدمه (رض).

وقد عانقت روحه الحور العين مهللة ومكبّرة، فرحاً بهذا الفوز العظيم، فخرج من الدنيا متشجاً بحلة النصر لسيّد الشهداء عليه السلام، يقول السيد الزنجانى فى وسيلة الدارين: وكان فارساً شجاعاً، فلما كان يوم العاشر من المحرم وشب القتال، استقدم أمام الحسين، فقاتل حتى عقرت فرسه، ثم قتل فى أول القتال من الحملة الأولى(2). فسقط شهيداً إلى جانب جمع من الشهداء الأبرار، فسلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار.

ص:179

1- (1) وسيلة الدارين: 199.

2- (2) انظر: إِبصار العين: ص 72.

إشارة

يحمل الحديث عن هذه الشخصية جملة من النقاط المهمة التي لم يشاركه فيها غيره من شهداء كربلاء، وهذا ما سيتبين لنا من خلال الحديث عنه، ولكننا وقبل أن نلج في سيرته وحياته، نود أن نسلط الأضواء على كلمات الأعلام في حقه (رض).

كلمات العلماء في الشهيد

- 1 - قال المحقق السماوي: «مسلم بن كثير الأعرج الأزدي - أزدشنوة - الكوفي، كان تابعياً كوفياً، صحب أمير المؤمنين وأصيبت رجله في بعض حروبه»(1).
- 2 - وقال النمازي: «مسلم بن كثير الأعرج من أصحاب رسول الله وأمير المؤمنين صلى الله عليه وآله وسلم، وتشرف بشهادة الطف في الحملة الأولى»(2).
- 3 - وقال الزنجاني: وقال العسقلاني في الإصابة: «هو أسلم بن كثير بن قليب

ص:180

1- (1) إِبصار العين: ص 185.

2- (2) مستدركات علم الرجال، للنمازي: ج 7 ص 415 ح 14919.

الصدفى الأزدي الكوفى، له إدراك مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وذكره ابن يونس وقال: شهد فتح مصر فى زمان عمر بن الخطاب»(1).

4 - قال السيد الخوئى:

«مسلم بن كثير الأعرج من أصحاب الحسين، رجال الشيخ. وعده ابن شهر آشوب من المقتولين فى الحملة الأولى، وقد نسب التسليم إليه فى زيارتى الناحية والرجبية»(2).

5 - قال الشهيد المحلى، صاحب الحدائق الوردية، وهو يتحدث عن قتل مع الحسين: «

ومن الأزد مسلم بن كثير

»(3).

الاختلاف فى اسم الشهيد الكربلائى

وبهذا تبين أن الشهيد قد اختلف فى اسمه، حيث ذهب الأكثر، كما هو واضح، إلى أنه مسلم(4).

وقال بعضهم هو أسلم(5)، وهناك من ذهب إلى أن اسمه هو سليمان بن كثير الأزدي(6) وكناد بن كثير(7).

ص: 181

1- (1) وسيلة الدارين: ص 106.

2- (2) معجم رجال الحديث، للخوئى: ج 19 ص 167.

3- (3) الحدائق الوردية: ص 26.

4- (4) كالمحقق السماوى فى إبصار العين، والنمازى فى المستدركات، والخوئى فى المعجم.

5- (5) كما ذهب إلى ذلك الزنجانى فى وسيلة الدارين، وآخرون ولكنهم قلة.

6- (6) كما ذكره الشيخ شمس الدين فى أنصار الحسين: ص 109.

7- (7) المصدر السابق.

وقد ورد في زيارة الناحية التي أوردتها السيد ابن طاووس «السلام على مسلم ابن كثير الأزدي»⁽¹⁾.

وفي الرجبية «السلام على سليمان بن كثير»⁽²⁾.

صحبة الشهيد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

واختلفوا في صحبة الشهيد لرسول الله، حيث ذهب الزنجاني والنمازي⁽³⁾، إلى أنه من أصحاب الرسول، بينما ذهب آخرون إلى أنه تابعي كبير⁽⁴⁾.

الاختلاف في اسم والد الشهيد

كما اختلفوا في اسم أبيه حيث ذهب الأكثر إلى أنه كثير بن قليب الأزدي.

وذهب بعضهم إلى أنه كثير بن مرة الأزدي⁽⁵⁾.

وقال بعضهم: هو كثير بن أبي كثير، وقد مال ابن الأثير⁽⁶⁾، إلى أنه هو نفسه كثير بن قليب، حيث إن اسمه قليب، وأما أبو كثير فكنيته.

ولكنهم اتفقوا على أن والد الشهيد الكربلائي شهد فتح مصر ثم سكن فيها، واتفقوا على صحبته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: 182

1- (1) الإقبال: ص 577.

2- (2) البحار: ج 101 ص 340-341؛ وصاحب الحدائق.

3- (3) المصدر نفسه: رقم 2.

4- (4) إِبصار العين: ص 185.

5- (5) تهذيب التهذيب، حرف الكاف: ص 759.

6- (6) الإصابة: ج 5 ح 7489.

تحدثت كتب التاريخ والحديث عن والد الشهيد الكربلائي وذكرته في مجالات مختلفة، حيث عدّ راوياً ثقةً لأحاديث رسول الله، حيث تؤخذ منه أحكام الشريعة ومفاهيم الدين، وسنذكر بعد قليل ما رواه هذا الصحابي الجليل، وما يحمل في طياته من عظة وعبرة لنا جميعاً، كما ذكر المؤرخون والد الشهيد في قصص الجهاد والبطولة في ساحات الدفاع عن الإسلام والمسلمين، حيث ضرب مثلاً أعلى في الشجاعة والبراعة، لاسيما في الغزوات الإسلامية أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والفتوحات التي جرت بعده صلى الله عليه وآله وسلم، حيث أشار كل من ترجم لهذا الصحابي إلى أنه ممن شهد جملة من المعارك المهمة، خصوصاً فتح مصر ومعركة ذات الصوراى وغيرها، يقول ابن حجر: كثير بن قليب الصدفي الأعرج، ذكره ابن يونس وقال: شهد فتح مصر (1).

والد الشهيد في فتح مصر

ولقد كان للأزد عموماً مشاركات واضحة وأيدٍ بيضاء في هذه الفتوحات، لاسيما والد الشهيد، والدليل على ذلك ما ذكرته الروايات في أسماء الصحابة والتابعين، من الأزد الذين كانوا في هذا الفتح، ومنهم جنادة بن أبي أمية الأزدي، وعبادة بن الصامت، وابن حوالة الأزدي، وأبو فاطمة الأزدي، ومالك بن سلسلة الأزدي، ووالد الشهيد كثير الأزدي وآخرون، بل إن الروايات لتذكر أن هناك أسماء مهمة للغاية في مثل هذه المعارك، أعني فتح مصر، لاسيما معركة بهنسا،

ص: 183

وهي مدينة المنية المشهورة في مصر حالياً، حيث يذكر الواقدي وآخرون أن هناك مجموعة ممن ينتمون إلى بيت النبي صلى الله عليه و آله و سلم شاركوا في هذه المعارك، مثل الفضل بن العباس، وجعفر بن عقيل وهو أحد شهداء كربلاء من آل عقيل، ومسلم ابن عقيل شهيد الكوفة، وعبد الله بن جعفر(1)، ولكن المؤرخين يذكرون في الوقت نفسه أن قائد هذه المعارك هو عمرو بن العاص، حيث نصّب به عمر بن الخطاب على مصر لفتحها، وأمدّه بما يحتاجه من الرجال. يقول الطبري وهو يتحدث عن أحداث سنة عشرين وما جرى فيها من المغازي: ففي هذه السنة فتحت مصر في قول ابن إسحاق... أن عمر حين فرغ من الشام كتب إليها عمرو بن العاص أن يسير إلى مصر في جنده، فخرج حتى فتح باب أليون في سنة عشرين(2).

هل كانت هذه الفتوحات شرعية؟

وهنا ينقدح في الذهن سؤال مهم حول هذه الفتوحات التي جرت، فهل كانت فتوحات شرعية؟ وهل جاءت موافقة لمقاييس الدين وأحكام الشريعة؟

وكيف يا ترى قبل هؤلاء الأجلاء من الصحابة والتابعين، ومن لهم سابقة في الجهاد والعلم والمعرفة، بل وحتى القرابة من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، أن ينضوا تحت لواء هذا الرجل الذي أقل ما يمكن أن يقال عنه هو أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم لعنه وقال:

«اللهم إن عمرو بن العاص هجاني وهو يعلم أني لست بشاعر،

ص:184

1- (1) فتوح الشام: ج 1 ص 5.

2- (2) تاريخ الطبري: ج 2 ص 512.

فاهجه اللهم والعنه عدد ما هجاني(1)!

وإذا ما أردنا أن نوسع دائرة السؤال فنقول: كيف نفسر اشتراك الحسن والحسين(2) ومالك الأشتر وسلمان وعمار في هذه التفوحات، والتي ربما وطدت أركان الظالمين؟

وإذا كان الجواب هو أنهم تحركوا على أساس حفظ بيضة الإسلام، فلم لم يشترك الإمام أمير المؤمنين في تلك المعارك لحفظ بيضة الإسلام كذلك؟

وقبل أن ندخل في الجواب عن هذا السؤال المهم الذي ربما يختلج في صدر كل مؤمن موال لأهل البيت عليهم السلام، ويودّ لو أنه يجد جواباً شافياً له، يجمع بين ما نعتقده من أن المتقدم على أمير المؤمنين هو غاصب وظالم ولا تجوز معاونته، وبين الواقع الذي ينقله التاريخ لنا من انضواء هؤلاء الأجلاء المشار إليهم تحت ألوية الظالمين.

أود الإشارة إلى أنني قد بذلت ليالي طوالاً أفكر في هذه الإجابة، وكلما بان لي معالم معينة أزالتها أخرى بما تحمل في طياتها من متناقضات لا تجتمع مع سابقتها، فقرأت الكثير في هذا المجال، وسألت من العلماء من استطعت أن أجد إليه سبيلاً، ولم أجد شيئاً يمكن أن يشفي غليل السائلين، وهنا ومن هذه النقطة بالذات بدأت أفكر وأقول في نفسي: لم يا ترى لا نجتمع بين هذه الأجوبة، فنأخذ منها ما يمكن قبوله، ونضيف إليه ما نعتقده من صلاح هؤلاء الأجلاء وزهدهم وتجردهم وحكمتهم ونظرهم البعيد، فنخرج بإجابة تكون أكثر قدرة

ص: 185

-
- 1- (1) ميزان الاعتدال للذهبي: ج 3 ص 318، استدلال ابن العربي في أحكام القرآن: ج 1 ص 75.
2- (2) حياة الإمام الحسين للقرشي، نقلاً عن الطبري: 1 ص 175؛ الكامل لابن الأثير: ج 3 ص 109.

على فهم الواقع التاريخي، وفي نفس الوقت تنسجم مع ما نحمل من عقيدة في ضلال وانحراف من خرج عن خط الولاية الإلهية، فجاءت الإجابة عبارة عن مجموعة من النقاط وهي:

1 - لقد كان أئمة أهل البيت عليهم السلام من حيث المبدأ يؤمنون بأن الفتوحات الإسلامية أمر مهم، وأن نشر الإسلام وتبليغه واجب على كل مسلم ومسلمة، ولكن السؤال الذي يطرح في هذا المجال هو: هل أن المراد من الفتوحات الإسلامية هو نفس تلك الفتوحات؟ وبعبارة أخرى، هل أن الهدف من ورائها هو فتح الأراضي وضمها إلى أرض الإسلام وزيادة عدد المسلمين بالاسم فقط؟ أو أن الهدف الحقيقي يكمن في إيصال مبادئ الإسلام وقيمه الحقيقية إلى الناس، ودعوتهم للإيمان بها والتحرك على أساسها، بحيث يتحول الإنسان تحولاً جذرياً من شخص لا يعرف إلا نفسه، إلى شخص آخر يهتم بأمور المسلمين، بل والناس، ويشعر بالاهتمام ومحبتهم، سواء كانوا قريبين أم بعيدين عنه، وهذا ما لم يتحقق من خلال الفتوحات الشكلية التي قام بها حكام الجور. وإذا كان هذا هو منطلق القرآن الذي يقول:

«الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ» ، ويقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۗ» .

حيث يعتنى بالنوع دون الكم، فإن أئمة أهل البيت عليهم السلام أولى باتباع القرآن لأنهم حملة القرآن، وهم أعرف به من غيرهم.

2 - ولكننا في ذات الوقت لا نقول هذا الكلام على نحو مطلق، فهناك من الحروب والفتوح ما كان مهماً بحد ذاته، بغض النظر عن الاعتبارات الأخرى، بل كانت كل الظروف والأحوال المحيطة بالإسلام والمسلمين آنذاك تدعو إليها، فكانت أشبه بالحروب الدفاعية التي خاضها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حياته، وهذه الفتوحات دعا إليها أئمة أهل البيت عليهم السلام وشاركوا فيها، ودعوا أتباعهم وأشياعهم إليها.

وربما في هذا القسم بالذات دون غيره وردت تلك الروايات من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للتبشير في فتح بعض المناطق دون غيرها، حيث خصت بالاسم، كما وردت نفس هذه الروايات في باب الملاحم والفتن فيما يجرى آخر الزمان وقبيل خروج الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، ومنها قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إنكم ستفتحون مصر...، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحماً»⁽¹⁾.

إن مشاركة الأئمة عليهم السلام وأتباعهم في أمثال هذه الحروب له مغزى آخر يعود إلى الخوف على الإسلام، من حيث أن القائمين على هذه الحروب والفتوح لو تركوا وشأنهم فستحدث أشياء منكرة كثيرة، فكانت مشاركتهم مشاركة رسالية لا عسكرية، ولذا لا تجد لهم قصصاً واضحة وكبيرة في الشجاعة يشار إليها بالبنان، وإن أبلوا بلاء حسناً، لأن الهدف الأساس إنما هو منع الانحراف ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. ولهذا فإن حرمة العمل تحت راية الظالمين وإعانتهم

ص: 187

1- (1) شرح صحيح مسلم، للنووي: ج 16 ص 97.

تسقط في مثل هذا المورد، من باب تقديم الأهم على المهم.

4 - إن عدم إذن الإمام بالغزو دليل على عدم مشروعيته، مما يترتب عليه عدم حلية التصرف بالغنيمة، كما في قول الإمام الصادق عليه السلام:

«إذا غزا قوم بغير إذن فغنموا كانت الغنيمة كلها للإمام عليه السلام وإذا غزوا بإذن الإمام كان للإمام الخمس»⁽¹⁾.

والتي يقول عنها المحقق: ومضمون هذه الرواية مشهور عند الأصحاب مع كونها مرسلة، وجهالة بعض رجال سندها⁽²⁾.

مع روايات والد الشهيد

أولاً: مع موعظة والد الشهيد

لقد منَّ الله على والد الشهيد الكربلائي أن هياً له أصحاباً كانوا غاية في الالتزام بتعاليم الشريعة واتباع السنن النبوية، فكانوا مصداقاً لأولئك الذين دعانا الله للاقتداء بهم والسير على نهجهم، ومن هؤلاء الذين تركوا بصمات واضحة على حياة والد الشهيد فضلاً عن الشهيد نفسه، هو الصحابي الجليل أبو فاطمة الأزدي، هذا الرجل الذي كان كثير الأزدى ملازماً له ولا يكاد يبتعد عنه إلا ضمن دائرة الضرورة، فكان ملازماً له ملازمة الظل للشخص، ولم يكن لأبي فاطمة الأزدي أن يعطى كل هذا الأثر لولا صدقه، فالذي يصاحبه ويماشيه ويجالسه يلمس ويرى صدقه في دينه، فكان العالم العامل بحق، وكان إذا سمع موعظة عمل بها وما كان

ص: 188

1- (1) التهذيب، حقل الأنفال: ص 133 ح 373.

2- (2) قاطعة اللجاج في تحقيق حل الخراج: ص 56.

ليأمر إلا بما أتاه هو أولاً ولا ينهى عن شيء إلا وقد نهى نفسه أولاً، فقد عُرف الرجل عند الخاص والعام بكثرة سجوده، وتعفيره لخديه على الأرض، حتى أن ابن حجر ينقل في الإصابة وهو يتحدث عن أبي فاطمة الأزدي قائلاً: وقد اسودت جبهته وركبته من كثرة السجود(1).

وما كل هذا إلا لأنه سمع من النبي رواية نقلها لنا والد الشهيد الكربلائي حول أهمية السجود وفضله ومنزلته عند الله سبحانه وتعالى، حيث ينقل ابن سعد في الطبقات قال: حدثنا بن لهيعة عن الحارث بن يزيد الحضرمي، عن الكثير الأعرج (والد الشهيد الكربلائي) عن أبي فاطمة، وهو من أصحاب رسول الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أكثروا من بعدى من السجود، فإنه ما أحد يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة في الجنة، وحط عنه بها خطيئة»(2).

وهذه الرواية من والد الشهيد الكربلائي، درس لنا جميعاً في أن نعي حقيقة السجود وما يترتب عليه من آثار، بل ربما يكون ذلك مفتاحاً لمعرفة أسرار كلمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتي ينقلها العام والخاص في آخر جمعة من شهر شعبان حينما يقول: «ألا وإن أظهركم مثقلة فخففوا عنها بكثرة السجود»(3). بل لقد ورد في بعض الروايات أن كثرة السجود تعين الإنسان على دخول الجنة، فقد ورد في الخبر أن قوماً أتوا رسول الله فقالوا: يا رسول الله اضمن لنا على ربك الجنة؟ فقال

ص: 189

-
- 1- (1) الإصابة: ج 7 ح 10378 أبو فاطمة الأزدي.
 - 2- (2) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 7 أبو فاطمة الأزدي.
 - 3- (3) كتاب الأربعين للشيخ البهائي: ح 9.

لهم الرسول: «على أن تعينوني بطول السجود»⁽¹⁾.

وفى رواية أخرى وقد سأل أحدهم عن رفقته فى الجنة فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا أردت أن يحشرك الله معى فأطل السجود بين يدي الواحد القهار»⁽²⁾.

ولا- شك أن المراد من السجود هو أن يقترن بسجود روحى قلبى باطنى حقيقى لله سبحانه وتعالى، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «السجود الجسمانى، هو وضع عتائق الوجوه على التراب، واستقبال الأرض بالراحتين والكعبين وأطراف القدمين، مع خشوع القلب وإخلاص النية»⁽³⁾.

ثانياً: لا يجب الوضوء مما مست النار

ينقل ابن الأثير فى أسد الغابة⁽⁴⁾ رواية عن والد الشهيد الكربلايى قائلاً:

«روى ابن وهب، عن حياة بن شريح قال: سألت عقبة بن مسلم، عن الوضوء مما مست النار فقال: إن كثيراً (والد الشهيد الكربلايى) وكان من أصحاب رسول الله يقول: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوضع الطعام لنا فأكلنا، ثم أقيمت الصلاة، فصلينا ولم يتوضأ».

هذه الرواية التى أوردها والد الشهيد وأمثالها، وردت فى كتب المسلمين، ويبدو من خلال مراجعة كتب الفقه والحديث أن هناك رأيين فقهيين، كل منهما مستند إلى مجموعة من الروايات، رأى يرى الوضوء مما مسته النار، يعنى لو أن

ص: 190

1- (1) أمالى الطوسى: ج 2 ص 277.

2- (2) عيون أخبار الرضا: ج 2 ص 7.

3- (3) غرر الحكم: ص 2210.

4- (4) أسد الغابة (حرف الكاف) كثير الأزدى.

إنساناً أكل لحماً مطبوخاً بالنار، لا بد له أن يتوضأ بعده، لأن الحال هذه سيكون واحداً من مبطلات الوضوء ونواقضه، ومن هذه الروايات التي استدلوا بها على رأيهم رواية جابر عن النبي، حينما سأله: أتتوضأ من لحوم الغنم؟ قال: إن شئت (1).

وأما الرأي الآخر، وهو الذي لا يوجب الوضوء من لحم الغنم، ويستدل عليه بروايات، منها نفس الرواية المتقدمة عن جابر؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن شئت ورواية البراء حينما سأله عن لحوم الغنم أيتوضأ منها؟ قال: لا يتوضأ» (2).

وهناك من استدل على أن أكل ما مسته النار ناقض للوضوء، إذا كان ما مسته النار لحم الإبل لا مطلق اللحم، وقد ذهب إلى هذا الرأي أحمد بن حنبل، وابن حزم من الظاهرية (3)، والغريب المضحك في نفس الوقت أن جملة استدلالات من ذهب إلى هذا الرأي هو قوله: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يخطب ذات يوم، فخرج من أحدهم ريح، فاستحيا أن يقوم بين الناس وكان قد أكل لحم جزور، فقال رسول الله: من أكل لحم جزور فليتوضأ، فقام جماعة كانوا أكلوا من لحمه فتوضؤوا. وقد رد الألباني هذه القصة، وأنه لا أصل لها (4)، وهناك من المسلمين من لم ير هذا الرأي، لا في لحم الغنم ولا في لحم الإبل ولا بما مسته النار مطلقاً، فقد ورد في موسوعة الفقه المقارن قوله:

ص: 191

1- (1) صحيح مسلم: ص 360.

2- (2) صحيح أبي داود: ص 184.

3- (3) موسوعة الفقه المقارن: ج 1 ص 204.

4- (4) الألباني في السلسلة الضعيفة: ج 3 ص 268.

يرى الحنابلة وابن حزم من الظاهرية، أن الوضوء ينتقض بأكل لحم الجزور، أى الإبل فعلى من أكل منه أن يتوضأ، ويرى الأحناف والمالكية والزيدية والإمامية، والشافعية فى المعول عليه عندهم أنه لا ينتقض الوضوء بأكله(1).

ومن هنا نعرف أن رواية والد الشهيد جاءت موافقة لرأى الإمامية بالإطلاق الذى تحمله، حيث لم تشر إلى أى لحم كان، مما يدل على أن كل ما مسته النار لا يجب فيه الوضوء.

الشهيد مع أمير المؤمنين

لقد وقف الشهيد الكربلائى موقفاً ثابتاً راسخاً إلى جانب الإمام أمير المؤمنين، فى مرحلة تعتد من أشد المراحل حرجة، وهى المرحلة التى تسلم فيها أمير المؤمنين الخلافة، حيث انتفض عليه من باع آخرته بدنياه وغرته الحياة الدنيا.

أم سلمة وقيمة من ثبت مع على فى الجمل

ولقد أشارت أم سلمة، هذه المرأة العظيمة، إلى هذا الأمر وإفرازاته، وخصوصاً حرب الجمل، كما يروى البغدادي فى تاريخه قائلاً:

عن أبى ثابت مولى أبى ذر قال: دخلت على أم سلمة فرأيتها تبكى تذكر علياً، وقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«على مع الحق والحق مع على، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض

ص:192

ويبدو أن هذا الأمر من أم سلمة كان في حرب الجمل، لأن نفس أبي ثابت يقول: التفتت إلى أم سلمة وقالت: يا أبا ثابت، أين طار عقلك حين طارت القلوب مطيرها؟ قال: تبع علياً، قالت: وفقت، والذي نفسى بيده لقد سمعت رسول الله يقول:

«على مع الحق والقرآن والقرآن والحق مع على، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض»(2).

ولا شك أن هذه الكلمات من أم سلمة لتكشف وبشكل واضح عن صعوبة تلك المرحلة وخطورتها، وقيمة من ثبت فيها إلى جانب الحق والقرآن، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولقد بين أمير المؤمنين هذه المرحلة بطريقته الخاصة، والتي أشار فيها إلى أمر له ألوان متعددة من الفتنة، في قوله:

«دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول»(3).

ولأجل أهمية هذه المرحلة، بل أهمية حرب الجمل وما جرى فيها، استدلل المسلمون جميعاً، سنتهم وشيعتهم، على أحكام البغاة فيها، لأنها كانت الحرب الأولى في الإسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(4)، ويكفي في عظم هذه الحرب أنها أسالت دماء عشرات الآلاف. يقول ابن عبد ربه: قتل يوم الجمل من جيش عائشة

ص: 193

1- (1) تاريخ بغداد: ج 14، حديث رقم: 7643.

2- (2) ربيع الأبرار للزمخشري: ج 1 ص 828.

3- (3) نهج البلاغة: خطبة رقم 88 محمد عبدة.

4- (4) فيض الغدير: ج 6 ص 474.

عشرون ألفاً، ومن أصحاب علي خمسمائة(1).

ويقول الطبري وهو يتحدث عن هول هذه المعركة وما جرى فيها.

لما كان يوم الجمل ترامينا بالنبل حتى فريت، وتطاعنا بالرماح حتى تشبكت في صدورنا وصدورهم، حتى لو سيرت عليها الخيل لسارت...، ولقد كانت الرؤوس تندر عن الكواهل، والأيدى تطيح عن المعاصم، وأقتاب البطون تندلق من الأجواف، وكانت حصيلة هذه الحرب من الأيدى المقطوعة، والعيون المفقوءة، ما لم يحص عددها(2).

فإذا عرفت كل هذا، عرفت قيمة من ثبت مع علي عليه السلام، وعرفت ولاءه ومعرفته به، ولقد أبدى شهيدنا الكربلائي شجاعة متميزة في هذه الحرب العظيمة، حتى أصيبت إحدى رجليه في هذه الحرب، فصار بعدها يعرج.

يقول السيد الزنجاني: وقال أحمد بن داود الدينوري في كتابه الأخبار الطوال: أسلم بن كثير، أصيبت إحدى رجليه في حرب الجمل، ورماه عمرو بن ظبة التميمي بسهم علي ساقه فجرحه(3).

ويقول السماوي في نفس الخبر، وهو يتحدث عن الشهيد: صحب أمير المؤمنين، وأصيبت رجله في بعض حروبه(4).

ومع كل ما جرى وحصل، خرج الشهيد ثابتاً في إيمانه وولائه لأهل

ص:194

1- (1) العقد الفريد: ج 4 ص 226.

2- (2) تاريخ الطبري: ج 5 ص 218.

3- (3) وسيلة الدارين: ص 106.

4- (4) إِبصار العين: ص 143.

البيت عليهم السلام، لاسيما الإمام أمير المؤمنين، وإذا سألتني عن الدليل، فأقول بأن أعظم دليل قدمه الشهيد هو وقوفه عملياً إلى جانب الحسين عليه السلام في حرب محسومة النتائج، حيث الشهادة لا غير، وهذا لعمري دليل ما بعده دليل، على صدق الولاء وثبات العقيدة ورسوخ الإيمان، في نفس الشهيد الكربلائي، مع الإمام أمير المؤمنين في حرب الجمل وغيرها من الحروب التي خاضها، والتي كان يتمنى في كل واحدة منها الشهادة بين يديه.

لقد كانت الحروب التي خاضها الشهيد، لاسيما الجمل، كونها أول حرب خاضها المسلمون في دائرة الإسلام، الدور الأكبر في وضوح الرؤية.

فرز الأبطال، وبعبارة أخرى أقول: إن من نجح في الثبات في حرب الجمل نجح في غيرها، ومن سقط فيها سقط في غيرها، ولقد كان للشهيد الكربلائي في حرب الجمل دور متميز، أهله فيما بعد لأن يدخل مدرسة كربلاء، والتي لم يدخل إليها إلا من امتحن الله قلبه ولذا نجد الحسين عليه السلام يصفى أصحابه بين الفينة والأخرى، حتى استقر العدد على ما استقر عليه في كربلاء، وذهب الآخرون:

«فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ 1» .

فمكث في كربلاء الذي ينفع الناس، وذهب الزبد جفاءً، وفي ذلك أعظم الدروس وأبلغ العبر:

«كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ 2» .

تقدم فيما سبق، أن الشهيد الكربلائي كان قد سقط جريحاً في معركة الجمل، بعد أن أصيب برجله، والتي صار بعدها أعرج، ويبدو أن عرجه لم يكن بسيطاً حتى أخذ الناس يعرفونه به، وحتى من كتب عنه صار يقرن النسب مع صفة العرج، فيقول: الأزدي الأعرج.

العرج عذر شرعي

وعذر الأعرج في عدم الذهاب إلى الجهاد ورد صريحاً في القرآن الكريم، بل والنص فيه لا يحتمل التأويل، يقول الله سبحانه وتعالى:

«لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ ۚ» .

يقول ابن كثير في تفسيره، وهو يتحدث عن الآية الكريمة: «ثم بين الله تعالى الأعذار التي لا حرج على من قعد معها عن القتال، فذكر منها ما هو لازم للشخص لا ينفك عنه، وهو الضعف في التركيب الذي لا يستطيع معه الجهاد في الجهاد، ومنه العمى والعرج ونحوهما، ولهذا بدأ به»⁽¹⁾.

يقول الشيخ الطبرسي في مجمع البيان، في تفسير نفس الآية: وثالثها - إن المعنى، ليس على الأعرج والمريض، ضيق ولا إثم في ترك الجهاد والتخلف عنه⁽²⁾.

ص: 196

1- (2) تفسير ابن كثير: ج 2 ص 381.

2- (3) مجمع البيان، تفسير الآية: 61 من سورة النور.

فإذا عرفت هذا، واطلعت على آراء المسلمين، بسنتهم وشيعتهم، وثبت لك أن العرج واحد من الأعذار التي يسقط معها التكليف بالجهاد، وهو عذر مقبول عند الله، ولا حرج ولا إثم عليه، كما ذكر سابقاً، علمت عظمة الموقف الذي وقفه الشهيد في كربلاء، حيث كان بإمكانه أن يتخلف عن الجهاد، ويكون تخلفه تخلفاً شرعياً مأذوناً فيه، ولكنه أبى إلا الجهاد والوقوف إلى جانب الحسين عليه السلام، وعدم الأخذ بهذه الرخصة التي ربما تمنعه من الوصول إلى درجات عالية كان يتمنى أن يصل إليها في حروبه وغزواته السابقة، فيكون موقف الشهيد أشبه ما يكون بموقف الصحابي الشهيد عمرو بن الجموح، والذي تنقل كتب التاريخ أنه كان شديد العرج، وكان له بنون أربعة مثل الأسود، يشهدون مع رسول الله المشاهد كلها، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه، وقالوا له: إن الله عذرك عن الجهاد، فأتى رسول الله فقال: إن بني يريدون حبسى عن هذا الوجه والخروج معك فيه، فوالله إنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه فى الجنة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أما أنت فقد عذرك الله تعالى، فلا جهاد عليك» وقال لبيته: «ما عليكم ألا تمنعوه، لعل الله أن يرزقه الشهادة»، فخرج وهو يقول، مستقبل القبلة: «اللهم لا تردنى إلى أهلى خائباً، فقتل شهيداً(1)». وفى بعض الروايات أنه جاء إلى رسول الله وقال له: يا رسول الله، رأيت إن أنا قتلت فى سبيل الله حتى أقتل، أمشى برجلى هذه صحيحة فى الجنة؟ وكانت رجله عرجاء، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «نعم»، فخرج إلى القتال فقتل، هو وابن أخيه ومولى لهم، فوضعهم رسول الله فى قبر واحد وترحم عليهم(2).

ص: 197

1- (1) سيرة ابن هشام: ج 2 ص 90.

2- (2) الإصابة لابن حجر: ح 5801.

الشهيد مسلم والشهيد عمرو بن الجموح

وكان الشهيد الكربلائي في توجهه وتفكيره كما كان عليه عمرو بن الجموح، فأبى أن يركب هذا القدر ويفوته بذلك خلود عظيم في قلوب المؤمنين إلى يوم القيامة، فضلاً عن الآخرة ونعيمها، فقرر أن يطأ بعرجته الجنة، ولكنها هذه المرة إلى جانب الحسين عليه السلام، تقول الروايات، إنه وصل إلى الحسين في اليوم الثاني من المحرم، سنة 61 هـ - (1)، بعد أن وقف إلى جانب مسلم بن عقيل في حركته التي قام بها في الكوفة، وكأني به وقد وصل إليه وهو يعرج، فتلقاه الحسين واستقبله وضمه إلى صدره، وقدر له كل الجهد الذي بذله من أجل الوصول إليه، وهو بهذه الحالة التي يصعب معها السير الطبيعي فضلاً عن الحركة السريعة التي تقتضيها ظروف الكوفة وأحوالها في ذلك الظرف الخاص.

الشهيد في كربلاء

وبدأت الحرب، ووقف مسلم بن كثير مع إخوته في العقيدة والمبدأ والمالاة لأهل البيت عليهم السلام، الرافضين للظلم الأموي السفيناني، وقفوا وقفة رجل واحد، لم ترعهم كل تلك الآلاف التي وقفت أمامهم وهم مدججون بالأسلحة وبدأت رشقات السهام من كل تلك الآلاف صوب أنصار الحسين، وهم ثابتون كالجبال لم يتزلزلوا، وأغلب الظن أنهم كانوا ينتظرونها بفارغ الصبر، شوقاً إلى الحور العين وإلى الجنان ومرافقة النبيين، حيث جاءتهم هذه السهام وكانت رسل القوم إليهم، كما قال الحسين عليه السلام بعد أن رأى أصحابه يتساقطون ما بين شهيد وجريح.

ص: 198

يقول أسعد وحيد القاسم في كتابه أزمة الخلافة والإمامة: وهكذا فقد كان اشتباك الطرفين في العاشر من المحرم، بعد أن تقدم عمر بن سعد نحو معسكر الحسين، ورمى بسهم وقال: اشهدوا لي عند الأمير أني أول من رمى، ثم لحقه في ذلك رجاله، فلم يبق من أصحاب الحسين أحد إلا أصيب من سهامهم، فقال الحسين لأصحابه:

«قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لا بد منه، فإنّ هذه السهام رسل القوم إليكم».

فحملوا حملة واحدة أدت إلى استشهاد العديد منهم(1).

وكان من بين أولئك الذين سقطوا على رمضاء كربلاء، الأعرج الذي أبقى إلا الجهاد بين يدي سيد الشهداء، مسلم بن كثير الأزدي فسلام عليك أيها المجاهد الناصر، المحب لله ولرسوله، والمدافع عن حرمة الرسالة ومقدسات الوحي، والسلام عليك سيدي وعلى قدمك العرجاء التي رفعت ذكرك في الذاكرين، حيث أصبت فيها في الجمل، ووقفت بها أمام الحسين مدافعاً، سلام عليك وعلى روحك وبدنك ورحمة الله وبركاته.

ص:199

1- (1) كتاب أزمة الخلافة والإمامة، لأسعد وحيد القاسم: ص 135-136.

(شهاد الحركة الحسينية الأول)

بين يدي الشهيد

إن مما لا شك فيه ولا ريب، أنّ من سقطوا أمام الحسين يوم العاشر من المحرم أو قبل ذلك في الكوفة مع مسلم بن عقيل عليه السلام، أو حتى في البصرة، لم يكونوا مجرد شهداء سقطوا مضرجين بدمائهم في سبيل إعلاء دين الله سبحانه وتعالى (وإن كان هذا الأمر عظيماً في حدّ ذاته)، إنما كان كل واحد منهم في الوقت نفسه يحمل في نفسه الشريفة وعقله النير وقلبه الإيمانى، مشروعاً إسلامياً متكاملأ في كل الأبعاد والاتجاهات ألا وهو مشروع الحسين عليه السلام الذى حمله لهذه الأمة المنكوبة والتي ترزح تحت نير الظلم والجور من قبل حكام بنى أمية ومن والاهم. ومن هنا نجد أن فى شهداء كربلاء من كان مفسراً للقرآن ومن شيوخ الإقراء فى مسجد الكوفة، وهناك الفقيه العارف وهناك الحامل للحديث

والراوى له، فضلاً عن التقوى والأخلاق ومجمع الكمالات والفضائل التي تحلّوا بها. ولقد أشار الإمام الصادق عليه السلام إلى بعض جوانب العظمة فيهم بقوله في زيارته لهم:

«السلام على الأرواح المنيخة بقبر أبى عبد الله الحسين عليه السلام عليكم يا طاهرين من الدنس. السلام عليكم يا مهديون، السلام عليكم يا أبرار الله السلام عليكم وعلى الملائكة الحافين بقبوركم أجمعين، جمعنا الله وإياكم فى مستقر رحمته وتحت عرشه إنّه أرحم الراحمين»⁽¹⁾. ولا ريب أن من جملة هؤلاء الشهداء الذى شُملوا بهذا الفضل العظيم والذكر الكريم هو الشهيد أبو رُزين، الذى كان أول المضحين والفدائين فى حركة الحسين عليه السلام، كما سيأتى بيانه بعد ذلك إن شاء الله تعالى.

الاختلاف فى اسم الشهيد وأسم ابيه وفى مولاه

ربما يكون الاختلاف الشديد الوارد فى اسم هذا الشهيد الكربلائى واسم ابيه وحتى كنيته ومولاه، هو واحداً من جملة الأمور المميّزة له «عن غيره من الشهداء، فلم أجد بحسب تتبعى من كان فى شهداء الطف أو من يلحق بهم ممن سقط فى الكوفة أو البصرة من ورد فيه مثل هذا الاختلاف الشديد، وحتى يكون القارئ على علم واطلاع بما كتب ويكتب عن هذا الشهيد الكربلائى سوف أضع بين يديك ما كتبه العلماء فى هذا المجال:

ص: 201

1- (1) مفاتيح الجنان: زيارة الحسين فى النصف من رجب: ص 648.

1 - إن اسم الشهيد هو «أسلم أو سليم» كما أشار إلى ذلك الشيخ الطوسى فى رجاله بقوله: «سليم مولى الحسين عليه السلام، قتل معه» (1) والشيخ شمس الدين بقوله: «أسلم... مولى الحسين عليه السلام» ثم يرجح الشيخ شمس الدين رحمه الله أن أسلم غير سليمان وإن كان كلُّ منهما مولى للحسين وإن كلاً منهما نال الشهادة أيضاً إلا أن الأول نالها بين يدي الحسين والثانى نالها بعيداً عنه فى البصرة، يقول: «نرجح أن الذى قتل فى كربلاء اسمه أسلم وليس سَلِيمَان أو سَلِيمَاً. ذكره الشيخ فى الرجال، ولم ينص على مقتله. وذكره السيد الأمين فى أعيان الشيعة فى جدولته، وفى المقتل قال: "وخرج غلام تركى كان للحسين اسمه أسلم" وذكر سيّدنا الاستاذ فى معجم رجال الحديث، ومن المؤكد أن هذا هو مراد الذين عبروا ب - "ثمّ خرج غلام تركى كان للحسين" دون أن يذكروا اسمه. وأما سَلِيمَان فقد كان مولى للحسين أيضاً. وكان رسولاً إلى أهل البصرة...» (2).

سليمان مولى الحسين ليس اسماً شاذاً

تحدث الشيخ محمد مهدى شمس الدين فى كتابه القيم أنصار الحسين عليه السلام، حول ورود الاسماء الشاذة فى الزيارة الرجبية لاسيما اسم (سليمان) الذى ورد فى هذه الزيارة خمس مرات مع أنه لم يكن اسماً عربياً شائعاً فى تلك الحقبة ومن ثمّ تكون مثل هذه الظاهرة سبباً من أسباب التشكيك فى دقة مؤلف

ص: 202

1- (1) رجال الشيخ الطوسى: ص 74.

2- (2) أنصار الحسين للشيخ شمس الدين: ص 81 / مؤسسة دار الكتاب الإسلامى.

هذه الزيارة أو دقة مصادره التي أخذ منها، ولكنه في نفس الوقت لا ينفي وجود أسماء قليلة يمكن أن يتسمى بها كسليمان مولى الحسين عليه السلام الذي ورد لمرة واحدة في الزيارة الناحية والذي يتناسب مع الحالة الثقافية السائدة آنذاك، يقول الشيخ شمس الدين رحمه الله تعالى: «فإن هذا الاسم «سليمان» لم يكن شائعاً بين المسلمين العرب بين رجال النصف الأول من القرن الأول الهجري ويمكن التأكد من ذلك بملاحظة فهارس أعلام تاريخ الطبري مثلاً، واستقراء هذا الاسم في الرجال الذين ذكرهم رواة الطبري في أحداث الفترة التي نبحث عنها، وسنجد حينئذ أن هذا الاسم محدود الانتشار جداً، وكذلك الحال بالنسبة إلى كتاب صفين لنصر بن مزاحم الذي اشتمل فهرست كتابه على تسعة رجال بهذا الاسم ليس فيهم أربعة رجال معاصرين للحقبة التاريخية التي وقعت فيها ثورة كربلاء. وسبب ذلك أن الاسماء تتصل بالتكوين الثقافي والوضع الحضاري للأمة وهي من السمات الثقافية التي لا تتغير بسرعة، بل تتغير ببطء شديد، والتغير يتم نتيجة لتغير المفاهيم الثقافية عند الأمة، هذه المفاهيم التي تحمل الأمة على أن تستجيب في عاداتها وتقاليدها وأسمائها ومئات من مظاهر حياتها البسيطة والمعقدة.

وقد واجه العرب هذا التغيير الثقافي الشامل حين دخلوا في الإسلام وكان من جملة عناصر العالم الثقافي الجديد الذي دخلوا في أسماء جديدة وردت في القرآن الكريم، وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تتناسب مع الفكرة العامة للمعتقد الإسلامي أو تتصل بالتاريخ القديم للإسلام في الصيغ السابقة على هذه الصيغة الخاتمة التي أرسل بها خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقد كان هذا اللون الثاني من

الاسماء الإسلامية موجوداً في الصيغ الشائعة للتوراة والانجيل، ولكن لم يكن للعرب كما نعلم صلة بهذين الكتابين على نحو تكون لهم مفاهيم ثقافية تختلف عن مفاهيمهم الثقافية في العهد الجاهلي، ولذا دخلوا في عالم الإسلام الثقافي وهم يحملون أسماء جاهلية وقد سَمَّوا أبناءهم بأسماء جاهلية، اللهم إلا الجيل الذي ولد بعد الإسلام من آباء عاشوا في مراكز الإسلام الكبرى في المدينة وغيرها فقد حمل القليل من أفراد أسماء تتصل بالاساس العقيدى للإسلام (عبد الله، عبيد الله، عبد الرحمن) وبقي أكثر أفراد هذا الجيل يحملون أسماء جاهلية أو تتصل بالجاهلية بشكل أو بآخر»(1).

ويستمر الشيخ شمس الدين رحمه الله تعالى في بحثه القيم الذي سلطنا على جانب منه إلى النتيجة التالية: «وعلى ضوء ما تقدم: إذا أخذنا في الاعتبار أنه في سنة ستين للهجرة كان جمهور المسلمين العرب يتكون من الجيل الثاني في الإسلام مع بقايا من الجيل الأول يتضح لنا أنه لم تكن قد سنحت الفرصة أمام الأسماء الجديدة لتنتشر وتحل محل الأسماء القديمة، على الخصوص الاسماء ذات المنشأ غير العربى كما هو الشأن بالنسبة إلى (سليمان) وعلى العكس من المسلمين العرب فإن هذا النوع من الاسماء كان شائعاً إلى حد ما بين المسلمين غير العرب (الموالى) والمتأثرين منهم بالثقافة اليونانية أو المنتمين إلى العالم اليونانى البيزنطى بشكل خاص، وذلك لان الاسماء التى وردت في القرآن الكريم والسنة كانت مألوفة لديهم فى عالمهم الثقافى القديم، وقد اشتملت الزيارة

ص:204

1- (1) أنصار الحسين للشيخ محمد مهدي شمس الدين: ص 219-220.

المنسوبة إلى الناحية على اسم (سليمان) مرة واحدة ولكنه ورد فيها اسم لأحد الموالى وهو (سليمان مولى الحسين) وبهذا تكون الزيارة المنسوبة إلى الناحية متوافقة من هذه الجهة مع الظاهرة الثقافية الاسمية السائدة في تلك الفترة المبحوث عنها، ويكون اسم سليمان مولى الحسين فيها متوافقاً مع طبيعة الأشياء، وليس اسماً شاذاً كما هو الشأن في (سليمان) الذي ورد اسماً لخمسة أشخاص يفترض أنهم من العرب في الزيارة الرجبية، ونلاحظ هنا بهذه المناسبة ان الزيارة الرجبية لم تشتمل على اسم (سليمان مولى الحسين)«(1).

2- ان اسم الشهيد هو «سليمان» كما ذهب إلى ذلك جُلّ المؤرخين ومن تحدث عن الشهيد (رض) يقول الطبرى وهو يتحدث عن ارسال الحسين للشهيد إلى البصرة وتسليم ابن الجارود له لابن زياد: «فلما قرأ الكتاب قدّم الرسول سليمان وضرب عنقه وصعد المنبر...»(2).

3- أن اسم الشهيد هو «ذراع (زرع) السدوسى»، كما يذهب إلى ذلك ابن نما في مثير الاحزان والبحرانى فى العوالم والمجلسى فى البحار عنهما. ومما جاء فى هذا الرأى: «وكتب عليه السلام إلى وجوه البصرة منهم: الاحنف بن قيس، وقيس بن الهيثم، والمنذر بن الجارود، ويزيد بن مسعود النهشلى، وبعث الكتاب مع زراع «ذراع» السدوسى وقيل مع سليمان المكنى بأبى زرين فيه «إنى أدعوكم إلى الله وإلى نبيه، فإن السنة قد اميتت فإن تجيبوا دعوتى وتطيعوا أمرى اهدكم

ص: 205

1- (1) أنصار الحسين للشيخ محمد مهدى شمس الدين: ص 221-222.

2- (2) تاريخ الطبرى: ج 3 ص 280، العلامة المامقانى فى تنقيح المقال: ج 2 ص 5، مقتل أبى مخنف: 104 والمحقق السماوى إبصار العين: ص 94 وآخرون.

4 - أن اسم الشهيد هو «مسعود»، كما يمكن ان يفهم ذلك من حديث لابن حجر وهو يتحدث عنه ذلك الشخص الذي قتله عبيد الله بن زياد في سنة 60 للهجرة، والذي كانت طريقة قتله وكيفيتها تتشابه بشكل كبير جداً مع طريقة شهادة رسول الحسين إلى البصرة سليمان (رض). حيث ضربت عنقه ورمى برأسه وجسده من على منارة المسجد الجامع، وهذا ما لم يجر ويحصل إلا لرسول الحسين عليه السلام لاسيما في تلك الحقبة التي سبقت خروج ابن زياد من البصرة إلى الكوفة، يقول ابن حجر وهو يترجم له: «أبورزين، مسعود بن مالك الاسدي مولاهم وقيل مولى علي اسمه عبيد نزل الكوفة، وروى عن ابن أم مكتوم، وعلى ابن أبي طالب وأبي موسى الاشعري، وأبي هريرة وغيرهم. وعنه ابنه عبد الله، واسماعيل بن أبي خالد، وعطاء بن السائب والاعمش ومنصور بن أبي عائشة ومغيرة بن مقسم وآخرين. قال أبو حاتم: يقال إنه شهد صفين مع علي وذكره البخاري في الطهارة من صحيحه تعليقاً على فعله. وأسند له في الادب المفرد، وأخرج له مسلم والاربعة من روايته عن الصحابة، وذكره ابن شاهين في الصحابة، وتعقبه أبو موسى وقال لا صحبة له ولا إدراك. ثم ساق الحديث ان طريق عاصم ابن ابي وائل، قال: ألا تعجب من أبي رزين قد هرم، وإنما كان غلاماً على عهد عمر وأنا رجل. وقال غيره كان أكبر من أبي وائل وكان عالماً فهماً كذا وقع بخط المزى في التهذيب، وتعقبه مغلطاً بأن قوله فهماً بالفاء غلط وإنما هو بالباء

ص: 206

1- (1) مثير الال-حزان لابن نما: ص 12، العوالم (عوالم الإمام الحسين) للبحراني: ج 17 ص 189، المجلسي في البحار: ج 44 / ص 340.

المكسورة. كذا ذكره البخارى فى التاريخ عن يحيى القطان عن أبى بكر. قال: كان أبو رزين أكبر من أبى وائل. قال يحيى وكان عالماً قهماً. ووثقه أبو زرعة والعجلي وغيرهما قلت له رواية عن معاذ بن جبل وهى مرسلة، وانكر أبو الحسن ابن القطان ان يكون أدرك ابن أم مكتوم، وقال شعبة فى ما حكاه ابن أبى حاتم عنه فى المراسيل، لم يسمع من ابن مسعود، قيل قتله عبيد الله بن زياد بعد سنة ستين...» (1).

ويقول المزي وهو يتحدث عن نفس الرجل وطريقة قتله: «مسعود بن مالك، أبو رزين الاسدى، اسد بن خزيمه، مولى أبى وائل الاسدى الكوفى، روى عن: رزين جيش الاسدى، وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود، وعلى بن أبى طالب وعمرو بن أم مكتوم الاعمى والفضيل بن عزوان ومصروع أبى يحيى ومعاذ ابن جبل وأبى موسى الاشعري وأبى هريرة. روى عنه: إسماعيل بن أبى خالد واسماعيل بن سميع والزبير بن عدى وسليمان الاعمش وعاصم بن أبى النجود وابنه عبد الله بن أبى رزين الاسدى وعبيد بن مهران المكتب وعطاء بن السائب وعلقمة بن مرشد وغالب أبو الهذيل ومغيرة بن مقسم الطيبى ومنصور بن المعتمر وموسى بن أبى عائشة وأبو صفية شيخ لعبد العزيز بن صهيب. قال عبد الرحمن بن أبى حاتم وسئل أبو زرعة عن أبى رزين، فقال: اسمه مسعود كوفى ثقة، وقال أبو حاتم: يقال: شهد صفين مع على. وقال غيره: كان أكبر من أبى وائل وكان عالماً قهماً. وقال أبو بكر بن عياش عن عاصم: قال لى أبو وائل: ألا تعجب من أبى

ص: 207

رزين قد هرم وإنما كان غلاماً على عهد عمر وأنا رجل. وذكر ابن حبان في كتاب الثقات، وقال أبو بكر بن أبي داود: أبو رزین الاسدی يقال اسمه عبيد ضربت عنقه بالبصرة على منارة مسجد الجامع ورمى برأسه. روى عن علي، يقال انه مولى علي، وأبو رزین آخر أسدی روى عن سعيد بن جبیر اسمه مسعود بن مالك وذكر عبد العزيز بن صهيب عن أبي صفية ان أبا رزین قتله عبيد الله بن زياد(1)، وقد ذكر كلاً من هذين النصين المتقدمين زهير بن علي الحكيم في كتابه: «مقتل أبي عبد الله الحسين من موروث أهل الخلاف»(2). وهو يتحدث عن جرائم عبيد الله بن زياد وما صنعه في هذه الأمة.

5 - أن اسم الشهيد هو عبيد، وهذا ما يمكن ان يتلمسه القارئ فيما يلي من النصوص، فقد ذكر المزي في تهذيب الكمال: «قال أبو بكر بن داود: أبو رزین الاسدی يقال: اسمه عبيد ضربت عنقه بالبصرة على منارة مسجد الجامع ورمى برأسه»(3)، ويقول ابن حجر في تهذيب التهذيب: «مسعود بن مالك أبو رزین الاسدی، اسد خزيمة مولى أبي وائل الاسدی الكوفی، روى عن معاذ بن جبل وابن مسعود وعمرو بن أمّ كلثوم(4) وعلي بن أبي طالب وأبي موسى الأشعري وأبي هريرة وابن عباس ومصدع بن يحيى والفضل بن بندار وغيرهم. وعنه ابنه عبد الله واسماعيل بن أبي خالد وعاصم بن أبي النجود وعطاء بن السائب

ص: 208

1- (1) تهذيب الكمال للمزي: ج 27 ص 477-480.

2- (2) مقتل أبي عبد الله الحسين لزهير بن علي الحكيم: ج 2 ص 360-361.

3- (3) تهذيب الكمال للمزي: ج 27 ص 477.

4- (4) المراد به كما هو واضح عمرو ابن ام مكتوم.

والاعمش ومنصور وموسى بن أبى عائشة واسماعيل بن سميع ومغيرة بن مقسم والزبير بن عدى وعلقمة بن مرثد وغيرهم. قال ابن أبى حاتم: سنل أبو زرعة عن أبى رزين فقال اسمه مسعود كوفى ثقة.

وقال أبو حاتم: شهد صفين مع على وقال يحيى كان اكبر من أبى وائل وكان عالماً فهماً. وقال أبو بكر بن عياش عن عاصم قال لى أبو وائل ألا تعجب من أبى رزين قد هرم وإنما كان غلاماً على عهد عمر وأنا رجل، وقع ذكره فى البخارى فى الحيض من صحيحه وذكره ابن حبان فى الثقات وذكر عبد العزيز بن صهيب عن أبى صفية "المراد به هو أبو حمزة الثمالى" ان ابن زياد قتل أباً رزين وقال أبو بكر بن أبى داود: أبو رزين الاسدى وقال اسمه عبيد ضربت عنقه فى البصرة، روى عن على ويقال انه مولاه وابو رزين آخر أسدى، روى عن سعيد بن جبير اسمه مسعود بن مالك، واما الحاكم أبو احمد فى الكنى فقد جعلهما واحداً اسمه مسعود بن مالك وذلك وهم.

قلت بالغ البرقانى فيما حكاه عن الخطيب عنه فى الردّ على من زعم أنهما واحد وسبب الاشتباه مع اتفاقهما فى الاسم واسم الاب والنسبة والقبيلة والبلد أن الأعمش روى عن كل منهما. فتلخص أن أباً رزين مختلف فى اسمه، والاصح انه مسعود بن مالك ومختلف فى ولائه أيضاً، وأما الرواى عن سعيد بن جبير فهو أصغر منه بكثير، ولكنه شاركه فى الاصح فى اسمه والله تعالى أعلم. ولكن الذى ظهر لى أن أباً رزين المسمى بمسعود بن مالك آخر تأخر إلى حدود التسعين من الهجرة والله أعلم وقد أرخ ابن قانع وفاته سنة خمس وثمانين وقال خليفة بن

خياط: مات بعد الجماجم(1)»(2)، وهناك نص آخر لابن حجر فى تقريب التهذيب يشير فيه بشكل واضح إلى أن المقتول هو عبيد وليس مسعود المتقدم فى نص الإصابة: «مسعود ابن مالك الاسدى الكوفى، مقبول من السادسة، مسعود بن مالك أبو رزين الاسدى الكوفى ثقة فاضل من الثانية مات سنة خمس وثمانين وهو غير أبى رزين عبيد الذى قتله عبيد الله بن زياد بالبصرة ووهم من خلطهما»(3).

الاختلاف فى اسم والد الشهيد

حيث ذهب بعضهم إلى أنه "رزين" كما يشير إلى ذلك السماوى فى إبصار العين بقوله «سليمان بن رزين مولى الحسين بن على بن أبى طالب»(4)، بينما يذهب آخرون إلى أن أباً رزين هى كنية أبيه وعليه يكون اسم الشهيد (سليمان ابن أبى رزين).

إشارة إلى من يهمله الأمر: وبمناسبة الاختلاف فى اسم والد الشهيد والكنية التى اختلف فيها انها للشهيد الكربلايى أم لوالده، أود أن أشير ولو على نحو الاجمال إلى مسألة مهمة فى هذا المجال وهى: أن الكنية قد تستخدم أحياناً للإيهام على الخصم أو العدو خصوصاً إذا كانت الظروف التى يمرّ بها الفرد تقتضى لوناً من الوان التقية، وقد استعملت نفس هذه الكنى للتمويه على الخلافة

ص: 210

1- (1) المراد بها معركة دير الجماجم التى وقعت بين ما كان يعرف بالقرار والفقهاء فى الكوفة بقيادة ابن الاشعث والحجاج بن أبى يوسف الثقفى سنة 83 هـ -.

2- (2) تهذيب التهذيب ابن حجر: ج 10 ص 10.

3- (3) تقريب التهذيب لابن حجر: ج 2 ص 167.

4- (4) إبصار العين للسماوى: ص 94.

لاسيما في زمن بنى أمية ومن جاء بعدهم فيما إذا كان النقل عن الامام على بن أبي طالب حيث تم الاتفاق على استعمال كنية (أبي زينب) (1) لدفع ضرر الملاحقة من قبل السلطات الظالمة آنذاك، وهذا أمر يمكن ان يكون الواقع الذي نعيش فيه شاهداً عليه حيث نجد أن الاشخاص الذين يعيشون حالة المعارضة أو المواجهة مع الأنظمة الطاغوتية تستعمل في الأعم الاغلب مثل هذه الكنى للتمويه عليها ولهذا قد يكون مثل هذا الامر جرى مع رسول الامام الحسين عليه السلام إلى البصرة، حيث تم التمويه عليه باستعمال مثل هذه الكنية لاسيما وهو نازل على مصر المتولى عليه هو عبيد الله بن زياد الذي عرف بعدائه السافر لكل ما يمت لأهل البيت بصلة، وخصوصاً إذا علمنا ان العرب قد تستعمل الكنى للتستر والموارة يقول ابن منظور: «وفي حديث بعضهم: رأيت عرجاً يوم القادسية وقد تكنى وتحجى أى تستر، من كنى عنه إذا ورى» (2).

يقول السيد محمد رضا الحسيني في بحثه حول حقيقة الكنى وميزاتها: «قال ابن الأثير بلغني أن سبب الكنى في العرب كان: أن ملكاً من ملوكهم الأول ولد له ولد توّسم فيه أمارات النجابة فشغف به فلما نشأ وترعرع وصلح لأن يؤدّب أدب الملوك أحبّ أن يفرد له موضعاً بعيداً من العمارة يكون فيه مقيماً يتخلق أخلاق مؤدبيه ولا يعاشر من يضيع عليه بعض زمانه، فبنى له في البرية منزلاً ونقله إليه، ورتّب له من يؤدبه بأنواع الآداب العلمية والملكية وأقام له ما يحتاج من أمر دنياه

ص: 211

1- (1) قواعد الحديث للسيد محي الدين الموسوي الغريفي / ص 133 / مطبعة الآداب / النجف.

2- (2) لسان العرب لابن منظور: ج 13 ص 124.

ثم أضاف إليه من هو من أقرانه وأقرابه من أولاد بنى عمه ليواسوه ويتأدبوا بآدابه بموافقته لهم عليه، وكان الملك على رأس كل سنة يمضى إلى ولده ويستصحب معه من أصحابه من له عند ولده ولد ليصروا أولادهم، فكانوا معه إذا وصلوا اليهم سأل ابن الملك عن أولئك الذى جاءوا مع أبيه ليعرفهم بأعيانهم فيقال له "هذا أبو فلان وهذا أبو فلان" يعنون آباء الصبيان فكان يعرفهم بأضافتهم إلى أبنائهم فمن هنالك ظهرت الكنى فى العرب ثم انتشرت حتى صاروا يكون كل إنسانٍ باسم ابنه) واحتمل الاخ الفاضل السيد حيدر شرف الدين أبورضا: أن يكون اصل استعمال الكنية عند العرب لإخفاء أسمائهم لأنهم كانوا أمة قبليّة تعيش حالات الحروب والغارات، فربّما اتخذوا الكنى فى بداياتها ليخفوا وراءها شخصياتهم المعروفة عادة بالاسماء ثم تبلورت إلى أداة معبرة عن الاشخاص وتميزت بخصوصيات أخرى. ويؤيد هذا الاحتمال ان اللغويين فسروا الكنية بالستر»(1).

وعلى كل حال فالمسألة تحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة ولكنها مجرد إشارة إلى من يهمله الأمر.

اختلاف الشهيد فى ولائه

اشارة

الذى يرجع إلى المصادر التى تحدثت عن الشهيد (رض) يجد أن هناك انقساماً واضحاً فى ولائه (رض)، فقد مال صاحب منتهى المقال أنه مولى الحسن دون الحسين عليه السلام بقوله:

ص:212

1- (1) بحث فى الكنية، حقيقتها وميزاتها وأثرها فى الحضارة والعلوم الإسلامية للسيد محمد رضا الحسينى / مجلة تراثنا العدد 17 / ص 10-9.

«سليمان مولى الحسين قتل معه "سين" وفي نسخة مولى الحسن وفي رجال ابن داود اعتمد الاول انتهى. أقول وكذا... ولكن في نسختين عندي من رجال الشيخ مولى الحسن ولعله الصحيح ولو كان مولى الحسين لقال: مولاة كما في نظائره»(1).

إضافة إلى أن سلام الإمام المهدي كان على سليمان مولى الحسن دون الحسين عليه السلام كما يشير إلى ذلك المشهدي في مزاره(2). وقد ذكره ابن حبان في الثقات مولى للحسن بقوله:

«وقتل في ذلك اليوم سليمان مولى الحسن»(3) وآخرون.

بينما مال آخرون إلى أنه مولى الحسين عليه السلام وهم الأكثر على ما أعلم منهم الشيخ الطوسي في رجاله(4) والقندوزي في ينابيع المودة(5) والمامقاني في تنقيح المقال(6) وآخرين. نعم وقع هناك اضطراب عندهم في مكان قتله وكيفيته، حيث ذكر البعض، كالقندوزي في ينابيع المودة أنه قتل معه مبارزة يوم عاشوراء وكذلك ابن حبان في الثقات وآخرين، بينما ذهب الأكثر إلى أن مكان قتله كان في البصرة وعلى يد سليمان بن عوف الحضرمي على ما هو المشهور.

ص: 213

1- (1) منتهى المقال: ج 3 ص 402.

2- (2) انظر المزار للمشهدى: ج 1 ص 451.

3- (3) الثقات لابن حبان: ج 3 ص 310.

4- (4) رجال الشيخ الطوسي: ج 4 ص 18.

5- (5) ينابيع المودة للقندوزي: ج 3 ص 76.

6- (6) تنقيح المقال: ج 2 ص 5.

وعلى ما ذكره هؤلاء الأعلام نكون أمام احتمالين أساسيين فى المقام وهما:

الاحتمال الأول

ان نفترض وجود شخصين كلٌ منهما اسمه «سليمان» احدهما مولى للحسن قتل مع الحسين عليه السلام فى كربلاء، والآخر مولى للحسين عليه السلام قتل فى البصرة كما تقدم، وربما يكون ما يذكره القندوزى فى يبايعه وابن حبان فى ثقاته وغيرهما من شهادة سليمان مولى الحسن مع الحسين مبارزة يوم عاشوراء وكذلك ما ذكره الآخرون من شهادة سليمان مولى الحسين فى البصرة شاهداً مهماً على هذا الاحتمال.

الاحتمال الثانى

أن نفترض ان كلا من الاسمين إنما يشيران فى الواقع إلى شخصية واحدة لاغير، غاية ما فى الأمر أنه كان يطلق عليه مولى للحسن أيام الحسن، وبعد شهادته عليه السلام صار مولى للحسين لاسيما إذا علمنا أن الشهيد «سليمان» كانت أمه «كبشة» خادمة فى بيت أم أسحاق بنت طلحة التيمى التى كانت زوجة للإمام الحسن عليه السلام كما يشير إلى ذلك عبد العزيز الطبطبائى رحمه الله فى تحقيقه لكتاب ترجمة الإمام الحسن من الطبقات الكبرى لابن سعد، ثم بعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام تزوجها الإمام الحسين عليه السلام فلربما لأجل ذلك اشتبه على الرواة والمؤرخين أمره فنسبه بعضهم إلى الحسن والآخرون إلى الحسين وهو فى كلتا هاتين النسبتين صحيح. وعليه فمن رأى شهادته مع الإمام الحسين فى كربلاء

فلأجل أنه يقطع بخروجه مع الإمام من المدينة في ركبته المبارك، ومن رأى شهادته في البصرة فلأجل أنه يقطع بارسال الإمام له في مكة إلى أهل البصرة وشهادته على يد عبید الله بن زياد.

والدة الشهيد الكربلائی

تقدم قبل قليل أن والدة الشهيد، سليمان «هي كبشة» التي اشتراها الإمام الحسين عليه السلام بألف درهم (1)، وكانت في بيت أم اسحاق بنت طلحة بن عبید الله التيميّة زوجة الحسين عليه السلام. وقد عرفت هذه المرأة بالعفة والصلاح والفضل والفلاح وأنها من ربات البر والاحسان والمتشرفات بالعشق والولاء للدين ولشريعة سيد المرسلين لاسيما أهل بيته الطيبين الطاهرين، حيث لم تكتفِ هذه المرأة بتقديم فلذة كبدها وعزيز قلبها «سليمان» فداءً لهذا الدين وحياً لأبي عبد الله الحسين عليه السلام، حتى شاركت بنات الرسالة ومخدرات الوحي بكل ما ألمّ ونزل بهنّ من المصائب والمصاعب والأحزان والرزايا وهي صابرة محتسبة ذلك كله في سبيل الله سبحانه وتعالى، ولئن كانت بعض نساء الأنصار قد فارقت الحوراء زينب في الكوفة حينما أقبلت القبائل تأخذ من الخربة (اللاتي نزلن بها) من لها فيها امرأة مخدّرة كما ينقل لنا التاريخ ذلك، فإن هذه المرأة قد تحملت المحن والأحزان من كربلاء مروراً بالكوفة وانتهاءً بالشام ثم رجوعاً إلى العراق وانتهاءً

ص: 215

1- (1) أو أن يكون الإمام الحسن هو الذي اشتراها في حياته وعاشت في بيت زوجته ام اسحاق قبل انتقالها إلى الإمام الحسين عليه السلام على اختلاف الروايات ثم بعد ذلك تزوجها والد الشهيد الكربلائی (رزين أو أبو رزين) على ما تقدم.

بالمدينة حيث بيتها الذى عاشت وتزوجت وانجبت فيه.

ورحم الله الشاعر حيث يقول:

قُمْ حَى هَذَى النِّيْرَاتِ حَى الحِسَانِ الخِيْرَاتِ وَاخْفَظْ جَبِيْنَكَ هَيْبَةً لِّلْخُدْرِ الْمُتَخَفِّرَاتِ
زَيْنُ المَقَاصِرِّ وَالحِجَالِ وَزَيْنِ مِحْرَابِ الصَّلَاةِ هَذَا المَقَامُ المِهَاتِ فَهَلْ قَدَّرْتَ المِهَاتِ
لِلصَالِحَاتِ عِقَائِلُ الوَادَى هَوَى فِى الصَالِحَاتِ اللّهُ أَنْتَهَنِّ فِى طَاعَاتِهِ خَيْرَ النَّبَاتِ

فَأْتِيْنَ أَطِيْبَ مَا أَتَى زَهْرُ المَنَاقِبِ وَالصِفَاتِ (1)

الشهيد سليمان سفير الحسين إلى البصرة

كما أرسل الحسين عليه السلام رسوله وسفيره إلى الكوفة مسلم بن عقيل عليه السلام، فقد أرسل الحسين عليه السلام الشهيد سليمان إلى البصرة، وحتى نعى حركة هذا الشهيد ومهمته التي قام بها، علينا أن نسلط الأضواء على جملة من النقاط:

النقطة الأولى: معنى السفير والسفارة: يقول صاحب البصائر والذخائر: «السفارة: المشى فى الصلح، وكأنها ما غمر الحال بين المتنازحين المتباينين... يقول الشاعر:

وما أدع السفارة بين قومي وما للملك فى الدنيا بقاء

ولا أمشى بغشٍ ما مشيتُ وكيف بقاء ملكٍ فيه موتُ (2)

والسفير: «هو من يحمل شيئاً ممن يرسله إلى المرسل إليه ومنه قوله: "بأيدى

ص: 216

1- (1) أبيات من الشعر لأحمد شوقي: الشوقيات (87-1/85) تقديم حسين هيكل، دار الكتب العلمية / بيروت.

2- (2) البصائر والذخائر لأبى حيان التوحيدى: ج 96/1.

سفرة" (1)، أى كتبة من الملائكة» (2).

ويقول القرطبي فى تفسيره: «والسفير: الرسول والمصلح بين القوم والجمع سفراء مثل فقيه وفقهاء» (3).

رسول واحد أم رسولان إلى البصرة

المشهور بين المؤرخين أن الحسين عليه السلام أرسل رسالة واحدة إلى رؤساء الاخماس فى البصرة مع مولاه سليمان وقد رتب المحققون على ذلك أن كل من كتب إليهم الإمام كانوا من رؤوس الأخماس، يقول الشيخ محمد السماوى وهو يتحدث عن جواب يزيد بن مسعود النهشلى للحسين عليه السلام: «أقول إن الذى ذكره أهل السير أن الحسين عليه السلام كتب إلى مسعود بن عمرو الأزدي، وهذا الخبر - يعنى جواب يزيد النهشلى للحسين - يقتضى أنه كتب إلى يزيد بن مسعود التميمى النهشلى، ولم أعرفه فلعله كان من أشرف تميم بعد الاحنف» (4).

بينما يذهب آخرون إلى ان الإمام الحسين عليه السلام كان قد كتب كتاباً ووجهه إلى أكثر من جهة فى البصرة، فقد ذكر الطبرى فى تاريخه بشكل واضح وصريح أن الحسين عليه السلام أرسل نسخاً من كتابه إلى أشرف أهل البصرة - وهى جهة

ص: 217

1- (1) عبس: 15.

2- (2) بحار الأنوار: ج 88 ص 302 نقلاً عن البيضاوى

3- (3) تفسير القرطبي: ج 19 ص 187.

4- (4) كيف يمكن أن نقبل ان يزيد النهشلى كان من رؤوس الاخماس لاسيما على تميم بعد الاحنف ابن قيس والاحنف نفسه زعيم هذه القبيلة مخاطب بهذه الرسالة وموجود مع يزيد النهشلى فى نفس الاجتماع وسيأتى مزيد توضيح بعد ذلك.

وعنوان مستقل بشكل كامل عن رؤوسه الاخماس - يقول الطبري: «وكتب بنسخة إلى رؤوس الاخماس وإلى الاشراف» (1)، وربما مثل هذا المعنى هو الذى يفسر لنا سر اختلاف لسان الكتاب الذى وجهه الإمام الحسين عليه السلام إلى البصرة فى بعض الروايات.

فقد ورد عن الطبري قوله: «قال أبو مخنف: حدثنى الصقعب بن زهير، عن أبى عثمان النهدي قال: كتب الحسين مع مولى لهم يقال له سليمان، وكتب بنسخة إلى رؤوس الاخماس وإلى الاشراف، إلى مالك بن مسمع البكري وإلى الاحنف ابن قيس وإلى المنذر بن الجارود وإلى مسعود بن عمرو وإلى قيس بن الهيثم وإلى عمرو بن عبيد الله بن معمر. فجاءت منه نسخة واحدة إلى جميع أشرافها: "أما بعد فإن الله اصطفى محمداً على خلقه وأكرمه بنبوته واختاره لرسالته، ثم قبضه الله إليه، وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به، وكنا أهله وأولياءه وأوصيائه وورثته وأحق الناس بمقامه فى الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك فرضينا وكرهنا الفرقة وأحيينا العافية ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه، وقد أحسنوا وأصلحوا وتحزوا الحق، فرحمهم الله وغفر لنا ولهم» (2)، وقد بعثت رسولى إليكم، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، فإن السنّة قد أميتت وإن البدعة قد أحييت، وإن تسملوا قولى وتطيعوا أمرى أهدكم سبيل الرشاد والسلام عليكم

ص: 218

1- (1) تاريخ الطبري: ج 3 ص 280.

2- (2) لا يشك أحد فى أن هذه العبارة مدخولة من قبل بعض المؤرخين على أصل متن الرسالة، فلم ترد كلمة مدح على لسان واحد من أئمة أهل البيت لأحد منهم ناهيك بأن الإمام علياً لم يبايع إلا كرها واضطراً وكما يقول الحسين عليه السلام منعاً للفتنة وللفرقة.

وقد نقل الدينورى فى الأخبار والطوال وغيره نصاً آخر هو: «سلام عليكم، أما بعد فإنى ادعوكم إلى إحياء معالم الحق، وإماتة البدع فإن تجيبوا تهتدوا سبل الرشاد والسلام»(2)، وهناك نصوص أخرى ذكرتها لنا المتون التاريخية ربما لا تختلف كثيراً عن النصين السابقين، حتى أن الخوارزمى ينقل فى مقتله أن الحسين عليه السلام أرسل إلى رؤساء أهل البصرة لكل واحدٍ كتاباً ثم ذكر ستة أسماء منهم على نحو المثال لا الحصر يقول: «وقد كان الحسين عليه السلام كتب إلى رؤساء أهل البصرة مثل الاحنف بن قيس والمنذر بن الجارود وقيس بن الهيثم ومسعود ابن عمرو بن عبيد بن معمر يدعوهم إلى كتاب الله وسنة رسوله...»(3)، فضلاً عن أن يزيد بن مسعود النهشلى كان من جملة الشخصيات الحاضرة مع رؤساء الأخماس ولم يكن منها ما يدلل ان الحسين عليه السلام كان قد راسل هذا الرجل بشكل منفصل، وقد صرّح هو بنفسه عن هذا الكتاب ومضمونه عندما دعا قومه إلى نصرة الحسين عليه السلام ثم كتب إلى الحسين بقوله:

«أما بعد فقد وصل إلى كتابك وفهمت ما ندبتنى إليه...».

وسياتى مزيد من الحديث عن هذا الرجل وحركته (رض). إذن نحن امام حقيقة ذكرتها لنا الكتب التاريخية أن الحسين عليه السلام كتب أكثر من كتاب إلى أهل

ص:219

1- (1) تاريخ الطبرى: ج 3 ص 280.

2- (2) الدينورى فى الاخبار الطوال: ص 233.

3- (3) مقتل الحسين للخوارزمى: ج 1 ص 199.

البصرة وهنا لابد من أن نسأل سؤالاً ربما يأتي إلى ذهن كل من يقرأ ويسمع بهذه الكتب وهو: هل الذى أوصل هذه الرسائل كلها رسول واحد؟ أو ان هناك أكثر من رسول؟ المشهور كما قدمنا يذهب إلى أنه رسول واحد وهو الشهيد سليمان، قام بهذه المهمة بشكل كامل حيث ذهب إلى الجميع وأوصل لكل واحد كتابه، حتى إذا وصل الأمر إلى ابن الجارود أخذه مع الكتاب إلى ابن زياد، وهناك من يذهب كما يشير إلى ذلك ابن نما والسيد الأمين فى الاعيان فى أحد قوليهِ الذى يتبناه ان الحسين بعث رسولين إلى البصرة أحدهما الشهيد سليمان والثانى هو ذراع أو زراع السدوسى (1) وهذا الرأى وان كان أقرب إلى الواقع والى عدد الكتب التى بعثت إلى البصرة، ولكنه فى نفس الوقت يحتاج إلى دليل من التأريخ يَدلّ عليه ولا دليل فى هذا المجال. فقد بذلت جهد ليس بالقليل فى تتبع المصادر الرجالية والتاريخية والحديثية وغيرها، علّنى أجد شيئاً ولو يسيراً حول هذه الشخصية، ولكن وللأسف الشديد لم أفع على اية معلومة وان كانت بسيطة عنه، فنبقى نحن وما ذكرته لنا المصادر التاريخية الكثيرة والمتعددة ان رسول الحسين إلى البصرة هو سليمان مولاه دون غيره، مع بقاء احتمال التعدد قائماً.

مضامين رسالة الإمام إلى البصرة

لقد تضمنت رسالة الإمام مجموعة من النقاط المهمة يمكن اجمالها فيما يلى:

أولاً: أشار الإمام إلى أهمية هذا الدين ومن بعث به رحمة للعالمين سيدنا

ص:220

1- (1) انظر مشير الاحزان لابن نما: ص 17، أعيان الشيعة للسيد الامين: ج 1 ص 590.

محمد صلى الله عليه وآله وسلم بقوله:

«أمام بعد، فإن الله اصفطى محمداً على جميع خلقه واکرمه بنبوته واختاره لرسالته».

ثانياً: أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبأمر من السماء لم يخرج من هذه الدنيا إلا بعد أن بلغ ونصح لأمته فيما يعود عليهم بالخير في حاضرهم ومستقبلهم يقول:

«ثم قبضه الله إليه مكرماً وقد نصح لعباده وبلغ ما أرسل به».

وكان مما بلغه هو قول الله عز وجل:

«يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ 1» .

وقد ذكرت المصادر الإسلامية عند الفريقين أنها نزلت في إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام(1)، ناهيك عن ذلك بما ذكر حول حديث الغدير وتنصيب أمير المؤمنين إماماً وخليفة على هذه الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثالثاً: أن أهل البيت عليهم السلام هم أحق بهذا الأمر من غيرهم فهم أهله وأصفيأؤه، ولكنهم في نفس الوقت قبلوا بما جرى (من اغتصاب حقهم وإزالتهم عن مراتبهم) حقناً لدماء المسلمين وكرامية للفتنة وطلباً للعافية (المراد عافية الأمة وليس العافية الشخصية) وحتى لا يفهم هذا بأنه تنازل عن الحق أكده بعد ذلك بقوله:

ص:221

1- (2) وقد ذكر مصادر القوم بشكل مفصل العلامة الأميني في الغدير: ج 1 ص 214 فليراجع.

«ونحن نعلم بأننا أحقُّ بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه».

رابعاً: عدم تناول الإمام لذكر الأسماء التي تولت على هذه الأمة من غير أهل البيت عليه السلام، وذلك لعلم الإمام أنه يرأسل قوماً لا يرتجى الاستجابة منهم بشكل واضح هذا من جانب، ومن جانب آخر أن الأساس عند الإمام الحسين وأئمة أهل البيت هو المضمون لا الاسم، فالأسماء قد تذهب وتأتى ولكن الأساس فى الأمر هو المضمون والذى أشار إليه بقوله «فإن السنة قد أميتت والبدعة قد أحييت».

خامساً: أشار عليه السلام إلى أنه القادر على أن يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم دون سواه، وكأنه يريد أن يشير إلى إمامته وأهميتها، كما أشار إلى ذلك فى حديثه إلى أهل الكوفة بقوله: «لعمري ما الإمام إلا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحق الحابس نفسه على ذات الله»(1).

معنى رؤوس الاخماس فى البصرة

اشارة

وهم عبارة عن خمسة أحياء وزَّعت وقُسمت البصرة على أساسها عند إنشائها أول مرة، وفى كل حى من أحيائها الخمسة لتسكن قبيلة من القبائل العربية المعروفة وهى الأزدي وتميم وبكر وعبد القيس وأهل العالية. وكان لكل قسم من هذه الأخماس رأس يتم اختياره حسب القبيلة أو القبائل المنطوية تحته على حسب ما يمتلكه من خصائص وصفات تؤهله لقيادتها. تقول الأستاذة رباب جبار السوداني فى كتابها، جبهة البصرة: «وكان هؤلاء الرؤساء سلطة عسكرية وإدارية

ص: 222

ومالية كبيرة مستمدة من مراكزهم وصفاتهم الشخصية والاجتماعية ومن الواجبات الملقة على عاتقهم، فكانوا في أوقات السلم ينظرون في شؤون قبيلتهم ويحكمون في الخلافات التي تحدث بين أفراد القبيلة، كما أنهم يوزعون العطاء عليهم بعد أخذه من الدولة، وهم المسؤولون عن تصرفات قبائلهم مسؤولية مباشرة، اتجاه الوالى، وكان هؤلاء الرؤساء تابعين للوالى وخاضعين بأعباءه ممثل الخليفة، وكان هؤلاء الرؤساء كثيراً ما يشاركون في الوفادات التي ترسل إلى الخليفة، وخير مثال على ذلك الاحنف بن قيس رئيس قبيلة تميم الذى كان كثيراً ما يشارك في الوفود المرسله إلى مركز الخلافة سواء في الفترة الراشدية أو الأموية، فقد وفد على كل من الخليفة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ووفد كذلك على معاوية بن أبى سفيان بما أن رؤساء القبائل كانوا يقودون الحملات العسكرية الكبيرة والمنظمة وكانوا خلالها يتمتعون بسلطات إدارية وعسكرية واسعة، فقد شارك الاحنف بن قيس في قيادة الحملات الموجهة لفتح خراسان وغيرها من الاقاليم الفارسية، كما أن هؤلاء الرؤساء كانوا يقودون بعض العمليات العسكرية الصغيرة من تلقاء أنفسهم كما حدث أيام معركة الجمل عندما انقسم رؤساء قبائل البصرة بين الخليفة على وعائشة وطلحة والزبير، حيث انظم رؤساء قبائل الازد وضبة إلى عائشة وطلحة بينما التزم رؤساء قبيلتي بكر بن وائل وعبد القيس إلى جانب الإمام على.

هذا وكان لرؤساء الاخماس دور كبير جداً في الأزمات السياسية فقد خرج رؤساء الاخماس من البصرة إلى الكوفة وعسكروا في مكان يدعى النخيلة مع

عبد الله بن عباس والى البصرة حيث كان خالد بن المعمر السدوسي على قبيلة بكر بن وائل والاحنف بن قيس على تميم وضبة الرباب، وعمرو بن مرجوم العبدى على عبد القيس وصبرة بن شيماء على الازد وشريك بن الاعور الحارثى على أهل العالية مؤيدين ومعلنين ولاء أهل البصرة للخليفة على بن أبى طالب فى حربته ضد معاوية بن أبى سفيان قبل بدء معركة صفين»(1) من هنا نعرف سر مراسلة الامام الحسين لهم وسيأتى مزيد من التوضيح حول هذا الموضوع فى فقرة فلسفة مراسلة الحسين لرؤساء الاخماس من هم رؤساء الاخماس والاشراف الذين راسلهم الحسين: وحتى نعى ردّ رؤوس اخماس البصرة وأشرفها على رسالة الامام الحسين ورسوله بل وتسليمه مع الرسالة إلى ابن زياد لذبحه علينا ان نسلط الاضواء على تاريخهم لاسيما التعلق بأهل البيت ولو على نحو الإجمال:

1 - المنذر بن الجارود

هو المنذر بن الجارود بن عمرو بن خنيس العبدى ولد فى عهد رسول الله وشهد الجمل مع على ثم ولّاه أمير المؤمنين على إمرة اصطخر ثم بلغه عنه ما ساء منه(2) فكتب إليه بكتاب شديد اللهجة ثم عزله: «أما بعد فإن صلاح أبيك غرّنى منك وظننت أنك تتبع هديه وتسلک سبيله فإذا انت فيما رقى إليك عنك لا تدع هواك انقياداً ولا تبقى لآخرتك عتاداً، أتعمر دنياك بخراب آخرتك؟ وتصل عشيرتك بقطيعة دينك؟ ولئن كان ما بلغنى عنك حقاً لجمل أهلک وشسع نعلک خير منك

ص:224

1- (1) كتاب جبهة البصرة للاستاذة رباب جبار السودانى: ص 100-102.

2- (2) انظر الاصابة لابن حجر ترجمة رقم: 8336.

ومن كان بصفتك فليس بأهل ان يسدّ به ثغر أو ينفذ به أمر أو يعلى له قدر أو يشرك في أمانه أو يؤمن على جباية فأقبل إليّ حين يصل إليك كتابي هذا إن شاء الله»(1)، وقال عليه السلام في المنذر بن الجارود أيضاً: «إنّه لنظّارٌ في عطفيه، مختالٌ في بُردِيه، تَقالٌ في شِرْراكِيه»(2) ويقول السيد محمد باقر الصدر (رض) في المنذر هذا وخيانتته لرسول الحسين عليه السلام: «إذ يبعث احدهم برسول الحسين عليه السلام إلى عبيد الله بن زياد وكان وقتنذٍ والياً على البصرة، صدّقوا: أنّ هذا الشخص الذي قام بهذا العمل هو من شيعة علي بن أبي طالب، ولم يكن عثمانياً بل كان علويّاً، ولكنه كان علويّاً فقد كل مضمونه، فقد كل معناه، فقد كل إرادته، أخذ الرسول مع الرسالة إلى عبيد الله بن زياد لكن لاحقاً لعبيد الله بن زياد ولا إيماناً بخط عبيد الله بن زياد، بل حفاظاً على نفسه وابتعاداً بنفسه عن أقلّ مواطن الخطر، خشية ان يطلع عليه في يوم ما عبيد الله بن زياد على أن ابن رسول الله كتب إليه يستصرخه وهو لم يكشف هذه الورقة للسلطة الحاكمة وقتنذٍ، فيتخذ هذا نقطة ضعف عليه، فلكى يتعد عن اقل نقاط الضعف ولكى يوفرّ له كلّ عوامل السلامة وكل ضمانات البقاء الذليل أخذ رسول الإمام والرسالة وقدّمهما بين يدي عبيد الله بن زياد فأمر عبيد الله بن زياد بالرسول فقتل»(3)، ويكفى هذا الرجل خاتمة سوء وعاقبة شرّ نالها أن صار في ركاب عبيد الله بن زياد حتى ولّاه تغيير الهند فمات فيها سنة 61 هـ -..

ص: 225

-
- 1- (1) بحار الانوار: ج 33 ص 506.
 - 2- (2) بحار الأنوار: ج 33 ص 506.
 - 3- (3) الحسين يكتب قصته الأخيرة بقلم السيد محمد باقر الصدر وتقاريرات السيد كاظم الحائري وتحقيق وتعليق صادق جعفر الرزاق ص 62 ص 63.

«يكنى أبا بحر، واسمه الضحاح بن قيس. وقيل صخر بن قيس بن معاوية بن حصين بن عبادة بن النزال بن مرة بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، وأمه من باهلة، كان قد أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يره، وتوفى في الكوفة في إمارة مصعب بن الزبير سنة سبع وستين، ومشى مصعب في جنازته»⁽¹⁾ ويقول عنه السيد محمد باقر الصدر: «الأحنف بن قيس الذي عاش مع خط جهاد الإمام عليّ وعاش مع حياة الإمام علي عن قرب، وتربى على يديه، ماذا كان جوابه لابن الإمام علي؟ أمره بالتصبر والتريث وقال له في رسالة أجاب بها علي رسالته، ولا يستخفك الذين لا يوقنون، معروضاً بالكلمات التي كان الإمام الحسين عليه الصلاة والسلام يتلقاها من شيعته. وفي الواقع كانت رسالة الأحنف تعبر عن أخلاقية الأمة المهزومة فإن الأمة في حال تعرضها للهزيمة النفسية، وفي حالة فقدانها لإرادتها وعدم شعورها بوجودها كأمة تنشأ لديها بالتدريج اخلاقية معينة هي أخلاقية الهزيمة. هذه الهزيمة تصبح قوة كبيرة جداً بيد صانعي هذه الهزيمة لابقاء هذه الهزيمة وإقرارها وعميقها وتوسيعها ويصبح العمل الشجاع تهوراً والتفكير في شؤون المسلمين استعجالاً ويصبح الاهتمام بما يقع على الإسلام والمسلمين من مصائب وكوارث نوعاً من الخفة، واللاتعقل نوعاً من العجلة، وقلة الأناة نوعاً من التسرع في العمل أو في التفكير»⁽²⁾.

ص: 226

1- (1) الاستيعاب لابن عبد الله: ج 1 ص 145.

2- (2) الحسين يكتب قصته الأخيرة بقلم الشهيد محمد باقر الصدر وتقريرات السيد كاظم الحائري وتحقيق وتعليق صادق جعفر الرزاق: ص 63-64.

3 - مالك بن مسمع البكري الجحدري

كان على بنى بكر بن وائل فى البصرة، ثم أوى مروان بن الحكم يوم الهزيمة. وحفظ لهم بنو مروان ذلك بعد وانتفعوا به عندهم وشرفوهم بذلك، كان رأيه مائلاً إلى بنى أمية وكان يأمر الناس بعد واقعة الطف وقتل الحسين بتجديد البيعة ليزيد، وبعد هلاكه بايع ابن مرجانة، وكان مع مصعب بن الزبير فى حرب المختار(1) وما إلى ذلك من تاريخ أسود ضد أهل البيت عليهم السلام.

4 - مسعود بن عمرو بن عدى الأزدي

«قائد الأزدي يوم البصرة فى جيش عائشة والزبير وطلحة، وأجار ابن مرجانة لما نابذه الناس ومنع عنه، فمكث تسعين يوماً بعد موت يزيد، ثم خرج إلى الشام وبعث مسعود مع ابن زياد مئة من الأزدي عليهم قرة بن عمرو بن قيس حتى قدموا به إلى الشام، واستخلف حين توجه إلى الشام مسعود بن عمرو على البصرة»(2).

5 - قيس بن الهيثم السلمى

«استخلفه عبد الله بن عامر على خراسان مع ابن عمه عبد الله بن خازم، فلما خرج منها عبد الله بن عامر جمع قارن أربعين ألفاً من هراة وقهستان وطيس وبادغيس فأخرج ابن خازم عهداً من ابن عامر انه هو امير خراسان إن كانت

ص: 227

-
- 1- (1) انظر: كتاب الغارات / هامش صفحة 266 (والهامش للمرحوم عبد الزهراء الخطيب)، كتاب وقعة الطف لأبى مخنف تحقيق الشيخ محمد هادى اليوسفى / مؤسسة النشر الإسلامى / قم (هامش صفحة 104).
- 2- (2) المصدر نفسه: ص 106.

حرب وكان قد اقتلعه عمداً خلاه والبلاد، وأتى البصرة فكانت الفتنة على عثمان، واستنصر عثمان بأهل البصرة من عبد الله بن عامر فاستنصرهم ابن عامر فقام قيس ابن الهيثم فخطب وحرّض الناس على نصر عثمان فسارع الناس إلى ذلك وأتاهم قتل عثمان فرجعوا.

ولى خراسان خليفة عن عبد الرحمن بن زياد أى بعد مقتل الحسين من قبل يزيد بن معاوية حينما أراد عبد الرحمن القدوم على يزيد فعزله يزيد فانعزل قيس ابن الهيثم، وكان على الشرطة والمقاتلة فى البصرة لابن الزبير، وكان على خمس أهل العالية مع مصعب بن الزبير لمقاتلة المختار، وكان يحذّر أهل العراق من الغدر بمصعب»(1).

6 - عمر (عمرو) بن عبید الله بن معمر التیمی

ولى البصرة من قبل عبد الله بن الزبير يقول صاحب المنتظم: «وفى هذه السنة حج عبد الله بن الزبير وكان عامله على المدينة أخوه عبید الله بن الزبير، وعلى الكوفة عبید الله بن يزيد الخطمى وعلى قضائها سعيد بن عمران، وأبى شريح ان يقضى فيها، وقال: لا أقضى فى الفتنة، وكان على البصرة عمر بن عبید الله بن معمر التیمی...»(2)، وكان على ميسرة مصعب بن الزبير فى حربه مع المختار، ويقول ابن أعثم: «فعندما أمر مصعب عسكره وأصحابه أن يعسكروا عند الجسر الأعظم ثم خرج وخرج الناس معه من البصرة، وجعل على كل قبيلة من

ص: 228

1- (1) المصدر نفسه: 106.

2- (2) المنتظم: ج 6 ص 31.

قبائل العرب رئيساً يقتدون به وبرأيه وينتهون إلى أمره، فعلى قريش وأحلافها عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي...»(1)، «وكانت عائشة بنت طلحة عند عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر ثم عند مصعب، ثم تزوج عائشة بنت طلحة عمر بن عبيد الله ابن معمر التيمي، وأم عائشة هي أم كلثوم بنت أبي بكر»(2) «ومات وعمره ستون سنة»(3).

7 - يزيد بن مسعود النهشلي

يبدو أن هذه الشخصية مع كل ما تمتلكه من منزلة اجتماعية في قبيلته وبقية القبائل الأخرى فضلاً عن العمق التاريخي له ولأبناء أسرته لم يتحدث عنه المؤرخون كثيراً بل ولا حتى عن أبيه مسعود، بل لم يذكر أحداً أنه كان من سكان البصرة، حيث ينقل البلاذري في ترجمته ما نصه: «يزيد بن مسعود بن خالد كان سيّداً بالبادية ولم يهاجر إلى البصرة وكان يكنى أبا خالد وأبا جيداً جميعاً وفيه يقول سجين بن وثيل:

ومن آل مسعود على الباب مدره إلى القوم قالوا يا يزيد بن خالد»(4)

نعم، يذكر المؤرخون أن أخوة يزيد بن مسعود وأبناءهم كانوا يعيشون في البصرة ولهم فيها مواقف كثيرة، منهم نعيم بن مسعود النهشلي الذي ولّاه زياد

ص: 229

1- (1) الفتوح لابن أعثم: ح 6 ص 285.

2- (2) أنساب الاشراف: ج 7 ص 20.

3- (3) الكامل في التاريخ: ج 4 ص 477.

4- (4) أنساب الاشراف للبلاذري: ج 12 ص 124.

فساودوا أبجرد(1) و«نعيم بن الثولاء بن نعيم بن مسعود الذى تولى شرطة سليمان ابن على واسماعيل بن على بالبصرة والثولاء الذى قتله أمير البصرة فى الفتنة»(2)، ولو لم يُنقل عن أخى يزيد النهشلى (نعيم) من المواقف المشينة والتصاغر أمام الزبيرين والأمويين بشكل ملفت للنظر حتى لقد نقل التأريخ عنه قوله لعبد الملك ابن مروان بشكل صريح وواضح أنه كان زبيرياً ثم أصبح الآن مروانياً يقول: «ثم تكلم نعيم بن مسعود فقال يا أمير المؤمنين إنا كنا أمس زبيريين فقد اصبحنا مروانيين فأقلل العتاب وأكرم الغلبة وأقلّ بعفوك المغفرة»(3) فضلاً عن توجهه مع مصعب بن الزبير لحرب وقتال المختار(4) لأنمكن القول أن نعيماً هذا هو الذى راسله الحسين عليه السلام وعليه فلا يتبقى أمام القارئ والسامع لمواقفه إلا ان يرفض مثل هذا الاحتمال رفضاً قاطعاً ويبقى اسم يزيد على ما نقل فى كتب المؤرخين هو الاسم الاساس الذى تدور عليه رحى الولاء فى البصرة وان لم يتكلم عنه التأريخ كثيراً، فطالما ظلم التأريخ أناساً كثيرين فلم يسلط الاضواء عليهم إلا قليلاً ويبقى ان نشير ان هذا الرجل كانت له أخت فى منتهى الولاء والمحبة لعلى بن أبى طالب عليه السلام حيث كانت تقول:

«مازلت أحب أن يكون بينى وبينه سبب منذ رأيته قام مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»(5).

ص: 230

1- (1) المصدر السابق.

2- (2) المصدر السابق.

3- (3) الطبقات لأبن سعد: ج 5 ص 88.

4- (4) أنساب الاشراف: ج 7 ص 229.

5- (5) أنساب الاشراف للبلاذرى: ج 12 ص 124.

وقد استجاب الله لها فتزوجها أمير المؤمنين فأولدت منه ولدين أحدهما اسمه «عبد الله» استشهد مع الحسين في كربلاء والثاني اسمه «عمر» أُغتيل في ليلة الحرب بين المختار ومصعب بن الزبير على احسن الأقوال(1).

جواب رؤوس أخماس البصرة ووجهائها على رسالة الإمام

ربما لا يحتاج الإنسان إلى كثير عناء للقول بأن التأريخ لم ينقل لنا من ردود أفعالهم إلى ما قدمناه قبل قليل، من أخذ رسول الحسين ورسالته إلى ابن زياد من قبل المنذر بن الجارود، وكتابة الاحنف بن قيس إلى الحسين بقوله:

«اصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون».

وما سوف يأتي بعد ذلك بشيء من التفصيل حول جواب يزيد بن مسعود النهشلي وموقفه المشرف مع الإمام الحسين عليه السلام

ويبدو لي أن مثل هذا الجواب كان متوقفاً من الحسين عليه السلام فهو يعلم جيداً أن الجو العام في الكوفة ليس إلى جانبه لاسيما من قبل زعماء القبائل فيها، فهو لم ينس موقفهم مع أبيه أمير المؤمنين حينما تمردوا عليه وأووا من تمرّد في ما عُرف بعد ذلك بفتنة الجمل.

فالحسين لم يكن يحسب أبداً أن تجتمع لديه آلاف الرسائل عن أهل البصرة كما اجتمع لديه من رسائل أهل الكوفة. يقول الشيخ محمد مهدي شمس الدين: «كان هذا موقف قيادات البصرة من الثورة، وإذا كان هذا الموقف يبدو طبيعياً إلى حدّ كبير من رجال لا يريدون ان يفرطوا بمراكزهم في الدولة

ص: 231

1- (1) مرقد المعارف للشيخ محمد حرز الدين: ج 2 ص 107.

والمجتمع...»(1) ثم يضيف في مكان آخر من بحثه: «نحن نعلم ان معظم سكان البصرة كان من ربيعة ومضر، من عرب الشمال وان معظم سكان الكوفة من قبائل اليمن، من عرب الجنوب، وقد رأينا في فصل سابق ان عرب الجنوب يكوّنون العدد الأكبر من ثوار كربلاء. نرجّح أن تكون جميع هذه العوامل قد اشتركت في صياغة موقف البصرة من الثورة. لقد كان زعماء البصرة يفكرون بلا شك في مركزهم في الدولة والمجتمع، وطالما تنازع البصريون مع الكوفيين حول حق الفتح لهذا البلد أو ذاك. وكانوا يفكرون بأن أيّ نجاح للثورة فإنما هو نجاح للكوفة التي ستكون قاعدة للدولة.

وكان الكوفيون أكثر وعياً لضرورة التغيير للثقافة التي نشأوا في ظلّها في عهد الإمام عليّ عليه السلام ونتيجة لشعورهم بالتقصير في القيام بواجبهم في الدفاع عن حكومة الإمام علي عليه السلام ونهجه السياسي، هذا التقصير الذي أدى إلى انتصار معاوية وانتقامه من الكوفة "وهنا نلاحظ ان كثرة عرب الجنوب في الثورة تعود إلى كونهم أكثر وعياً بسبب كونهم في الكوفة، كانوا أكثر اتصالاً بالإمام وتأثراً بأفكاره وتعاليمه لا إلى أسباب تتصل بالعوامل القبلية"، وكان جمهور القبائل البصرية التي اشتركت في معركة الجمل ضد الإمام عليّ عليه السلام يذكره قتلاه، ويتجاوب مع مشاعره التي تبعثها هذه الذكرى»(2)، لقد أدرك الإمام الحسين عليه السلام هذه الحقائق التاريخية وما تركته في نفوس البصريين ومن ثم لم يكن يتوقع ان تكون هناك استجابة واضحة وبيّنة كالتى حصلت وجرت في الكوفة.

وهنا لا بد لنا من الإجابة على سؤال طالما انقدح وينقدح في ذهن كل قارئ ومستمع لما سبق ذكره، والسؤال هو: لماذا راسل الحسين عليه السلام

ص: 232

-
- 1- (1) أنصار الحسين للشيخ محمد مهدي شمس الدين: ص 264 / طبعة دار الكتاب الإسلامي / تحقيق سامي الغريبي.
 - 2- (2) أنصار الحسين للشيخ محمد مهدي شمس الدين: ص 267 / طبعة دار الكتاب الإسلامي / تحقيق سامي الغريبي.

أهل البصرة وهو يعلم مسبقاً موقفهم منه ومن دعوته؟ وبعبارة أخرى: ما هي دواعى مراسلة الحسين لأهل البصرة؟

أسباب ودواعى مراسلة الحسين لأخماس البصرة ووجهائها

يقول الشيخ نجم الدين الطبسى فى كتابه القيم، «الركب الحسينى» وهو يتحدث عن نفس هذا الموضوع: «فإذا كان جلُّ رؤساء الأخماس فى البصرة وأشرافها بين متباعداً عن أهل البيت، بجانب لهم، وبين متردد متذبذب فى حبه إياهم وموقفه منهم، وبين متربص خائن طامع فى دنيا أعدائهم، فما هو السر فى كتابة الإمام إلى مثل هؤلاء؟ لعل مجموعة من الأسباب التالية هى التى دعت الإمام إلى كتابة هذه الرسالة إلى رؤساء الأخماس والأشراف فى البصرة:

1 - كانت مخاطبة القبائل فى ذلك الوقت لا- تتم ولا- تثمر إلا من خلال رؤسائها وأشرافها ذلك لأن أفراد كل قبيلة كانوا لا يتجاوزون رؤساءهم وأشرافهم فى اتخاذ أى موقف وقرار، والمتأمل فى خطبة يزيد بن مسعود النهشلى فى بنى تميم وبنى حنظلة وبنى سعد وردّهم عليه يرى هذه الحقيقة واضحة جليّة.

ص: 233

2 - إلقاء الحجّة على جميع أهل البصرة بما فيهم رؤساؤهم وأشرف قبائلهم، خصوصاً ان البصرة برغم سيطرة ابن زياد عليها - ما يزيد على خمس سنين حتى ذلك الوقت - لم تكن قد انغلقت لصالح الامويين كما هو حال مدن الشام إذ كان فيها اشرف ورؤساء يعرفون حقانية أهل البيت وأفندتهم تهوى إليهم كما كان في البصرة معارضة شيعية لها اجتماعاتها ومنتدياتها السرية. إذن ففى مبادرة الإمام في الكتابة إلى كل هؤلاء القاء للحجة عليهم وقطع العذر بالقول أنهم لم ينصروا ابن بنت رسول الله لأنهم لم يعلموا بقيامه ونهضته.

3 - من ثمرات هذه الرسالة إعلام البصريين الراغبين في نصرته بأمر نصرته بأمر نهضة، وتعبنتهم لذلك من خلال أشرفهم المواليين لأهل البيت كمثّل يزيد بن مسعود النهشلي وأمثاله»(1).

ومن هنا نحن نعتقد بأن مهمة رسول الإمام الحسين إلى البصرة لم تقتصر على رؤساء الاخماس بل شملت كل طبقات المجتمع والنوادي والمجالس الرئيسية فيها لاسيما مجالس ونوادي المواليين لأهل البيت عليهم السلام، وربما كان من جملة الحضور في بيت مارية العبدية مع شخصيات الشيعة الموالية في داخل البصرة، بل ربما التقى في وقت ما مع من خرج من شهداء كربلاء والتحق بالحسين مبكراً. ومما يزيد الأمر وضوحاً هو ما سوف نتحدث عنه بشكل تفصيلي في فقرة (الشهادة) من أن الشهيد سليمان قد تم إلقاء القبض عليه في بيت احد الشيعة المواليين، داخل البصرة، مما يؤكد حقيقة سعة مهمة هذا الشهيد (رض).

ص: 234

1- (1) الركب الحسيني (الإمام الحسين في مكة المكرمة) للشيخ الطبسي: ج 2 ص 363-364.

لا- يسع الإنسان وهو يقرأ ويتأمل في موقف هذا الرجل مع رسالة الحسين عليه السلام، بل والمواقف التي صدرت منه قبل ذلك إلا وتشربت عنقه إلى السماء فخراً واعتزازاً أن يوجد في تاريخنا الإسلامي مثل هؤلاء الرجال الابدال الذي طلقوا الدنيا وعافوها من أجل الدين ونصرة المظلومين. ولئن كان هذا الموقف بل والمواقف المتقدمة عليه قد كشفت عن معدن هذا الإنسان الأصيل فإنها كشفت في نفس الوقت عن مكانته وسمو كعبه بين قومه وأبناء عشيرته بل وحتى بين القبائل الأخرى لاسيما حينما عبروا عنه بأنه «فقرة الظهر ورأس الفخر حللت في الشرف وسطاً وتقدمت فرطاً»، يقول المؤرخون أن يزيد بن مسعود النهشلي بمجرد أن وصلت إليه رسالة الإمام الحسين عليه السلام ورسوله الكريم رحب بهما أيما ترحيب وجمع بني تميم وبني حنظلة وبني سعد وقال لهم: «يا بني تميم كيف ترون موضعي فيكم وحسبي فيكم؟ فقالوا: أنت فقرة الظهر ورأس الفخر حللت في الشرف وسطاً وتقدمت فرطاً قال: قد جمعتكم لأمرٍ أشاوركم فيه وأستعين بكم عليه قالوا: والله إنا نمنحك النصيحة ونجهد لك الرأي فقل نسمع. فقال: إن معاوية قد مات، فأهون به والله هالكاً ومفقوداً، ألا وإِنَّه قد انكسر باب الجور والإثم، وتضعضت أركان الظلم، وقد كان أحدث بيعة عقد بها أمراً وظن أنه قد أحكمه، وهيئات الذي أراد، اجتهد ففشل، وشاور فخذل، وقد قام ابنه يزيد شارب الخمر، ورأس الفجور، يدعى الخلافة على المسلمين، ويتأمر عليهم بغير رضا منهم مع قصر حلم وقلة علم، لا يعرف من الحق موطئ قدمه، فأقسم بالله

قسماً جدورا، لجهاده على الدين أفضل من جهاد المشركين. وهذا الحسين بن علي، ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذو الشرف الأصيل والرأى الأثيل، له فضل لا يوصف وعلم لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر لسابقته وسنه وقدمه وقربته، يعطف على الصغير ويحنو على الكبير فأكرم به راعى رعيتة وإمام قوم وجبت لله به الحجة، وبلغت به الموعظة، فلا تعشوا عن نور الحق، ولا تسكعوا في هدة الباطل، فقد كان صخر بن قيس(1) انخذل بكم يوم الجمل فاعسّ لموها بخروجكم إلى ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونصرته، والله لا يقصر أحدٌ عن نصرته إلا أورثه الله الذلّ في ولده والقلة في عشيرته، وها أنا قد لبست للحرب لامتها وأدرعت لها بدرعها، من لم يقتل يمت ومن يهرب لم يفت، فاحسنوا رحمكم الله ردّ الجواب. فتكلمت بنو حنظلة فقالوا يا أبا خالد نحن نبل كنانتك وفرسان عشيرتك. إن رميت بنا أصبت وإن غزوت بنا فتحت لا تخوض والله غمرة إلا خضناها، ولا تلقى والله شدة إلا لقينها، ننصرك والله بأسيفنا ونقيك بأبداننا فانهض لما شئت، وتكلمت بنو سعد بن زيد فقالوا: يا أبا خالد إن أبغض الأشياء إلينا خلافاك والخروج عن رأيك وقد كان صخر بن قيس أمرنا بترك القتال. فحمدنا أمرنا وبقي عزّنا فينا، فأمهلنا نراجع المشورة ونأتك برأينا. وتكلمت بنو عامر بن تميم فقالوا: يا أبا خالد نحن بنو أبيك وحلفاؤوك، لا نرضى أن غضبت ولا تقطن إن ظعنت، والأمر إليك فادعنا نجيبك ومُرنا نطعك والأمر إليك إذا شئت، فقال والله يا بنى أسد لئن فعلتموها لا يرفع الله السيف عنكم أبدا، ولا يزال السيف فيكم»(2)، وقبل أن نسترسل في

ص:236

1- (1) المراد به: الاحنف بن قيس/راجع سير أعلام النبلاء: ج 4 ص 85، واسبغ الغابة: ج 1: ص 55.

2- (2) اللهوف في قتلى الطفوف: ص 28.

الحديث عن مواقف هذا الرجل الأصيل أود أن اشير ولو على نحو السرعة إلى بعض النقاط المهمة التي تضمنها كلامه مع قومه:

نقاط مهمة في خطبة يزيد النهشلي

(ألف) لقد تحدث يزيد بن مسعود النهشلي عن هلاك معاوية وارتياحهم من هلاكه بشكل يكشف ان القائل والمستمع كليهما ممن لا يرتضى معاوية ولا يميل إليه، وما ذاك إلا لعظم الظلم الذي حلّ ونزل في البصرة واهلها جميعاً على السواء من قبل ولاته الجائرين، فقد نقل الطبري في تاريخه وفي حوادث سنة 50 للهجرة عن محمد بن سليم: «قال: سألت أنس بن سيرين، هل كان سمرة(1) قتل احداً؟ قال: وهل يقدر من قتله سمرة بن جندب، واستخلفه زياد على البصرة وأتى الكوفة فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس فقال له: ألا تخاف ان تكون قد قتلت بريئاً؟ قال: لو قتلت مثلهم ما خشيت»(2) فضلاً عما صنعه زياد بن أبيه من جرائم، «قال الحسن البصري: بلغ الحسن بن علي ان زياداً يتتبع شيعة علي بالبصرة فيقتلهم فدعا عليه»، أما ولده عبيد الله بن زياد فحدث ولا حرج فالحديث عنه يطول، فقد ملئت به كتب المؤرخين.

(باء) رفضه لبيعة يزيد وبيان خسته وخلوه من كل خلقٍ حسن، فهو شارب

ص: 237

-
- 1- (1) هو سمرة بن جندب، يقول عنه ابن الأثير: «سكن البصرة وكان زياد يستخلفه عليها إذا صار إلى الكوفة ويستخلفه على الكوفة إذا صار إلى البصرة فكان يكون في كل واحدة منهما ستة أشهر..» اسد الغابة: ج 2 ص 354.
- 2- (2) تأريخ الطبري: ج 3 ص 176.

للخمر معلن بالفسق والفجور ومن يكن حاله هكذا كيف يمكن أن يقبله المسلمون لهم حاكماً وخليفة يحكم باسم الله ويتبع هديه ويطبق دينه.

(جيم) دعاهم إلى نصرة الإمام الحسين عليه السلام صاحب المآثر والمفاخر والحائز على الدرجات العلى في سُلّم الكمال والعلم والإيمان والنسب وما شاكل ذلك من صفات العز وصفات الفخر، وقد أبدى استعداداه الكامل أمامهم في الالتحاق به والشهادة بين يديه وهذه تعبئة كاملة وافية وشاملة لهم، لاسيما بعد ان رفع إشكالاتهم وغسل صدورهم من أدران الماضي واخفاقاته لاسيما في حرب الجمل مع أمير المؤمنين من خلال غسلها بنصرة الحسين والذبّ عنه والتضحية بين يديه.

ولما رأهم قد زاد شوقهم للحسين وخفقت قلوبهم للرحيل إليه، كتب إلى الحسين عليه السلام كتاباً في منتهى الروعة وتضمن كلماتٍ في غاية الدقة حتى لقد ذكر في طيّات حديثه أنهم أصبحوا أشدّ شوقاً من الأبل الظماء إلى مورد الماء المعين.

قال يزيد بن مسعود النهشلي في رسالته للحسين عليه السلام: «أما بعد: فقد وصل إليّ كتابك وفهمت ما ندبتني إليه، ودعوتني إليه من الأخذ بحظي من طاعتك والفوز بنصيبي من نصرتك، وإن الله لم يخل الأرض من عامل بخير ودليل على سبيل نجاة وأنتم حجة الله على خلقه ووديعته في أرضه تفرعتم من زيتونة أحمدية هو أصلها وأنتم فرعها فأقدم سعديت بأسعد طائر فقد ذلت لك أعناق بني تميم وتركتمهم أشدّ تتابعاً في طاعتك من الإبل الظماء لورود الماء يوم خمسه، وقد ذلت لك رقاب بني

سعد وغسلت درن قلوبها بماء سحابة مزن حين استهل برقها فلمع»(1) فلما قرأ الحسين الكتاب قال: «آمنك الله يوم الخوف وأعزك وأرواك يوم العطش الأكبر»(2)، ويذكر المؤرخون أن الذي أوصل هذا الكتاب إلى الإمام الحسين عليه السلام هو أحد شهداء كربلاء واسمه «الحجاج بن بدر التميمي السعدي»(3) ويبدو أنه كان من جملة الحضور الذين تحدث معهم يزيد بن مسعود النهشلي، فانتدبه إلى هذه المهمة المقدسة فذهب وبقي مع الحسين واستشهد بين يديه.

اجتماع الشيعة في دار مارية بنت منقذ العبدى

يبدو أن رسول الحسين عليه السلام إلى البصرة قد تحرك بشكل كبير وعلى مختلف الصُّعد، حيث تمخضت عن تلك التحركات مجموعة من الاجتماعات ذكر المؤرخون بعضها وغفلوا أو تغافلوا عن البعض الآخر. ومن هذه الاجتماعات التي عقدت مبكراً في البصرة وقبل اللقاء القبض على رسول الحسين «سليمان» بل وحتى قبل انعقاد المؤتمر الكبير لرؤساء أحماس البصرة ووجهائها هو اجتماع شيعة أهل البيت في دار المرأة الصالحة «مارية بنت منقذ العبدى» والتي يقول عنها المامقاني: «عن أبي مخارق الراسبي قال: اجتمع ناسٌ من الشيعة بالبصرة في منزل امرأة من عبد القيس يقال لها مارية ابنة سعد أو منقذ أياما وكانت تتشيع وكان منزلها لهم مألفاً يتحدثون فيه»(4)، وكان من جملة المجتمعين يزيد بن ثبيط

ص:239

1- (1) اللهوف: ص 110، مثير الاحزان: ص 27-29.

2- (2) المصدر السابق.

3- (3) انظر: أعيان الشيعة: ج 4 ص 564، ومستدركات علم الرجال: ج 2 ص 306.

4- (4) تنقيح المقال للعلامة المامقاني: ج 3 ص 82

العبدى (رض) الذى حظر الاجتماع مع ابنائه العشرة والذى قال لهم أولاً: «أيكم يخرج معى متقدماً؟ فانتدب له إثنان هما: عبد الله وعبيد الله. فقال لأصحابه فى بيت مارية: إني قد أزمعت على الخروج وهأنا خارج، فمن يخرج معى؟ فقالوا: إنا نخاف اصحاب ابن زياد(1)، فقال إني والله لو قد استوت اخفافها بالجُدَد(2) لهان علىّ طلب من طلبنى ثم خرج وإبناه وصحبه عامر ومولاه وسيف بن مالك والادهم بن أمية وقوى فى الطريق حتى أنتهى إلى الحسين عليه السلام وهو بالأبطح من مكّة فاستراح فى رحلة ثم خرج إلى الإمام الحسين إلى منزله...»(3).

موانع التحاق شيعة البصرة بالحسين عليه السلام

لم يكن فى البصرة عدد قليل من الشيعة، بل كان فيها الآلاف من الموالين لأهل البيت عليهم السلام، ومن ثم فكان ينبغى ان تخرج اعداد كبيرة لنصرة الحسين عليه السلام، ومع عدم خروجهم تكون هناك علامة استفهام كبرى عن أسباب وموانع عدم الالتحاق بالحسين عليه السلام والتي أفدّر أنها يمكن ان تتلخص بمجموعة من النقاط المهمة وهى:

1 - وجود نظام مستبد ظالم فى البصرة، كان قد تتبع شيعة أهل البيت عليهم السلام ونكلّ بهم، حتى أمتلأت بهم السجون والمقابر ولمدّة طويلة من الزمن، وللمثال أذكر أن سمرة بن جندب كان يقتل فى ستة أشهر فقط وهى مدّة ولايته على

ص: 240

1- (1) تاريخ الطبرى: ج 3 ص 278.

2- (2) الجُدَد: الارض الصلبة المستوية، راجع بحار الانوار: ج 32 ص 262

3- (3) إِبصار العين: ص 189-190.

البصرة من قبل زياد ما يقارب ثمانية آلاف رجل، ولاشك ولا ريب أن جُلَّ هؤلاء - ان لم يكونوا كلهم - كانوا من شيعة أهل البيت ومثل هذه السياسة كانت متبعة حتى قبل زياد بن سمية ثم ازدادت في زمن زياد، وبلغت ذروتها في زمن ولده المشؤوم عبيد الله بن زياد، ومن ثم أحكم ابن زياد قبضته على البصرة بشكل، كامل، فلم تحصل فيها أية اضطرابات تذكر بخلاف الكوفة التي كانت تحت إمرة رجل ضعيف في إدارته أو أنه يتضاعف وقد قال كلمته المشهورة: إني لا أقاتل من لم يقاتلني وهو النعمان بن بشير الانصارى وان قلت لى فكيف استطاع إذن مجموعة من البصريين الخروج لنصرة الحسين عليه السلام؟ أقول: بأن خروج هذه الثلة المؤمنة كان مبكراً حيث استطاعوا ان يصلوا إلى الحسين عليه السلام وهو في مكة لم يخرج إلى الطرق وهذا يعنى أنهم وصلوا إلى الحسين فى وقت لم يحصل فيه الانقلاب فى داخل الكوفة ولم يصل فيه بعد ابن زياد إليها، ومع كل ذلك فقد قال بعضهم ممن كانوا قد اجتمعوا بالشهداء البصريين قبل خروجهم «إنا نخاف ابن زياد» مما يفيد أن ظلم وجور ابن زياد وصل إلى درجة صارت الناس تخاف منه حتى وان لم يكن هناك شىء يذكر فى البصرة فكيف الحال بعد ذلك عندما أغلقت الطرق وسدَّتْ بِشَكْلِ كامل لاسيما بعد ان خطب خطبته التى توعدها فيها أهل البصرة بالموت والشبور إذا أحسَّ منهم أية حالة تمرّد أو إرادة نصرة للحسين عليه السلام.

2 - ان الحسين عليه السلام لم يأمر شيعته فى البصرة بالالتحاق به على نحو الوجوب، وإنما كانت عبارة عن دعوة لنصرة الحق والوقوف إلى جانبه وترك

الباطل وعدم الركون إليه وقبل هذا الامر وان كان مهماً ولكنه يختلف من حيث الآثار الدينية والدينية عن إيجاب الحسين عليه السلام مثل هذا الأمر عليه، ويبدو أن الحسين عليه السلام لم يتخذ هذا الأمر مع أهل البصرة فحسب بل كان هذا الأمر قد اتخذته حتى مع أهل الكوفة وقبل ذلك في مكة والمدينة، فلم يكن الحسين عليه السلام يخاطب من يراه ويدعوه بلغة الوجوب لنصرته بل كانت جُلّ خطابات الحسين عليه السلام وكلماته لمن رآه ودعاه على مستوى الفرد والمجاميع عبارة عن «من لحق بنا استشهد ومن لم يلحق بنا لم يدرك الفتح» ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه فليرغب المؤمن في لقاء ربه محققاً...» وما شاكل ذلك من هذه العبارات الشريفة، وهي وان كانت لها آثار عظيمة في نفس القارئ والسامع لها، ولكنها بلا شك لا تقل في آثارها إلى الدرجة التي يمكن أن يصل لها الإنسان فيما إذا كانت هناك حالة إيجاب واضحة وصریحة من قبل الإمام في ضرورة نصرته عليه السلام، بل إن المتتبع لسيرة سيد الشهداء مع من تكلم معهم لنصرته وأبوا ذلك إما لخوفهم على أنفسهم أو لإسباب أخرى كان ينصحهم بعدم القرب من كربلاء ومن منطقة البلاء التي تنتظر الحسين وأهل بيته وأصحابه، وبعبارة أخرى نصحهم بعدم سماع واعيتهم، بل إننا نجد ان مثل هذا الأمر اتخذته الحسين حتى مع اصحابه الملتحقين به حينما قال لهم ارجعوا فأنتم في حلّ من بيعتي ليس عليكم منى ذمام ولكنهم أبوا إلا الشهادة بين يديه، وعليه فإن الأمر مع شيعة البصرة كان ضمن هذا السياق وهذا المنهج الحسيني ولا ريب ان الأمر ربما يختلف بشكل واضح في درجة التفاعل مع الحركة الحسينية لو كانت هناك حالة

وجوب في نصرته الحسين بدلاً من الدعوة إلى نصرته والوقوف إلى جانبه بشكل عام، ومع كل ذلك فقد فاز بذلك مجموعة من الشهداء ممن لا يرون الخوف والذعر والفرع والاعراض معوقات للخروج إلى نصرته الحسين، كما قال يزيد بن ثبيط العبدى لمن معه ذلك بشكل واضح وصريح: «إني لو استوت أخفافها بالجُدِّد لهان عليّ طلب من طلبني».

3- ربما حاول البعض جاهداً كيزيد بن مسعود النهشلي بعد وصول رسالة الإمام الحسين عليه السلام إليه أن يبذل قصارى جهده أن لا يكون خروجه بمفرده أو بمجموعة قليلة لا تتناسب مع مقام الشيعة والموالين في داخل الكوفة، ولهذا بذل جهداً كبيراً من أجل دعوة القبائل التي عرفت بالولاء والميل إلى أهل البيت عليهم السلام ودعاها إلى نصرته الحسين عليه السلام، وقد جرت في تلك الجلسات التي لا شك أنها استمرت لأوقات طويلة وبشكل سرى للغاية تحت سلطان بنى أمية وعميون ابن زياد، مناقشة مجموعة من الإشكالات التي كانت قد حصلت في السابق سواء في حرب الجمل أو غيرها، وقد استطاع هذا الرجل الموالى من استئصال كل حالة شك وريبة وغلّ كانت تنتاب قلوبهم ومشاعرهم حتى وصل إلى درجة كتب فيها إلى الحسين عليه السلام بكلمات تكشف عن مدى هذا الجهد الكبير الذي بذله والوقت الذي يمكن للإنسان ان يتلمسه ويقراه في ثبات هذا العمل حيث قال: «فقد ذلت لك أعناق بنى تميم وتركتمهم أشدّ تتابعاً لك من الإبل الظماء يوم خمسه لورود الماء وقد ذلت رقاب بنى سعد وغسلت لك درن صدورها بماء سحابة مُزن حين استهل برفعها فلمع» وهذه الكلمات التي ذكرها

هذا الرجل الموالي، «ذلت.. وغسلت درن صدورها..» لاشك أنها احتاجت مدّة طويلة من الزمن ومن ثم ما إن حصل الاتفاق على النصره ومضت مرحلة الإعداد للسلاح والخروج حتى جاء خبر شهادة الحسين وهم في طريق الوصول إليه، ولقد نقل التاريخ ان العدد بلغ اثني عشر ألف رجل مقاتل.

4 - وإضافة لكل ما تقدم فإننا لا نجانب الحقيقة إذا ما قلنا بأن الهوان والشلل النفسى الذى أصاب الأمة نتيجة سياسة القتل والارهاب قد أتت ثمارها بشكل واضح على قطاعات كبيرة من الناس فى البصرة لاسيما المواليين منهم، وربما يمكن للإنسان ان يتلمس مثل هذا الأمر بخروج عبيد الله بن زياد من البصرة مع خمسمائة رجل جلهم من الشيعة إلى جهة الكوفة وكان على رأس هذه المجموعة عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشى الهاشمى وشريك بن الاعور واللذان كانا من شيعة علىّ والمواليين له، وقد بدت آثار عدم قبولهم للذهاب فى هذا الوجه مع ابن زياد من خلال تساقطهم فى الطريق بمرض وغيره لعلهم يستطيعون بذلك ان يؤخروا ابن زياد عن الدخول إلى الكوفة قبل الحسين عليه السلام،

هل يكفى التساقط فى طريق الكوفة ؟

يقول الشيخ الطبسى معلقاً على هذا الأمر: «ترى هل كان هذا التساقط أفضل الوسائل لتعويق ابن زياد ومنعه من دخول الكوفة قبل الإمام؟ وإذا كان شريك ومن معه من الشيعة يعرفون الدور الخطير الذى سيقوم به ابن زياد لاستباق حركة الاحداث فى الكوفة وإدارتها لصالح يزيد، أفلم يكن من الراجح ان يقتلوا ابن

زيد بأى صورة سرّاً أم علناً وإن أدى ذلك إلى قتل أحدٍ منهم أو جميعهم بعد ذلك ترجيحاً لمصلحة الإسلام العليا؟ أمّ أننا هنا أيضاً أمام صورة أخرى من صور الوهن والشلل النفسى الذى أصاب الأمة وتفشى فيها، فأصاب هؤلاء أيضاً فأروا ان أقصى ما يمكنهم المبادرة إليه هو التساقط فى الطريق فقط متمنين للإمام ان ينصره الله على أن لا تتعرض دنياهم لأى ضرر أو خطر. إننا لا نشك فى أخلاص شريك وأمثال شريك من شيعة عليّ ولكننا نعجب من اقتصارهم على التفكير فى التساقط فقط، وعدم تدبيرهم لخطة يتخلصون بها من ابن زياد ويخلصون الأمة منه فى ثنايا الطريق من البصرة إلى الكوفة، وربما كان قتل ابن زياد بتدبير خفى غامض فى ليلة ظلماء فى هذه المرحلة أيسر بكثير من حيث الاعتبارات العرفية والتبعات من قتله فى بيت هانئ بن عروة على ضوء الخطة التى اقترحها شريك نفسه يومذاك. نقول هذا كله بحسب الموازين والحسابات الظاهرية ونعلم ان إرادة الله وتقديراته شىء آخر» (1).

وقت شهادة سليمان

لقد استمرت حركة الشهيد سليمان فى البصرة بشكل متواصل ودؤوب ليلاً ونهاراً، متنقلاً بين المجالس والبيوت شارحاً ومبيناً وداعياً ومستصرخاً أهل البصرة لاسيما الموالين منهم كما تقدم، لنصرة الحسين عليه السلام والوقوف إلى جانبه فى حركته ضد سلطان بنى أمية وأعوانهم لاسيما فى الكوفة والبصرة، وأقدّر أن هذه المدة لم تكن بالمدة القليلة، حيث امتدت إلى أكثر من شهرين على أقل التقادير،

ص: 245

أبتدأت من بعثة الحسين عليه السلام له في مكة بعد وصوله إليها في شعبان واستمرت إلى يوم شهادته والذي نحتمل أنه كان في آخر ذي القعدة أو أول ذي الحجة، يقول الخوارزمي في مقتله: إن شهادة سليمان كانت في نفس يوم رحيل وسفر ابن زياد إلى الكوفة: «فضرب عنقه صبراً ثم أمر بصلبه ثم صعد المنبر وقال: ان يزيد ولأني الكوفة وانا سائر إليها»(1)، ومن المعلوم ان سفر ابن زياد إلى الكوفة كان في أول ذي الحجة، بينما يقول السيد ابن طاووس: ان الأمر حصل في عشية يوم سفره: «فأخذ عبيد الله الرسول فقتله، ثم بات تلك الليلة فلما أصبح استتاب عليهم أخاه...»(2).

كيفية الشهادة

روى الخوارزمي في مقتله وغيره ان الشهيد سليمان مولى الحسين قتل صبراً ثم صلب، وعلى رواية ابن حجر المتقدمة والمزى أن ابن زياد رمى جسده من فوق المسجد الجامع أو من أعلى المنارة إلى الأرض، ومن ثم جرى على الشهيد من القتل ما جرى على سفير الحسين إلى الكوفة مسلم بن عقيل عليه السلام. يقول الخوارزمي: «فكل من قرأ كتاب الحسين كتبه إلا المنذر بن الجارود فإنه خشى أن يكون هذا الكتاب دسيساً من ابن زياد، وكانت بحرية بنت المنذر بن الجارود تحت عبيد الله بن زياد، فأتى ابن زياد وأخبره فغضب وقال: نرسول الحسين إلى أهل البصرة؟ فقال المنذر: رسوله إليهم مولى يقال له سليمان قال: فعلى به

ص: 246

1- (1) مقتل الحسين للخوارزمي: ص 288.

2- (2) اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ص 29.

فأتى به وكان مختفياً عند بعض الشيعة (1) بالبصرة فلما رآه ابن زياد لم يكلمه بشيء دون أن قدّمه فضرب عنقه صبراً ثم أمر بصلبه ثم صعد على المنبر (2) وخطبهم خطبته المشهورة التي توعد فيها أهل البصرة وان يأخذ البريء بغيره قائلاً: «أما بعد فوالله ما تقرن بى الصعبة ولا يقع لى بالشنان، وإنى لنكلّ لمن عادانى، وسّم لمن حاربنى أنصف القارة من راماها، يا اهل البصرة إن أمير المؤمنين ولّانى الكوفة وأنا غادٍ إليها الغداة، وقد استخلفت عليكم عثمان بن زياد ابن أبى سفيان، وإياكم والخلاف والأرجاف فوالذى لا إله غيره لئن بلغنى عن رجل منكم خلاف لأقتلنه وعريفه ووليه ولأخذن الأذننى بالأقصى حتى تستمعوا لى ولا يكون فيكم مخالف ولا مشاق، أنا ابن زياد، أشبهته من بين من وطئ الحصى ولم ينتزعنى شبه خال ولا ابن عم» (3).

ص: 247

-
- 1- (1) تسليمة المجالس وزينة المجالس، محمد بن أبى طالب الحسينى الكركى: ج 2 ص 176.
 - 2- (2) اللهوف فى قتلى الطفوف: ص 110.
 - 3- (3) تاريخ الطبرى: ج 5 ص 358.

مصادر الكتاب

1. القرآن الكريم.
2. إِبصار العين في أنصار الحسين للشيخ محمد السماوي/مطبعة حرس الثورة الاسلامية سنة 1419 هـ -.
3. إِبصار العين في أنصار الحسين للشيخ محمد السماوي/مطبعة حرس الثورة الاسلامية سنة 1419 هـ -.
4. ابن كثير (البداية والنهاية)، مطبعة السعادة، الطبعة الأولى سنة 1351 هـ -.
5. ابن ماجة في سننه، طبعة المكتبة العلمية في بيروت.
6. إتحاف الأعيان - سيف بن طمود البطاشي، مكتب المستشار الخاص لجلالة السلطان - طبعة 1419.
7. إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن وأشراط الساعة لابن حمود النويجري/سنة النشر 1976 م.
8. إثابة الهداة للحر العاملي / المطبعة العلمية / قم.
9. إثبات الوصية للمسعودي/المطبعة الحيدرية / النجف.
10. الاحتجاج للشيخ الطبرسي، مكتبة النعمان - النجف سنة 1386 هـ -.
11. أحكام الذمة لابن قيم الجوزي، مطبعة المدني، القاهرة، تحقيق جميل غازي، سنة 1997 م.
12. أحكام القرآن، لأبن عربي.
13. الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم الأندلسي، دار الحديث - القاهرة - طبعة مصر 1929.

14. الأخبار الطوال للدينوري/دار احياء التراث/سنة 1960 هـ -.
15. اختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي/المطبعة الحيدرية / النجف/الطبعة الاولى.
16. الاخلاف بين الطبع والتطبع/فيصل بن عبده قائد الحاشدى.
17. أخلاق الإمام الحسين، لعبد العظيم المهتدى البحراني، انتشارات الشريف الرضى.
18. الآداب الشرعية لابن مفلح/تحقيق شعيب الأرنؤط/مؤسسة الرسالة/ بيروت / الطبعة الاولى.
19. أدب الطف أو شعراء الحسين/مؤسسة التاريخ / بيروت / 1422 هـ - / الطبعة الأولى.
20. الإرشاد للشيخ المفيد/مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث/سنة 1414 هـ -.
21. أزمة الخلافة والإمامة، أسعد وحيد القاسم.
22. الاستيعاب لابن عبد البر/دار الجيل / بيروت / سنة 1412 هـ -.
23. أسد الغابة لأبن الاثير/دار الكتاب العربى.
24. أسرار الشهادة للدربندى/منشورات الأعلمى / بيروت.
25. إشعار الشعراء للأعلم الشنتمرى.
26. الاصابة فى معرفة الصحابة لابن حجر/مطبعة السعادة بمصر / سنة 1328 هـ -.
27. الأصول الشرعية للسيد عبد الله شبر، مكتبة المفيد، 1404 هـ -، قم.
28. الأصول العامة للسيد محمد تقى الحكيم، تحقيق وفى الشناوة، الطبعة الثانية، مؤسسة آل البيت.
29. أصول الكافى لمحمد بن يعقوب الكلينى/مطبعة النجف 1376 هـ -.
30. أضواء على الثورة الحسينية للسيد محمد صادق الصدر / بيروت / الطبعة الأولى.
31. أعلام الورى بإعلام الهدى للطبرسى/مؤسسة آل البيت عليهم السلام /قم.
32. الأعلام للزركلى/دار العلم للملايين/الطبعة الخامسة عشر/سنة 2002 م.
33. أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين/مطبعة الانصاف/بيروت 1380 هـ -.
34. الافصاح للشيخ المفيد/تحقيق محمد رضوان العرقسوسى/ الطبعة الأولى.

35. إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس، تحقيق جواد القيومي الاصفهاني سنة 1414 هـ - الطبعة الأولى.

ص: 249

36. الإكليل فى أنساب أهل اليمن للهمداني، المطبعة السلفية سنة 1368 هـ -.
37. الاكمال لابن هاكولا، طبعة دائرة المعارف العثمانية - الهند سنة 1963 م.
38. أمالى الشيخ الصدوق/الطبعة الاولى 1417 هـ - /مؤسسة البعثة.
39. أمالى الشيخ الطوسى، أبى جعفر محمد بن الحسن الطوسى - تحقيق محمد صادق بحر العلوم، سنة النشر 1981 م.
40. أمالى الشيخ المفيد، تحقيق على أكبر غفارى، طبعة جامعة المدرسين قم 1403 هـ -.
41. الإمام الحسين سماته وسيرته، للسيد محمد رضا الجلالى/دار المعروف /قم.
42. الإمامة والسياسة، لابن قتيبة.
43. أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذرى، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلى، دار الفكر، 1417 هـ -.
44. الأنساب للبلاذرى/مؤسسة الأعلمى/ 1974 م/تحقيق محمد باقر المحمودى.
45. الأنساب للسمعانى، طبعة محمد أمين، بيروت، الطبعة الثانية 1400 هـ -.
46. أنصار الحسين للشيخ محمد مهدي شمس الدين /ط 2 /الدار الإسلامية/سنة 1401 هـ -.
47. الأنوار النعمانية للسيد نعمة الله الجزائرى، الطبعة الأولى، 1429 - دار الكوفة.
48. أهل البيت سماتهم وحقوقهم للشيخ جعفر السبحانى / مؤسسة الامام الصادق عليه السلام /قم.
49. إيضاح الاشتباه للعلامة الحسن بن يوسف بن المطهر، مؤسسة النشر الإسلامى، تحقيق محمد الحسون.
50. بحار الأنوار للعلامة المجلسى/الطبعة الثانية/مؤسسة الوفاء.
51. البحر الزخار، يحيى بن المرتضى، مطبعة السعادة، القاهرة.
52. بحر الفوائد، للكلابزى.
53. البداية والنهاية لابن كثير/تحقيق على شيرى/دار إحياء التراث / 1408 هـ -.
54. البصائر والذخائر، لأبى حيان التوحيدى.
55. بضائع التابوت فى نطف من تاريخ حضر موت، علوى بن طاهر الحداد، 1382 هـ -.
56. بطل العلقمى/عبدالواحد المظفر/المطبعة الحيدرية / النجف.

57. بغية الطلب فى تاريخ حلب لابن النديم.
58. بغية النبلاء بتاريخ كربلاء للسيد عبدالحسين آل طعمة.
59. بنور فاطمة اهتديت عليهما السلام عبد المنعم حسن عليهما السلام دار الخليج العربى عليهما السلام الطبعة الثانية
60. تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدى / طبعة الكويت.
61. تاريخ السنة النبوية/صائب عبدالحميد.
62. تاريخ الشيعة للعلامة المظفر/مطبعة الزهراء عليها السلام / النجف.
63. تاريخ الطبرى، أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى، مطبعة الاستقامة، القاهرة 1939 هـ -.
64. تاريخ الفقه الإسلامى وأدواره للشيخ سبحانى، الطبعة الأولى سنة 1432 هـ -.
65. التاريخ الكبير ابن أبى خيثمة طبعة دار الفارق، طبعة دار الوطن، تحقيق اسماعين حسن حسين.
66. التاريخ الكبير للبخارى/المكتبة الاسلامية /ديار بكر / تركيا.
67. تاريخ الكوفة للسيد البراقى/تحقيق ماجد أحمد العطية/المكتبة الحيدرية/ 1424 هـ -.
68. تاريخ المدينة المنورة، لأبى زيد عمر بن شبة النميرى، تحقيق محمد على دندل، بيروت، 1417 هـ -.
69. تاريخ النياحة على الإمام الحسين، للسيد الشهرستانى.
70. تاريخ بغداد للبغدادى، مطبعة السعادة - مصر عام 1349 هـ -.
71. تاريخ دمشق لابن عساکر/دار الفكر - بيروت/ 1415 هـ -.
72. التحرير والتنوير لابن عاشور (تفسير القرآن) /دار سحنون.
73. تحفة الأحمدي بشرح سنن الترمذى، للمبار كفورى، دار إحياء التراث بيروت.
74. التحفة السنية للفيض الكاشانى، مكتبة الحضرة الرضوية - مشهد / إيران.
75. تذكرة الخواص لابن الجوزى، المطبعة الحيدرية، النجف 1383 هـ -.
76. تراث كربلاء لسلمان هادى طعمة/مؤسسة الأعلمى / بيروت.
77. ترجمة الإمام الحسين لابن عساکر/تحقيق محمد باقر المحمودى/ مجمع إحياء الثقافة الإسلامية/ 1414 هـ -.

78. ترجمة الإمام الحسين لابن عساكر/تحقيق محمد باقر المحمودى/مجمع إحياء الثقافة

ص:251

79. تسليمة المجالس وزينة المجالس لمحمد بن أبي طالب/تحقيق فارس حسون كريم.
80. تعجيل المنفعة لابن حجر، مطبعة مجلسي دائرة المعارف النظامية، سنة 1907 دار الكتاب العربي.
81. تفسير الآلوسي/دار إحياء التراث / بيروت.
82. تفسير الأمثل للشيخ مكارم الشيرازي/دار إحياء التراث / بيروت/الطبعة الأولى 2002 م.
83. تفسير البغوي/تحقيق خالد عبدالرحمن العك/دار المعرفة / بيروت.
84. تفسير الدر المنثور للسيوطي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، طبعة مركز هجر.
85. تفسير الرازي الكبير، طبعة دار الفكر، القاهرة سنة 1980 م.
86. تفسير الصافي المولى محسن الفيض الكاشاني، الطبعة الثانية، 1416 هـ -.
87. تفسير الطبري/دار السلام للطباعة والنشر/الطبعة الأولى / القاهرة.
88. تفسير القرطبي/مطبعة دار الكتاب / القاهرة 1968 م.
89. تفسير الماوردي/طبعة وزارة الأوقاف / الكويت.
90. تفسير الميزان للسيد محمد حسين الطباطبائي/انتشارات إسرائ.
91. تفسير نور الثقلين للعلامة الشيخ عبد علي جمعة العروسي الحويزي، الطبعة الثانية 1383 تصحيح هاشم المحلاتي.
92. تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني، دار الفكر بيروت سنة 1984.
93. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق محمد بن عبد القادر سنة النشر 1999 م.
94. تنبيه الغالطين بأحاديث سيد المرسلين، للسمرقندي.
95. تنقيح المقال للمامقاني/المطبعة المرتضوية / النجف/سنة 1352 هـ -.
96. تهذيب التهذيب لابن حجر/دار الفكر/سنة 1404 هـ -.
97. تهذيب الكمال للمزى/مؤسسة الرسالة/سنة 1406 هـ -.
98. تهذيب تاريخ الإسلام لابن عساكر، مطبعة النرقى، الطبعة الأولى، دمشق 1349 هـ -.

99. الثقات لابن حبان/دار الفكر/الطبعة الاولى/سنة 1975 م.

100. ثمرات الأعواد للسيد على الهاشمي.

101. ثواب الأعمال، الطبعة الثانية، 1984 م.

102. ثورة الإمام الحسين عليه السلام للشيخ محمد مهدي شمس الدين/طبعة الاندلس / بيروت.

103. الثورة الحسينية دورها ومعطياتها، للسيد الحسين بن التقى آل بحر العلوم.

104. جامع الأحاديث للشيخ اسماعيل الملايري، الطبعة العلمية، قم 1399 هـ -.

105. الجامع للترمذي/مطبعة فخر المطابع بدلهي.

106. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، الطبعة الأولى، مجلس دائرة المعارف العثمانية - الهند 1952.

107. جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد مطامش، دار الفكر بيروت.

108. جمهرة أنساب العرب لابن حزم/تحقيق عبدالسلام هارون/دار المعارف.

109. جمهرة خطب العرب/أحمد زكي صفوت/الطبعة الثانية.

110. الجواهر المنظم في زيارة القبر النبوي الشريف المكرم للإمام ابن حجر الهيتمي، دار جوامع الكلم - القاهرة.

111. الحاكم في المستدرک/إشراف يوسف عبدالرحمن المرعشلي/طبعة مزينة بفهرس الأحاديث.

112. حاوی الأقوال للشيخ عبدالنبي الجزائري/تحقيق مؤسسة الهداية لإحياء التراث.

113. حبيب بن مظاهر للمظفری/النجف العلمية، 1370 هـ -.

114. الحسين يكتب قصته الأخيرة الشهيد محمد باقر الصدر / تحقيق صادق جعفر الروّازق، مكتبة الشهيد الصدر سنة 2006 م، النجف.

115. حلية الأبرار للسيد هاشم البحراني، الطبعة الثانية سنة 1969، مطبعة النعمان، النجف.

116. حلية الأولياء لابن نعيم الأصبهاني/دار الكتب العلمية / بيروت.

117. حوار مع الشيخ صالح بن عبدالله الدرويش للشيخ جعفر السبحاني / مؤسسة الإمام

118. حياة الحيوان للدميري، مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة 1378 هـ -.
119. خزانة الأدب للبغدادى/دار الكتب العلمية / بيروت/سنة 1998 م.
120. خصائص النسائي، الطبعة الأولى - الكويت 1986 م.
121. الخطط المقرزية، تقي الدين المقريزي، دار صادر - بيروت.
122. خلاصة الأقوال للعلامة الحلي/مؤسسة نشر الفقاهة/سنة 1417 هـ -.
123. دائرة المعارف، محمد حسين الأعلمى، مؤسسة الأعلمى، الطبعة الثانية، بيروت.
124. الدر المنضود للسيد الكلبيكاني/دار القرآن الكريم/سنة 1412 هـ -.
125. الدروس. للشهيد الأول.
126. دلائل الإمامة لأبي جعفر الطبري/مؤسسة البعثة/سنة 1413 هـ -.
127. دلائل النبوة للحافظ أبي نعيم/دار المعرفة / بيروت.
128. ديوان الإمام علي، تحقيق محمد عبد المنعم الخفاجي، دار ابن الزيتون.
129. ديوان السيد حيدر الحلي، منشورات الأعلمى بيروت، تحقيق علي الخاقاني.
130. ربيع الأبرار للزمخشري، مؤسسة الأعلمى، سنة 1992.
131. رجال ابن داود/منشورات المطبعة الحيدرية / النجف الأشرف/ 1392 هـ -.
132. رجال الشيخ الطوسي/مؤسسة النشر التابعة لجماعة مدرسي قم/سنة 1415 هـ -.
133. رجال الكشي/مؤسسة آل البيت عليهم السلام / قم.
134. رجال المامقاني، الطبعة الحجرية،
135. رجال النجاشي لأبي العيس أحمد بن علي النجاشي الأسدي، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي.
136. رجال النراقى، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، طبعة إيران - مطبعة دانشگاه سنة 1383 هـ -.
137. رسالة التقريب بين المذاهب، العدد 5 مقال بعنوان «حديث الثقلين للشيخ محمد واعظ زادة الخراساني.

138. الركب الحسينى من المدينة الى المدينة/طبعة ممثلة السيد الخامنى /قم.

ص:254

139. الروض المعطار فى خبر الأقطار/محمد عبدالمنعم الحميرى/مؤسسة ناشر الثقافية.
140. روضة الواعظين للفتال النيسابورى/منشورات الشريف الرضى/تقديم السيد محمد مهدي حسن الخرسان.
141. رياض الأحزان للمولى محمد هاشم بن محمد حسين.
142. رياض الشريعة لذبيح الله محلاتى.
143. زاد المعاد لابن القيم، تحقيق الأرنؤوط، طبعة مؤسسة الرسالة سنة 1994 م.
144. زيد الشهيد للعلامة المقرم، مطبعة القضاء، النجف، 1958 م.
145. سلسلة الأحاديث الصحيحة للألبانى/المكتب الإسلامى / بيروت.
146. سلسلة الأركان الأربعة للشيخ محمد جواد الفقيه.
147. سلسلة القبائل العربية فى العراق، للشيخ على الكورانى.
148. سنن ابن ماجة/طبعة دار الجيل/بيروت.
149. سنن أبى داود، تحقيق عزت مجيد الدعاس، الطبعة الأولى، 1388 هـ، طبعة حمص.
150. سنن البيهقى الكبرى، طبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند وطبعة سنة 1344 هـ.
151. سنن الترمذى/دار الفكر/تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف/سنة 1403 هـ.
152. سنن الدارمى، تحقيق عبد الله هاشم يمانى، القاهرة 1386 هـ.
153. سنن النسائى أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائى، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب 1406.
154. سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، مؤسسة الرسالة، ط 11.
155. سيرة ابن هشام، مطبعة المدنى - مصر، الطبعة الثانية 1383 هـ.
156. شجرة طوبى للشيخ محمد مهدي الحائرى، الطبعة الخامسة، لسنة 1385، المكتبة الحيدرية.
157. شرائع الإسلام، المحقق الحلوى.
158. شرح إحقاق الحق للسيد المرعشى/تحقيق محمود المرعشى/الطبعة الأولى 1976 هـ.
159. شرح النووى على صحيح مسلم/المطبعة البهية / مصر.

160. شرح مقامات الحريري للشيربسى.
161. شرح نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام/فخر الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الدين أبي الحديد المعتزلى/تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم/طبعة شركة الحلبي/ 1958 م/اعيدت الطبعة فى إيران.
162. شرح نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين، فخر الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد المدائنى، طبعة 1958 م، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.
163. شواهد التنزيل للحسكاني، الطبعة الأولى - بيروت - تحقيق المحمودى.
164. الشيعة الإمامية للسيدة نبيلة عبد المنعم داود، طبعة أولى، بيروت، 1994 م.
165. الصحابي المقداد بن الأسود - محمد على أسير، الطبعة الأولى، دار الاصاله، 1982 م.
166. صحيح ابن حبان/مؤسسة الرسالة/سنة 1414 هـ -.
167. صحيح البخارى/دار الفكر للطباعة والنشر/سنة 1401 هـ -.
168. صحيح الترمذى/مطبعة الصادى / مصر / الطبعة الأولى.
169. صحيح الجامع للألبانى، مطبعة الكتب الإسلامى، 1408.
170. صحيح مسلم/دار الفكر / بيروت/طبعة مصححة ومقابلة على عدّة مخطوطات.
171. صحيفة الإمام الرضا، تحقيق مهدي نجف، منشورات المؤتمر العالمى للإمام الرضا عليه السلام مشهد - إيران - الطبعة الأولى 1406 هـ -.
172. الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام.
173. الصراط المستقيم/على بن يونس العاملى/تحقيق محمد الباقر البهبودى/المكتبة الرضوية/ سنة 1384 هـ -.
174. صلح الإمام الحسن، للشيخ العلامة ياسين آل راضى، وتقديم: العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين العاملى.
175. الصواعق المحرقة لابن حجر، طبعة دار الطباعة المحمدية 1375 هـ -.
176. الصواعق المرسله/لابن قيم الجوزية/مطبعة الإمام.
177. الضعفاء الكبير لأبى جعفر محمد بن عمرو العقيلى، طبعة دار الكتب العلمية - بيروت 1404 هـ -.

178. الطبقات لابن سعد، بيروت، دار إحياء التراث، الطبعة الأولى سنة 1955 م.
179. طفولة مبكرة لأطفالنا للشيخ بوخضر/الناشر مؤسسة الفكر الإسلامي/هولندا.
180. العباس رائد الكرامة للشيخ باقر شريف القرشي/المطبعة الأولى/سنة 1377 هـ -.
181. عجائب الآثار للشيخ الجبرتي/محقق عن طبعة بولاق.
182. العرفان الإسلامي للسيد محمد تقى المدرسى.
183. عقد الدرر فى أحوال الإمام المنتظر/دار الكتب العلمية /بيروت/ 1403 هـ -.
184. العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي/المطبعة العامرة / مصر/عام 1316 هـ -.
185. علل الشرائع للشيخ الصدوق، أبى جعفر محمد بن على بن الحسين بن مسوى بن بابويه القمى، طبعة إيران.
186. علو الهمة لمحمد إسماعيل المقدم/مكتبة الكوثر.
187. على خطا الحسين/للدكتور أحمد راسم النفيس/مركز الغدير للدراسات الإسلامية / سنة 1418 هـ -.
188. عمدة الطالب لابن عنبه، تحقيق محمد حسن آل الطاقانى، الطبعة الثانية، سنة 1961 م منشورات المطبعة الحيدرية.
189. عمدة القارى فى شرح صحيح البخارى، طبعة دار الكتب بيروت الطبعة الأولى 1415 هـ -.
190. العوالم (الإمام الحسين) للشيخ عبدالله البحرانى/مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف /سنة 1407 هـ -.
191. عوالى اللاكى، لابن أبى مهور.
192. عوائد الأيام للمولى أحمد النراقى/مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية.
193. عيون أخبار الرضا، منشورات الشريف الرضى، الطبعة الأولى - ثم إيران.
194. عيون التواريخ، مخطوطة دار الكتب.
195. الغيبة للنعمانى، تحقيق على أكبرغفارى، منشورات مكتبة الصدوق - طهران 1397 هـ -.
196. فتح البارى لابن حجر، تحقيق عبد الله بن باز - محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة السلفية.
197. فتح القدير للمناوى، شرح الجامع الصغير للسيوطى، دار عالم الكتب، طبعة وزارة

198. فتوح البلدان للبلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، طبعة الموسوعات مصر، سنة 1319 هـ -.
199. فتوح الشام للواقدي - مطبعة مصطفى البابي الحلبي، تحقيق عبد الله عامر، بيروت 1970.
200. فرسان الهيجاء/الذبيح الله المحلاتي/الطبعة الأولى سنة 1386 هـ -.
201. الفصول المهمة للسيد عبدالحسين شرف الدين/مؤسسة البعثة/الطبعة الأولى.
202. فضائل الأشهر الثلاثة للشيخ الصدوق.
203. فضائل التسمية لابن بكير، تحقيق مجدى فتحى السيد، الطبعة الاولى سنة 1411 هـ -.
204. فضل الكوفة ومساجدها للمشهدى/دار المرتضى /بيروت/تحقيق محمد سعيد الطريحي.
205. فقه الإمام جعفر الصادق لمحمد جواد مغنية، دار الجديد، سنة 1992.
206. الفقه للمغترين للسيد السيستاني.
207. الفهرست لابن النديم، محمد بن إسحاق، المطبعة الرحمانية، القاهرة، 1928 م.
208. الفوائد الرجالية للسيد محمد مهدي بحر العلوم/مكتبة العلمين /النجف.
209. في رحاب عاشوراء للشيخ محمد مهدي الآصفي/مؤسسة نشر الفقاهة.
210. فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوى / أحمد عبدالسلام / دار الكتب العلمية/ 1415 هـ -.
211. قاموس الرجال للتستري/منشورات مركز نشر الكتاب / طهران / 1382 هـ -.
212. القرطبي لأحكام القرآن، مطبعة دار الكتب، القاهرة 1968.
213. قصة كربلاء لعلى نظرى منفرد/دار المحجة البيضاء/بيروت 1422 هـ -.
214. قصص الأنبياء للسيد الجزائري/منشورات الشريف الرضى /قم.
215. قضايا النهضة الحسينية، فوزى آل سيف، دار مجيء الحسين عليه السلام، الطبعة الأولى سنة 2002 م.
216. القول السديد فى شأن الحر الشهيد، لأية الله العظمى الخراسانى.

217. الكافي للشيخ الكليني/دار الكتب الإسلامية/سنة 1363 شمسي.
218. كامل الزيارات، لأبن قولويه، منشورات صدوق، صححه وعلق عليه بهرام جعفرى.
219. الكامل فى التاريخ لابن الأثير/المطبعة الأزهرية - مصر/الطبعة الأولى.
220. الكامل للمبرد، تحقيق محمد أحمد الوالى، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة 1997 م.
221. كتاب (كتاب وعتاب) للشيخ قيس العطار.
222. كتاب الاختصاص، للشيخ المفيد ط 2 سنة 1993 دار المفيد للطباعة والنشر.
223. كتاب الأربعين لابن عساكر/تحقيق محمد مطيع/دار الفكر المعاصر سنة 1992 م.
224. كتاب الأشتقاق لابن دريد، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت ط - 1 (1991 م).
225. كتاب الاعتصام للإمام الشاطىء/تحقيق مشهور حسن سلمان/الطبعة الأولى / سنة 1428 هـ -.
226. كتاب الأغاني لأبى فرج الأصفهاني/طبعة دار الكتب المصرية.
227. كتاب الاكتفاء بما تضمنه من مغازى رسول الله والثلاثة الخلفاء تحقيق: محمد كمال الدين على، دار الكتب بيروت.
228. كتاب الأوسط للطبراني، دار الحرمين - تحقيق الشيخ طارق عوض الله لعام 1415 هـ -.
229. كتاب البرصان والعرجان للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة المجلس.
230. كتاب التنبية والإشراق للمسعودى / دار صعب / بيروت.
231. كتاب التوبة. للسيد كمال الحيدرى.
232. كتاب الحج للسيد السيستاني.
233. كتاب الحيوان للجاحظ/مطبعة التقدم/مصر.
234. كتاب الخرائج والجرائح للقطب الراوندى/مؤسسة الإمام المهدي/الطبعة الأولى / سنة 1409 هـ -.
235. كتاب الخصائص الكبرى للسيوطى/دار الكتب العلمية.
236. كتاب الدعاء للشيخ محمد مهدي الآصفى.
237. كتاب الدمعة الساكبة فى أحوال النبىء والعترة الطاهرة لمحمد باقر البهبهاني، طبعة الكويت وبيروت.

238. كتاب الرجال لابن داود.

ص: 259

239. كتاب الصحبة والصحابة للشيخ فرحان المالكي/طبعة مزيدة ومنقحة ومضمنة عدة أبحاث جديدة.
240. كتاب الصحوة للاستاذ علي البياتي.
241. كتاب العباس، عبد الرزاق المقرم.
242. كتاب الغدير للأميني، دار الكتاب العربي، بيروت، 1403 هـ -.
243. كتاب الفتن للمروزي، مكتبة التوحيد القاهرة، الطبعة الأولى 1412 هـ -.
244. كتاب الفتوح لابن أعثم/تحقيق علي شيرى/ط 1 /دار الأضواء/ 1411 هـ -.
245. كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي/الطبعة الثانية/سنة 1364 هـ -.
246. كتاب المجالسة وجواهر العلم للدينوري،
247. كتاب المراثي للسيد الأمين، تحقيق حسن الأمين، دار بيروت للطباعة والنشر 1959.
248. كتاب المغازي، للواقدي، عالم الكتب للطباعة والنشر، سنة 2006 م.
249. كتاب المقدمة للشيخ المفيد/مؤسسة النشر الإسلامي/سنة 1410 هـ -.
250. كتاب ترجمة الإمام الحسين من كتاب الفضائل لابن حنبل، مؤسسة الرسالة، بيروت ط 1، 1403 هـ -.
251. كتاب صلح الإمام الحسن للسيد عبد الحسن شرف الدين.
252. كتاب مسلم بن عقيل للمقرم، مؤسسة البعثة، قسم الدراسات الإسلامية.
253. كتاب مصارع الشهداء ومقاتل السعداء، للشيخ سلمان آل عصفور، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية.
254. كتاب معرفة الإمام للسيد محمد حسين الحسيني الطهراني/الطبعة الأولى /المطبعة الحيدرية.
255. كتاب وانحدر الجمل من السقيفة لنبيل فياض، طبعة صيف - 1999 م.
256. كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم/مطبعة المدني/مصر/سنة 1383 هـ -.
257. كربلاء الثورة والمأساة أحمد حسين يعقوب، دار الغدير سنة 1418 هـ -- بيروت.
258. كفاية الأحكام، للمحقق السبزواري، مطبعة مؤسسة النشر التابعة لجماعة المدرسين في قم.

259. كفاية الطالب فى مناقب على بن أبى طالب، للكنجى، الطبعة الحيدرية.

260. كلمات الإمام الحسين عليه السلام، للشيخ محمود شريفى، الطبعة الأولى 1415 هـ -.

261. كنز العمال للهندي/تحقيق الشيخ بكرى هميانى والشيخ صفوة/مؤسسة الرسالة. 262. الكنى والألقاب للشيخ عباس القمى/مكتبة الصدر/تقديم محمد هادى الأمينى. 263. لب الألباب فى معرفة الأنساب للسيوطى، دار صادر.

264. لسان العرب لابن منظور/مطبعة دار الفكر/ ط 1 /سنة 1410 هـ - . 265. اللهوف فى قتلى الطفوف للسيد ابن طاوس/المطبعة الحيدرية.

266. لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين/مطبعة العرفان / سيد/سنة 1331 هـ - . 267. ليلة عاشوراء فى الحديث والأدب للشيخ عبدالله الحسن.

268. مائة قاعدة فقهية للسيد المصطفى/مؤسسة النشر الاسلامى. 269. مثير الأحزان لابن نما الحللى، المطبعة الحيدرية، النجف سنة 1369 هـ -.

270. المجالس الحسينية للشيخ محمد جواد مغنية، دار التيار الجديد، بيروت، 2003 م. 271. المجالس السنوية للسيد محسن الأمين/الطبعة الخامسة سنة 1394 هـ -.

272. المجالس الفاخرة فى ماتم العترة الطاهرة للسيد عبدالحسين شرف الدين/إنتشارات كوثر.

273. مجلة النبأ، شهر صفر 1422 آذار آيار

274. 2001. مجلة تراثنا تحقيق السيد محمد رضا الجلالى، العدد 2، سنة 1405 هـ - . 275. مجمع الأمثال للميدانى/تحقيق محمد محبى الدين عبدالحميد.

276. مجمع البيان للشيخ الطبرسى/مؤسسة الأعلمى للمطبوعات/تقديم السيد محسن الأمين /سنة 1415 هـ - . 277. مجمع البيان للطبرسى، مطبعة العرفان، صيدا، 1333 هـ -.

278. مجمع الزوائد للهيثمى، طبعة دار الريان سنة 1407 هـ - . 279. مجمع المصائب للشيخ محمد النداوى، المكتبة الحيدرية، الطبعة الأولى سنة 1425 هـ -.

280. مجموع الفتاوى لابن تيمية، دار الوفاء - تحقيق عامر الجزار، الطبعة الثالثة 1426 هـ -.

281. المحاسن والمساوى للبيهقى، طبعة فردريك شوالى سنة 1902.

282. المحصول فى علم الأصول للرازى/دراسة وتحقيق د. طه جابر فياض العلوانى.
283. المحلى لابن حزم، تحقيق أحمد شاكراً، مطبعة دار الجبل.
284. مختصر تاريخ دمشق لابن منظور/دار الفكر / دمشق/الطبعة الأولى.
285. مختصر تاريخ دول الإسلام للذهبي، مؤسسة الأعلمى بيروت سنة 1405 هـ -.
286. مدينة المعاجز للسيد هاشم البحرانى/مؤسسة المعارف/سنة 1413 هـ -.
287. مرآة الجنان لليافعى، طبعة حيدر آباد عام 1334 هـ -، مؤسسة الأعلمى بيروت سنة 1390 هـ - . 288. المرأة العظيمة للشيخ حسن الصفار دار الانتشار العربى، الطبعة الأولى سنة 2000 م.
289. مرآة العقول فى شرح أخبار آل الرسول للعلامة المجلسى/دار الكتب الإسلامية - طهران / الطبعة الثانية.
290. مرآة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلى القارى/طبعة باكستان.
291. مروج الذهب للمسعودى، القاهرة، المطبعة البهية 1346 هـ -.
292. المزار الكبير لابن المشهدى، مخطوط مكتبة المرعشى النجفى، قم.
293. المزار للشهيد الأول/مؤسسة الإمام الهادى/سنة 1410 هـ -.
294. مزارات أهل البيت وتاريخها، للسيد محمد حسين الجلالى.
295. مستدرک سفينة البحار للشيخ على النمازى الشاهرودى / مؤسسة النشر الإسلامى / 1418 هـ -.
296. المستدرک على الصحيحين وبذيله تلخيص المستدرک للذهبي.
297. مستدرکات علم الرجال للنمازى/ط 1 /مطبعة شفق/ طهران / 1412 هـ -.
298. المستطرف فى كل فن مستظرف لشهاب الدين الأبهى، مؤسسة المختار سنة
- 2010.299. مستند الشيعة فى أحكام الشريعة للمولى أحمد بن محمد مهدي التراقى/مؤسسة آل البيت/ 1417 هـ -.
300. مسند أحمد ابن حنبل، طبعة الرسالة الطبعة الأولى سنة 1421 هـ -.
301. مسند الإمام أحمد بن حنبل/دار صادر / بيروت.
302. مسند الشهاب للشهاب القضاعى/مؤسسة الرسالة / بيروت.

303. مشكاة الأنوار للطوسي، المطبعة الحيدرية 1385 هـ -، الطبعة الثانية.

ص: 262

304. مصباح المتهجد للشيخ الطوسي، مطبعة دار الخلافة طهران سنة 1318.
305. المصنف لابن أبي شيبة، الطبعة الأولى سنة 1409 هـ -، مكتبة الرشد.
306. معالم السبطين للمازندراني/مكتبة القرشي/ 1356 هـ -.
307. معالم الفتن سعيد أيوب/طبعة دار الاعتصام مصر.
308. معالم المدرستين/للسيد مرتضى العسكري/مؤسسة النعمان/ سنة 1410 هـ -.
309. معالي السبطين للمازندراني، محمد مهدي المازندراني، بتبريز، مكتبة القرشي 1356 هـ -.
310. معاني الأخبار للشيخ الصدوق/إنتشارات جماعة مدرسي قم.
311. معجم أحاديث المهدي عليه السلام/مؤسسة المعارف الإسلامية/إشراف الشيخ علي الكوراني/سنة 1411 هـ -.
312. معجم البلدان، ياقوت الحموي، مطبعة دار السعادة - القاهرة 1323 هـ -.
313. المعجم الصغير للطبراني/دار الفكر/الطبعة الأولى 1997 م.
314. المعجم الكبير للطبراني/دار إحياء التراث/الطبعة الثانية/تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي.
315. معجم رجال الحديث للسيد الخوئي/طبعة منقحة ومزودة/سنة الطبعة 1413 هـ - . 316. معجم قبائل العرب لعمر كحالة/مؤسسة الرسالة/بيروت / (ط 5) 1405 هـ -.
317. معجم ما استعجم للبكري، تحقيق مصطفى السقا، مكتبة المجلسي.
318. معرفة الثقات/مكتبة الدار بالمدينة المنورة.
319. معرفة المعاد للسيد محمد حسين الطهراني.
320. المغازي للواقدي/مطبعة اكسفورد.
321. المغني لابن قدامة، مكتبة القاهرة، سنة 1968 هـ - . 322. مفاتيح الجنان، للشيخ عباس القمي، الطبعة الخامسة، مكتبة الفيروز آبادي، 1412 هـ -.
323. مفتاح النجاف في نزل الأبرار للبدخشي.
324. مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية/الطبعة الحجرية / مصر.

325. مفردات الراغب الاصفهاني ط 1418 هـ -، دار العلم دمشق.

326. مقاتل الطالبين، على بن الحسين بن محمد بن أحمد الهيثم المعروف بالأصبهاني،

ص: 263

المطبعة الحيدرية، النجف، 1965 م -.

327. مقتل أبي مخنف/تحقيق الشيخ اليوسفي/مؤسسة النشر الإسلامي.

328. مقتل الإمام الحسين، للشيخ العلامة كاشف الغطاء، تحقيق: هادي الهلالي، انتشارات الشريف الرضي / 1419 هـ -.

329. مقتل الحسين عليه السلام للمقرم/الطبعة الحيدرية / النجف. 330. مقتل الحسين لأبي مخنف، مؤسسة دار النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

331. مقتل الحسين للخوارزمي/تحقيق الشيخ محمد السماوي/الطبعة الأولى / النجف.

332. مقتل الحسين للمقرم، دار الكتاب الإسلامي، بيروت الطبعة الخامسة، سنة 1979 م.

333. مقتل الحسين، لأية الله العظمى الشيخ الطبسي.

334. مقتل الفضيل بن الزبير/تحقيق محمّد رضا الجلالى / مجلة تراثنا / العدد 2 / سنة 1405 هـ -.

335. المقتنى فى سرد الكنى لابن فايماز التركمانى، تحقيق أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية

1997.336. مقدمة ابن خلدون/الطبعة الأميرية / سنة 1321 هـ -.

337. مقدمة ناشر كتاب اللمعة الدمشقية للشهيد الأول، منشورات دار الفكر، قم إيران، 1411 هـ -.

338. الممل والنحل للشهرستانى، المطبعة الأميرية - القاهرة سنة 1317 هـ -.

339. من قضايا الثورة الحسينية، للشيخ فوزى آل سيف.

340. من لا يحضره الفقيه، لأبى جعفر محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمى، تحقيق السيد حسين الخراسان، دار الكتب الإسلامية.

341. المناقب لابن المغازلى، طبعة دار مكتبة الحياة.

342. المناقب لابن شهر آشوب، مطبعة انتشارات علامة، المطبعة العلمية فى قم. 343. منهاج السنة، لأبن تيمية.

344. منهاج الصالحين للسيد السيستانى.

345. موسوعة الركب الحسينى، مركز الدراسات الإسلامية لممثلة الولى الفقيه، ط 2 سنة 1425 هـ -.
346. الموسوعة الشوقية، للشاعر أحمد شوقى.
347. موسوعة طبقات الفقهاء للشيخ جعفر السبحانى/مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام / إيران.
348. الموطأ لابن مالك/مطبعة الاستقامة / مصر.
349. ميزان الاعتدال للذهبي، دار الكتب العلمية سنة
- 1995.350. ميزان الحكمة محمد محمدى الرى شهرى، دار الحديث، الطبعة الأولى 1421 هـ -.
351. نشأة النحو للشيخ الطنطاوى/دار المعارف / مصر/الطبعة الثانية.
352. النصرة فى شيعة البصرة، نزار المنصورى، مكتبة مدبولى، 2004 م.
353. نفس المهموم للشيخ عباس القمى، الطبعة الأولى، مطبعة شريعت 1421 هـ - .354. نقد الرجال للتفريشى/تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.
355. نهاية الأرب للنويرى، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى، القاهرة - مطبعة دار الكتب.
356. نهج البلاغة بشرح محمد عبده/مطبعة الاستقامة.
357. نهج البلاغة شرح ابن أبى الحديد المعتزلى (طبعة مصر الأولى).
358. نور الأبصار فى مناقب آل النبى المختار للشيخ سيد الشبلنجى/مطبعة بولاق / مصر/ 1290 هـ -.
359. الوافى بالوفيات للصفدى/دار إحياء التراث/سنة 1420 هـ -.
360. وسائل الشيعة للحر العاملى/مؤسسة آل البيت/سنة 1414 هـ -.
361. وسيلة الدارين فى أنصار الحسين للسيد الزنجانى، الطبعة الثالثة، 1990 م. 362. وقفة صفين لنصر بن مزاحم، الطبعة الأولى عام 1365 هـ -، تحقيق هارون.
363. ينابيع المودة للقندوزى/تحقيق سيد على أشرف الحسينى.

مقدمة الجزء الثالث 5

الشهيد زهير بن القين البجلي عليه السلام

بين يدي الشهيد 9

أقوال العلماء فيه 10

القبيلة التي ينتمى إليها الشهيد 11

زهير بن القين وسحرة موسى 12

الشخصية الأولى 15

أمّا الشخصية الثانية 16

زهير بن القين والاستماع إلى الحق 17

زهير بن القين والفتوحات الإسلامية 20

معركة باب الأبواب 22

بدايات المعركة 23

وقفه لا بدّ منها 25

غزوة بلنجر 26

حديث بلنجر 28

عثمانى الهوى 31

ص: 266

1 - مدن ومواقع معيّنة من العالم الإسلامي 31

2 - مجاميع من الناس أفراداً وجماعات 32

زهير بن القين عثمانى الهوى 33

سؤال وجواب 34

الرأى الأول 35

عظات وعبر 37

1 - عثمانى غير معاند 37

2 - زهير بن القين (رض) والقرار الشجاع 42

القرارات المصيرية 46

3 - والعاقبة للمتقين 48

أعمال زهير بن القين والعاقبة الحسنة 49

أ - عدم إرادة العلوّ والفساد فى الأرض 49

ب - التقوى 51

ج - القلب السليم 52

د - ولا تستبدل به غيرى 53

درس من حياة الشهيد 56

الاستبدال سنة قرآنية 57

أسباب الاستبدال 58

1 - تخلى الأمة أفراداً وجماعات عن المسؤوليات الملقاة عليهم 59

2 - التخلّى عن الإنفاق 59

3 - الارتداد عن الدين 60

زهير بن القين والموالة لأهل البيت عليهم السلام 62

أ - عزرة بن قيس يمنع الاهتداء بأصحاب الحسين عليه السلام 68

ب - عزرة بن قيس يكتب للحسين ثم يكذبه يوم عاشوراء 69

كذب عزرة بن قيس 70

عزرة بن قيس والشهادة على حجر 71

ص: 267

ثانياً: مواقف زهير بن القين 73

الموقف الأول 73

الموقف الثاني 74

الموقف الثالث 76

الموقف الرابع 78

الموقف الخامس 80

الموقف السادس 85

الموقف السابع 86

ثالثاً: الشهيد زهير بن القين ومؤمن آل فرعون 87

مَن هو مؤمن آل فرعون؟ 87

أوجه التشابه بين زهير ومؤمن آل فرعون 88

1 - على مستوى الخطبة والكلام 89

2 - على مستوى الزوجة والأقرباء 90

3 - على مستوى كتمان الإيمان 92

4 - على مستوى الشهادة 92

النقطة الأولى: أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام والتقية في الكوفة 94

النقطة الثانية: معاوية وسياسة البطش مع الشيعة في الكوفة 99

النقطة الثالثة: قلة أتباع أهل البيت عليهم السلام في الكوفة 102

النقطة الرابعة: منهج أهل البيت عليهم السلام في كتمان وسرية أمرهم 104

رابعاً: زهير بن القين يروى زواج على عليه السلام من أم البنين 106

ولنا على هذه الرواية مجموعة من النقاط 107

خامساً: زوجة الشهيد زهير وغلّامه وتكفين الحسين عليه السلام 110

الحسين عليه السلام يخبر الشهيد زهير بمقتله عليه السلام 115

وكان كما أخبر الحسين عليه السلام 115

شهادة زهير بن القين 116

وقت الشهادة 117

وداع زهير للحسين عليه السلام وشهادته 118

الحسين عليه السلام يؤبّن الشهيد زهيراً 120

ص: 268

الشهيد أنس بن الحارث بن نبيه الكاهلي عليه السلام

المقدمة 121

أولاً: العدل 121

ثانياً: التسليم لله 122

بين يدي الشهيد أنس (رض) 124

أقوال العلماء في حق الشهيد أنس (رض) 125

قبيلة الشهيد الكربلائي (كاهل) 126

مسكن قبيلة بني كاهل 128

مسجد بني كاهل في الكوفة 129

الاختلاف في اسم الشهيد 130

والد الشهيد 131

جد الشهيد الكربلائي 132

ابن نما الحلبي واسم الشهيد أنس 133

تجنّي الذهبي على الشهيد أنس 134

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخبر أنساً بمقتل الحسين عليه السلام 134

الشهيد عمار بن ياسر والشهيد أنس بن الحارث ووحدة الموقف 138

الشهيد أنس من أهل الصُّفَّة 140

ما معنى الصُّفَّة؟ 140

صفات أهل الصُّفَّة 141

فهم على أساس ما ذكره القرآن 142

الشهيد أنس والهمة العالية 144

لقاء الشهيد أنس بالحسين عليه السلام 150

الرأى الأول 150

الرأى الثانى 151

كلمة لا بد منها 151

الرأى الثالث 153

الشهادة فى كربلاء 153

رثاء الشهيد أنس 154

الشهيد نصر بن أبى نيزر النجاشى عليه السلام

أقوال العلماء فيه 155

جدّ الشهيد 156

النجاشى 156

مع ابن عم الشهيد 165

أعمام الشهيد الكربلائى 166

1 - أريحا بن أصحمة 167

2 - عبد الله بن أصحمة بن أبحر النجاشى 167

3 - والد الشهيد الكربلائى (أبو نيزر) 168

عين أبى نيزر والبغيغة 171

الشهيد فى كربلاء 178

الشهيد مسلم بن كثير الأزدي الأعرج عليه السلام

كلمات العلماء فى الشهيد 180

الاختلاف فى اسم الشهيد الكربلائى 181

الاختلاف فى اسم والد الشهيد 182

والد الشهيد 183

والد الشهيد فى فتح مصر 183

هل كانت هذه الفتوحات شرعية؟ 184

مع روايات والد الشهيد 188

أولاً: مع موعظة والد الشهيد 188

ثانياً: لا يجب الوضوء مما مست النار 190

الشهيد مع أمير المؤمنين 192

أم سلمة وقيمة من ثبت مع على فى الجمل 192

الشهيد الكربلائى جريحاً أعرج فى حرب الجمل 196

العرج عذر شرعى 196

الشهيد مسلم والشهيد عمرو بن الجموح 198

الشهيد فى كربلاء 198

الشهيد أبو رزين عليه السلام

بين يدي الشهيد 200

الاختلاف فى اسم الشهيد وأسم ابيه وفى مولاه 201

الاختلاف فى اسم الشهيد 202

سليمان مولى الحسين ليس أسماً شاذاً 202

الاختلاف فى اسم والد الشهيد 210

اختلاف الشهيد فى ولائه 212

الاحتمال الأول 214

والدة الشهيد الكربلائي 215

الشهيد سليمان سفير الحسين إلى البصرة 216

رسول واحد أم رسولان إلى البصرة 217

مضامين رسالة الإمام إلى البصرة 220

معنى رؤوس الاخماس في البصرة 222

1 - المنذر بن الجارود 224

2 - الأحنف بن قيس 226

3 - مالك بن مسمع البكري الجحدري 227

4 - مسعود بن عمرو بن عدى الأزدي 227

5 - قيس بن الهيثم السلمى 227

6 - عمر (عمرو) بن عبيد الله بن معمر التيمي 228

7 - يزيد بن مسعود النهشلي 229

جواب رؤوس أخماس البصرة ووجهائها على رسالة الإمام 231

أسباب ودواعي مراسلة الحسين لأخماس البصرة ووجهائها 233

يزيد بن مسعود النهشلي والمواقف المشرفة 235

نقاط مهمة في خطبة يزيد النهشلي 237

اجتماع الشيعة في دار مارية بنت منقذ العبدى 239

موانع التحاق شيعة البصرة بالحسين عليه السلام 240

هل يكفى التساقط في طريق الكوفة؟ 244

وقت شهادة سليمان 245

كيفية الشهادة 246

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

